مرشد الأنام
لمعرفة
الحلال والحرام

جمع وتأليف السيد

علي فكري

الأمين الأول ورئيس المفتشين لدار الكتب المصرية سابقا

بتحقيق

الأستاذ القديرين والفيلسوف الخطير

محمد فريد وجدي بك

ويليه

نبذة في حكم الشريعة الغراء ، في المحرمات على النساء

الطبعة الأولى

١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الإهداء

إلى روح صديق وأستاذى المفضال :

المرحوم الشيخ محمد الحسينى الظواهرى [1]

أهدى هذا الكتاب ، طالباً له من الله الرحمة والغفران ، وجزيل الأجر والثواب ؛

السيد علي فكرى

ابن المرحوم

السيد محمد عبد الله الحكيم

---

(١) انتقل لرحمة مولاه فى يوم الأحد ٩ صفر سنة ١٣٦٥ ـ الموافق ١٣ يناير سنة ١٩٤٦

التعريف التام بكتاب
مرشد الانام لمعرفة الحلال والحرام

قلنا فى كلمة سابقة عن بعض مؤلفات الأستاذ الجليل واضع هذا الكتاب : إنه وفق إلى موضوعات حيوية فى الدين لم يفردها المؤلفون السابقون بالتأليف ، وهى فى هذا العصر جديرة بالنشر والإذاعة ، ومنها الكتاب الذى هو بين أيدينا اليوم .

« الحلال بيِّن والحرام بيِّن » هذا قول لاغبار عليه ، ولكن الأوساط والعامة فى هذا العهد الذى طمَّت فيه السفسطات ، وعمت فيه التأويلات ، أصبحت فى حاجة ماسَّة إلى وضع كتاب شامل لجميع ما أحله الله وما حرَّمه الإسلام على الآخذين به، ليكون بين أيديهم دستوراً يرجعون إليه إذا اختلفوا فى حِلِّية أمر أو حُرمته .

وفائدة هذا المؤلَّف أن يغنى مقتنيه عن السؤال ، وقد لايجد فى كل وقت من يسأله ، أو من يثق بعلمه ، وليس هـذا بالأمر السهل على الإنسان الذى يريد أن يتجنب مواقف الزلل فى دينه .

لو كان « كتاب الحلال والحرام » الذى نحن بسبيله سرد كلا منهما سرداً لكان موفياً بالغرض الذى وضعه مؤلفه من أجله ، فما ظنك وقد توخى فيه ما هو أكمل وأعم نفعاً من هذا ؟

إنه توخى أن يسرد الآيات التى ورد فيها شىء من الحلال ، وشىء من المحرمات ، وتصدى لشرحها شرحاً موجزاً كافياً ، ثم أردفها بالأحاديث التى ورد فيها ما أحل الله وما حرمه ، وشرحها أيضا بما يبين غامضها و يكشف مبهمها ؛ وأتبع ذلك بما جاء فى الآثار والأخبار مما يتعلق بالحلال والحرام ، وفيها من عيون الحكم والكلمات الجامعة ، والآراء الناضجة مايغذى القلوب والعقول معاً .

ولم يكتف بكل هذا ، فأتى على كثير من الخطب البليغة التى تعرض فيها قائلوها لسرد بعض ماحرَّمه الإسلام ، و بيان ما انطوى عليه تحريمه له من ضروب الحكم ، ووجوه درء الفساد عن المجتمع .

ولم تقف همة مؤلفنا عند هذا الحد ، فإنه أتى على أمثلة تطبيقية لما تئول إليه حال مرتكب الحرام من المصير السيئ ، والعاقبة الوخيمة ، على وجه يؤثر على النفوس أقوى تأثير ، ويحملها على كراهية الحرام ومقاطعته ، والتعويل على الحلال وملازمته .

وقد تعقب مؤلفنا الفاضل المحرمات حتى فى أبعد وأخفى مظانها ، كما يتعقب (البكتريولوجى) الميكروبات الضارة فى أدق وأعضل مظاهرها ؛ فقد أتى على المحرمات الصادرة عن هواجس القلوب ومسارح العيون ، وإصغاآت الآذان وفضول الألسنة ، كإضمار الشرور والنظر للمحرمات ، وسماع البهتان والغيبة والنميمة الخ .. فهذه كلها محرمات يتجاهلها أكثر الناس ، ويتخيلون أنهم مادامو بعيدين عن مشهورات المحارم ، كالخمر والميسر والفسق ، فهم فى حل لأن يقعوا فى أعراض الناس بالظنون السيئة ، وأن يغتابوهم بغير تثبت وأن يشهروا بهم لا كراهية فيما يرتكبون ، ولكن تشفياً منهم ونشراً لمساويهم ، ليحملوا الناس على تحقيرهم وكراهتهم ، وما دروا أنهم يسيئون إلى أنفسهم قبل أن يلحقوا الأذى بخصومهم .

فهذا كتاب يشتمل من الفوائد العلمية على أكثر مايدل عليه اسمه .

والأستاذ على فكرى — كما يعهده الناس — سمح لايدخر وسعاً فى إمداد القارئ بما وراء حاجته فى كل موضوع يحاوله من هذه المواضيع الدينية متى وجد سبيلاً إليها من طريق الصلات التى بينها و بين ضروب أخرى من المعلومات ؛ فأوجد للقارئ من مجموع ذلك ألواناً من الكلام يستمتع بتلاوته ، و يجد من نفسه ميلاً لإسماعه لأهل بيته والمتصلين به.

فهو كما ترى يُوجِد عند ذكره كل حلال أو حرام جوًّا حافلاً بالعلم والأدب والكلمات النافعة ، والأشعار الحكيمة ، والأمثلة المؤثرة .

فإن كنت أثنى على همة الأستاذ المؤلف ، فإن كتابه يثنى عليه أكثر مما أثنى ؛ وخير لى وله أن أدعو له بأن يوفق إلى إصدار أمثال هذه المجموعات التى يجد السواد الأعظم فيها حاجتهم من الذكرى والاسترشاد ، وطلبتهم من التوسع فى فهم حِكَم ما أحلّ لهم وما حُرِّم عليهم فى دين الله ؟

محمد فريد وجدى

القاهرة فى ٢٢ يوليه سنة ١٩٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتى ، وعليه توكلى

الحمد لله الذى أحلَّ الحلال وحرَّم الحرام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام ، ومصباح الظلام ، وعلى آله وأصحابه السادة الأعلام ، الرافعين لواء الإسلام ، العاملين بالشريعة والأحكام .

أما بعد : فلما كان معظم معاملات الناس فى هذا الزمان من الحرام ؛ لأن الكثير منهم لايفرق بين الحلال والحرام ، ولا يميز بين الخبيث والطيب ، ولا يعرف النافع من الضار حتى كثرت الجرائم وتعددت الآثام ، وساد البغى والفساد ، بين العباد فى جميع البلاد ، رأيت خدمةً للدين والإنسانية ، أن أجمع رسالةً شاملةً لما جاء فى القرآن الكريم من الآيات البينات مع تفسيرها تفسيراً مختصراً ، وما جاء فى السنة المحمدية الشريفة من الأحاديث النبوية المنيفة الداعية لاتباع الحلال واجتناب الحرام ؛ مع شرح بعضها شرحاً موجزاً ، وما ذكر فيهما من أقوال العلماء والأدباء والشعراء والخطباء لتكون سراجاً وهاجاً يهتدى به جميع الأنام على مدى الشهور والأيام ، وقد سميتها :

« مرشد الأنام لمعرفة الحلال والحرام »

ليكون فى مبناها مايدل على معناها ، وليكون دستوراً يرجعون إليه إذا اختلفوا فى حلِّية أمر أو حُرمته .

وأتبعتها بنبذة صغيرة فى (حكم الشريعة الغراء ، فى المحرمات على النساء) لتكون الفائدة مزدوجة والإصلاح عاماً للرجال والنساء على السواء .

وإنى إذ أشكر لصديقنا المفضال الأستاذ الجليل والفيلسوف الخطير محمد فريد وجدى بك مدير ورئيس تحرير مجلة الأزهر تفضله بمراجعة هذه الرسالة وإبداء رأيه فيها .

أرجو الله أن يكون من وراء مطالعتها ودرسها ما أتمناه من النفع والإصلاح لجميع العباد ، والله الموفق والهادى لما فيه الخير والسداد ؟

السيد

على فكرى

الأمين الأول لدار الكتب المصرية سابقا

العباسية فى { ٤ ربيع الثانى ١٣٦٩ هـ
٢٣ يناير ١٩٥٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً – الآيات القرآنية الوارد فيها ذكر الحلال

سورة البقرة

١ – يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) .

المعنى : يأيها الناس كلوا مما خلقنا لكم من ثمرات الأرض حلالاً طيباً ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان بتحريم الحلال وتحليل الحرام ، إنه لكم عدوّ ظاهر العداوة .

٢ – أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ (١٨٧) .

أحلّ الله مباشرة النساء وجماعهن فى ليالى رمضان بعد أن كان ذلك محرماً عليهم .

عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ (١٨٧) .

لعلمه أنهم ما كانوا يستطيعون الامتناع عن الجماع ، فكانوا يخونون أنفسهم بفعله فتاب عليهم وعفا عنهم ، وأباح لهم ما كان حرّمه عليهم منه .

٣ – الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ ، وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) .

المعنى : إن الذين يتعاطون ويأكلون الربا لايقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كقيام المصروع الذى يتخبطه الشيطان من المسّ ، وذلك عقاباً لهم على ما كانوا يقولونه : إنما الربا مثل البيع ، والحال أن الله أحل البيع وحرّم الربا ، فمن انتهى عن الربا فله ماسبق أخذه ، ومن عاد إلى تحليله فله جهنم خالداً فيها .

سورة آل عمران

٤ — وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ . إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٥٠ ، ٥١) .

يقول عيسى عليه السلام لقومه بنى إسرائيل : أمرت أن أكون مصدقاً لما هو أمامى من التوراة ، وأن أحلّ لكم بعض ما حُرِّم عليكم ، وجئتكم بآية أخرى من ربكم هى : أن الله ربى وربكم فاعبدوه ، ولا تشركوا به شيئاً وخافوا الله وأطيعون .

٥ — كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) .

قال اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم : لما رأوه يأكل لحوم الإبل وألبانها : إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وهو يحرّم لحوم الإبل وألبانها فنزلت الآية . ومعناها :

أى كل أنواع الأغذية كانت حلالاً لبنى إسرائيل قبل نزول التوراة ، ثم حُرِّم عليهم بعضها بسبب عنادهم ، فقال الله لهم : فأتوا بالتوراة فاقرءوها وهى تشهد بأنها حُرمت عليهم لهذا السبب .

سورة المائدة

٦ — أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١) .

أحلّ لكم أكل الأنعام إلا ما قرئ عليكم تحريمه غير محلّين للصيد وأنتم محرمون فى الحج ؛ إن الله يحكم مايريد من تحليل وتحريم ، وهو أعلم بمصلحتكم .

٧ — يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ (٢) .

ينهى الله عن إحلال مناسك الحج : أى جعلها حلالاً بالصيد فيها .

٨ — يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤) .

يسألونك يا محمد ماذا أحلّ لهم من المآكل ؟ فقل لهم :

أحلّ لكم جميع ماتستطيبه الأذواق السليمة ، وأحلّ لكم صيد السباع والطيور التى علّمتموها الصيد لكم .

فاذكروا اسم الله عليه ، واتقوا الله إن الله سريع الحساب .

٩ — الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ(٥) .

وأحلّ لكم طعام أهل الكتاب كما أحلّ لهم طعامكم .

١٠ — وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ الْمُؤْمِنَٰتِ وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِى أَخْدَانٍ . (٥)

وأحلّ لكم التزوّج بالعفيفات من نسائهم إذا آتيتموهن مهورهن عفيفين غير زانين ، ولا متخذيهن صديقات سرًّا .

١١ — يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . (٨٧)

هذه الآية نزلت فى جماعة من الصحابة اعتزموا الزهد المطلق ، وقطع علائق الدنيا ، فنهاهم الله عن ذلك ، لأن فيه تجاوزاً للحدود ، ومن يفعل ذلك فيخشى عليه الارتكاس ، ولذلك قال لهم :

لاتحرموا ما أحلّ الله لكم من الأرزاق ، ولاتعتدوا : أى لاتتعدوا حدود الله ، إن الله لايحب المعتدين .

١٣ — وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالاً طَيِّبًا ، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ . (٨٨)

المعنى : وكلوا — أيها المؤمنون — مما رزقكم الله حلالاً طيباً من ثمرات الأرض ، واتقوا الله : أى خافوا الله الذى تؤمنون به .

١٣ — أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ، وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَادُمْتُمْ حُرُمًا ، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . (٩٦)

أحلَّ لكم صيد البحر وطعامه لتتمتعوا به أنتم والسيارة (القافلة) وحُرِّم عليكم صيد البر مادمتم محرمين ، وخافوا الله الذى تحشرون إليه يوم القيامة .

سورة الأعراف

١٤ — الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ . (١٥٧)

المعنى : الذين يتبعون الرسول ، النبى الأمى ، الذى يجدونه موصوفا عندهم فى التوراة والإنجيل ، وهو (محمد صلى الله عليه وسلم) يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحلُّ لهم الطيبات التى حرمت عليهم بسبب عنادهم ، ويُحرِّم عليهم الخبائث التى أحلوها ميلاً مع أهوائهم .

سورة الأنفال

١٥ — فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . (٦٩)

المعنى : كلوا أيها المؤمنون مما غنمتم من أموال المشركين حلالاً بإحلاله لكم طيبًا ، وخافوا الله أن تعودوا فتفعلوا فى دينكم شيئًا بعد هذه من قبل أن يعهد فيه إليكم ، كما فعلتم فى أخذ الفداء وأكل الغنيمة ، وأخذتموها من قبل أن يحلهما لكم ، إن الله غفور رحيم .

سورة التوبة

١٦ — إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ، يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَاحَرَّمَ اللهُ ، فَيُحِلُّوا مَاحَرَّمَ اللهُ ، زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ، وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ . (٣٧)

المعنى إن الذى يسميه المشركون بالنسىء، وهو إبدالهم أياماً عادية بأيام من الأشهر الحُرُم ليستمروا فى القتال والتفاخر ، إنما هو زيادة فى الكفر يضل الشيطان به الذين كفروا يجعلونه حلالاً عاماً ، وحراماً عاماً آخر، ليواطئوا : أى ليوافقوا عدة ماحرَّم الله ، فيحلوا ماحرَّم الله ؛ وقد زينت لهم أعمالهم السيئة ، والله لايهدى الكافرين .

سورة النحل

١٧ — فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ . (١١٤)

المعنى : فكلوا ـ أيها المؤمنون ـ مما رزقكم الله حلالاً طيباً من ثمرات الأرض ، واشكروا نعمة الله عليكم إن كنتم إياه تعبدون .

١٨ — وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ . (١١٦)

المعنى : لاتكذبوا على الله فتقولوا : هذا حلال وهذا حرام ، لما تصفه ألسنتكم لتفتروا على الله الكذب ، فالذين يقترفون هذا الإثم الكبير لايفلحون .

سورة الأحزاب

١٩ — يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ، وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ

وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ، لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا . (٥٠)

المعنى : يأيها النبي، إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى أعطيتهن مهورهن ، وأحللنا لك ماملكت يدك من السبي فى الحرب ، وأحللنا لك بنات عمك ، و بنات عماتك ، و بنات خالك ، و بنات خالاتك ، اللاتى هاجرن معك ، وأحللنا لك امرأةً مؤمنةً إن وهبت نفسها لك ، إن أردت أن تتزوجها خالصةً لك من دون المؤمنين .

قد علمنا مافرضنا على الرجال فى زوجاتهم من شرائط العقد والمهر لكيلا يكون عليك ضيق : أى أن الهبة شرعها خاصةً لك لكيلا يكون عليك حرج ، وكان الله غفورا رحيما .

سورة الممتحنة

٢٠ — يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ، وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ . (١٠)

المعنى : إذا أتاكم المؤمنات المهاجرات فاختبروهن ، فإن تحققتم صدقهن فلا ترجعوهن للكفار إذ لايحلان لهم ، وهم لايحلون لهن ، وادفعوا لأزواجهم المهور التى دفعوها لهن ، ولا إثم عليكم أن تتزوجوهن إن أمهرتموهن .

سورة التحريم

٢١ — يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . (١)

المعنى : يأيها النبي لأى شئ تحرّم على نفسك ما أحله الله لك ؟ تتطلب بذلك رضاء زوجاتك ، وقد غفر الله لك هذه الفعلة ، إنه غفور رحيم .

روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب عسلاً عند زوجته حفصة ، فاتفقت سودة وصفية زوجتاه وقلنا له : إنا نشم منك رائحة المغافير (وهو نوع من الصموغ حلو) فحرّم على نفسه العسل ، فنزلت هذه الآية » .

ثانياً ــ الأحاديث النبوية الواردة فى طلب الحلال

١ ــ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله طَيِّبٌ (١) لاَ يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّبًا (٢) ، وَإنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ . فقال: يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ (٣) وَاعْمَلُوا صَالِحًا إنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ .

وقال : يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ .

ثم ذكر الرَّجُلَ يُطِيلُ (٤) السَّفَرَ أَشْعَثَ (٥) أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ (٦) إلَى السَّمَاءِ : يَارَبِّ يَارَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِّىَ بِالحَرَامِ ، فَأَنَّى (٧) يُسْتَجَابُ لَهُ » . رواه مسلم والترمذى

---

(١) إن الله طيب : منزه عن النقائص والخبائث ، سبحانه وتعالى اتصف بكل كمال .

(٢) لايقبل إلا طيباً : أى حلالا بعيداً عن المحارم ، فلايتقرب إليه بصدقة حرام ؛ ويكره التصدق بالردىء من الطعام ، كالخبز العتيق والمسوس ، وكذلك يكره التصدق بما فيه شبهة كما قال تعالى : (ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون) سبحانه وتعالى لايقبل إلا الطيب الخالص لوجهه الكريم ، البعيد عن شائبة الرياء والعجب والسمعة ، المقصود به ثوابه جل وعلا .

(٣) كلوا من الطيبات : أى كلوا مما هو مأخوذ من وجوه الحلال .

(٤) يطيل السفر . أى يكثر من الكد فى جلب المال ، ويتعب ويكد ويعمل .

(٥) أشعث : أى شعر رأسه متفرق غير معتن بنظافته ونضارته ، تاركا ملاذه فى سبيل جمع المال فتراه قذراً متنسكا زاهداً .

(٦) يمد يديه إلى السماء : أى يدعو الله سبحانه وتعالى ويقول : يارب ، يارب ، ولكن مطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام .

(٧) فأنى يستجاب له : أى من أين يستجاب له ؟ لأنه يأكل الحرام : من غصب ونهب وسرقة وخداع ومكر وحيلة وغش وفجور .

وفى هذا الحديث الشريف دلالة على أن الرجل المؤمن يطلب الحلال الطيب فى غذائه وشرابه ولباسه .

٣ — وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « طَلَبُ الْحَلَالِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ » .

٣ — وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ » أى واجب بعد أداء الصلاة المفروضة .

٤ — وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَكَلَ طَيِّبًا ، وَعَمِلَ فِى سُنَّةٍ ، وَأَمِنَ النَّاسُ بَوَائِقَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ . قالوا يارسول الله: إن هذا فى أمتك اليوم كثير ؟ قال : وَسَيَكُونُ فِى قُرُونٍ بَعْدِى » .

المعنى : أن من أكل حلالاً وكان متبعًا سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحثّ على اتباعه قولاً وفعلاً أو تركاً ، وأمن الناس بوائقه (أى مصائبه وأذاه) دخل الجنة .

٥ — وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَيُّمَا رَجُلٍ اكْتَسَبَ مَالاً مِنْ حَلَالٍ فَأَطْعَمَ نَفْسَهُ أَوْ كَسَاهَا ، فَمَنْ دُونَهُ مِنْ خَلْقِ اللهِ كَانَ لَهُ بِهِ زَكَاةٌ » .

المعنى : أن الرجل الغنى الذى يكتسب مالاً ويتمتع بخيرات الله من مأكل وملبس فما ينفقه على سواه فهو صدقة وطهارة ، وله فيه ثواب كبير .

٦ — وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « تليت هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِى الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّبًا) فقام سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فقال : يا رسول الله : ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم: « يَاسَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ؛ وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِى جَوْفِهِ مَايُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ » .

المعنى : أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لسعد بن أبي وقاص : إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ فَأَطِبْ طَعَامَكَ : أَيْ اجْعَلْهُ حَلَالاً لِأَنَّ الْعَبْدَ الَّذِي يَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْمَجْلُوبَةَ مِنْ حَرَامٍ وَيُدْخِلُهَا فِي جَوْفِهِ ، لَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنْهُ عَمَلًا أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَكُلُّ عَبْدٍ أَكَلَ مِنْ حَرَامٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ حَرَامٍ ، وَاسْتَحَقَّ أَنْ يُرْمَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، لِأَنَّ الْحَرَامَ يُبْعِدُ عَنْ طَاعَةِ اللهِ .

٧ — وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، مَنِ اكْتَسَبَ فِيهَا مَالاً مِنْ حِلِّهِ وَأَنْفَقَهُ فِي حَقِّهِ أَثَابَهُ اللهُ عَلَيْهِ وَأَوْرَدَهُ جَنَّتَهُ ، وَمَنِ اكْتَسَبَ فِيهَا مَالاً مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ وَأَنْفَقَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ أَحَلَّهُ اللهُ دَارَ الْهَوَانِ ، وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِي مَالِ اللهِ وَرَسُولِهِ لَهُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : (كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) » .

المعنى : الدنيا بهجة نضرة زاهرة ، منظرها بديع ، وشكلها جميل مثل الحديقة الغنّاء الفيحاء .

فالذى اكتسب فيها مالاً حلالاً وأنفقه فى حقه : أى فى واجبات الشرع ومندوباته أثابه الله عليه وأدخله الجنة .

أما الذى يكتسب فيها مالاً حراماً : أى من غير أوجه الحلال وأنفقه فى سبيل الحرام أدخله الله دار العذاب الهون : المؤلم .

ورب شخص سابح فى بحر النعم التى أغدقها الله عليه وساقها له حب رسول الله صلى الله عليه وسلم (أى مال الله ومال رسوله) أى يمكن أن المتخوض فى نعم الله ورسوله أن يكون له النار : أى يسحب إليها ويذوق العذاب الأليم بسبب شحه وبخله كما قال تعالى : (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) .

٨ — ومن حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ سَعَى عَلَى عِيَالِهِ مِنْ حِلٍّ فَهُوَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالاً مِنْ عَفَافٍ كَانَ فِي دَرَجَةِ الشُّهَدَاءِ » وفي رواية أخرى لأبي منصور : « مَنْ طَلَبَ مَكْسَبَةً مِنْ بَابٍ حَلَالٍ يَكُفُّ بِهَا وَجْهَهُ عَنْ مَسْأَلَةِ النَّاسِ وَوَلَدَهُ وَعِيَالَهُ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ » وقال الغزالي : إسنادها ضعيف .

٩ — وقال صلى الله عليه وسلم « مَنْ أَكَلَ الْحَلَالَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ وَأَجْرَى يَنَابِيعَ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ » وفي رواية : « زَهَّدَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا » .

١٠ — وقال صلى الله عليه وسلم « مَنْ أَمْسَى وَانِيًا مِنْ طَلَبِ الْحَلَالِ بَاتَ مَغْفُورًا لَهُ وَأَصْبَحَ وَاللهُ عَنْهُ رَاضٍ » .

١١ — وعن أبي عبدالله جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما : « أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ وَصُمْتُ رَمَضَانَ وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا ، أَدْخُلُ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ » رواه مسلم .

ومعنى أحللت الحلال : فعلته معتقدا حِلَّهُ ، ومعنى حرّمت الحرام : اجتنبته (الحديث ٢٢) ضمن الأربعين النووية .

ثالثاً ـ الآيات القرآنية الوارد فيها ذكر الحرام

سورة البقرة

١ ـ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ . فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣) .

إنما حرّم الله عليكم الميتة : أى أكل الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أهلّ به لغير الله : أى ماذبح للأصنام ؛ فمن ألجأته الضرورة فى غير بغى ولا عدوان إلى تناول شئ من هذه المحرمات فلا إثم عليه ، وسيأتى ذكر حكمة تحريمها .

٢ ـ وَحَرَّمَ الرِّبَوا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) .

حرّم الله الربا ؛ فمن انتهى عن تعاطيه فله ماسبق له أخذه ، ومن عاد إلى التعامل به فله جهنم خالداً فيها .

سورة النساء

٣ ـ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ . وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ . إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٣) .

بيّن الله تعالى فى هذه الآية ذوات القربى اللاتى لايصح التزوّج بهن ، والمحرّم الزواج بهنّ إلى أن قال ور بائبكم : أى بنات نسائكم اللاتى دخلتم بهنّ ، فإن لم تكونوا دخلتم بهنّ جاز لكم التزوّج بهنّ .

ولا يصح التزوج من نساء الأبناء الذين من ظهوركم ، أما إن كنّ بنات من تبنيتموهم فيصح .

ولا يجوز الجمع بين الأختين إلا ماقد مضى إن الله كان غفوراً رحيماً .

٤ — فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا. وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦٠ ، ١٦١) .

يقول الله تعالى ذكره : ولقد حرّمنا على بنى إسرائيل طيبات كثيرة كانت أحلت لهم ؛ وذلك كان بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله كثيراً . والصد عن سبيل الله : هو تثبيط الناس عن الإيمان برسوله ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، وهيأنا للكافرين منهم عذاباً شديداً .

سورة المائدة

٥ — حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ . وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ (٣) .

يقول الله تعالى ذكره : حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به : أى وما رفع به الصوت لغير الله عند ذبحه . والمنخنقة ، والموقوذة التى ضربت حتى ماتت . والمتردية : أى التى سقطت من أعلى فهوت إلى الأرض فماتت . والنطيحة : التى تموت بنطح غيرها لها . وما أكل السبع : أى مايتركه السبع من فريسته ، إلا ماذكيتم : أى إلا ما أدركتم ذكاته بالذبح وفيه رمق من الحياة . والذكاة شرعاً : قطع الحلقوم والمرىء بآلة حادة . والنصب : هى أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها . وأن تستقسموا بالأزلام : أى معرفة ماقسم للشخص مما لم يقسم . والأزلام جمع زلم : وهو سهم لاريش عليه ، كل هذه المحرمات فسق : أى عملها معصية .

٦ — قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٩) .

قال الله تعالى : إن الأرض المقدسة محرمة عليهم : أى على اليهود أربعين سنة يسيرون فى الأرض متحيرين ، فلا تحزن على القوم الفاسقين .

٧ — لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) .

لقد كفر الذين زعموا أن الله هو المسيح ابن مريم ، مع أن المسيح نفسه قال لبنى إسرائيل اليهود : يا قوم اعبدوا الله ربى وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومنزله فى الآخرة النار ، وما للظالمين من أنصار .

وإذا كان المسيح نفسه قد قال ذلك فكيف يكون هو الإله ؟ .

٨ — يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) .

سبق تفسيرها فى الآية رقم ١٠ فى باب الحلال .

٩ — وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦) .

سبق تفسيرها فى الآية رقم ١٢ فى باب الحلال .

سورة الأنعام

١٠ — وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) .

وأىّ غرض لكم فى أن تمتنعوا عن أكل ماذكر اسم الله عليه من الذبائح ، وقد

فصّل الله لكم ما حرّم عليكم إلا ما اضطررتم إليه ، فإنه هو أيضا يحل لكم للضرورة ؛ وإن كثيرا من الناس ليضلون الجهلاء بميولهم الفاسدة بغير علم ، وإن الله أعلم بالمعتدين منهم .

١١ — وَقَالُوا هَـٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ، سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ . وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ، وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٨-١٣٩) .

وقالوا هذه أنعام : إبل ، وحرث : زرع ، وحجر : حرام ، لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم ، وأنعام أخرى حرم ركوبها لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح بل يذكرون أسماء الأصنام ، وهذا كله افتراء على الله سيجزيهم الله بما كانوا يفترون .

وقالوا أيضا : ما في بطون هذه الأنعام حلال للذكور خاصة دون الإناث إن ولد حيًّا ، وأما إن ولد ميتًا فالذكور والإناث فيه سواء : أي شركاء ، وسيجزيهم الله إنه حكيم عليم .

١٢ — قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ . (١٤٠)

قد خسر الذين يقتلون بناتهم خوفًا عليهم من السبي ، أو أنفة من تزويجهن ، أو هربا من نفقتهن ، وحرموا ما رزقهم الله كذبًا وافتراء على الله ، فقد ضلوا عن طريق الحق ، وما كانوا مهتدين .

١٣ — ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ، قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ ؟ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ، قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ . (١٤٣)

وكانوا يحرّمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة أخرى وأولادها كيف كانت تارة أخرى

زاعمين أن الله حرّمها، فذكر لهم : ثمانية أزواج : من الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين ، ومن الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين ، وسألهم أحرم ذكورها أم إناثها ؟ أم ما اشتملت عليه أرحام إناثها ؟ تبكيتًا لهم على افترائهم عليه .

١٤ — قُلْ لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . (١٤٥)

قل يا محمد : لا أجد فيما أوحى إليّ من القرآن طعامًا محرّمًا على آكل إلا أن يكون الطعام ميتة أو دمًا مصبوبًا كالكبد والطحال أو لحم خنزير ، أو ما ذكر اسم غير الله عليه عند ذبحه ، فمن اضطر لأكل شئ من هذا غير ظالم ، ولا متعدٍ قدر الضرورة ، فإن الله لا يؤاخذه على ذلك ؛ لأن الله غفور رحيم .

١٥ — وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ . (١٤٦)

وعلى اليهود حرمنا كل ذى ظفر : أى كل ماله أصبع كالسباع والطيور ، وقيل كل ذى مخلب وظافر . وحرمنا عليهم من البقر والغنم شحومهما (وهو شحم رقيق على الأحشاء وشحوم الكلى) إلا ماعلق بظهورها فيه ، أو الشحم الذى اشتمل على الأمعاء ، أو الشحم المختلط بالعظم .

ذلك التحريم جزيناهم به بسبب ظلمهم ، وإنا لصادقون فى إخبارنا .

١٦ — سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا ، قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ . (١٤٨)

سيقول الذين أشركوا : إننا على الحق المرضيّ عند الله ، فلو كان الشرك يكرهه الله لما تركنا نحن وآباءنا نشرك به ، ولا يحرم ما حرمنا . كذلك كذب على الله من سبقهم من الأمم حتى ذاقوا بأسنا . فقل لهم يا محمد : هل لديكم علم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتطلعونا عليه ؟ إنكم ما تتبعون إلا الظن وما أنتم إلا كاذبون .

١٧ — قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ . (١٥٠)

قل لهم يا محمد : هاتوا شهداءكم الذين يشهدون بأن الله حرم ما تحرمون ، فإن شهدوا فلا تشهد معهم ، ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا ، والذين لا يؤمنون بالآخرة ، وهم يساوون بين الله وشركائهم .

١٨ — قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ، ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . (١٥١-١٥٢) .

قل يا محمد: هلموا أقرأ عليكم ما حرمه ربكم عليكم، وهو: أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تعبدوا سواه ، وأن تحسنوا إلى الوالدين، وأن لا تقتلوا أولادكم خشية الفقر، ولا تقربوا الذنوب الكبائر ما ظهر منها وما خفي ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق كما لو قتلت غيرها ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالطريقة التي هي أحسن الطرق كحفظه وتنميته حتى يبلغ سنّ الرشد ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط: أي بالعدل ، فلا تنقصوا منه شيئاً ؛ وإذا قلتم وحكمتم بين الناس فاعدلوا ولو

كان الخصم قريبًا لكم ، وبعهد الله أوفوا ، فلا تنقضوا العهد ، وتخلّقوا بكل هذه الفضائل ، وابتعدوا عن تلك المحرمات على قدر إمكانكم ، لا يكلف الله نفسًا إلا على قدر طاقتها ، ذلكم وصاكم به الله لعلكم تتعظون .

سورة الأعراف

١٩ — قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ، كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . (٣٢)

قل يا محمد : من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده من النبات والحيوان ، كالقطن والصوف ، والطيبات من المآكل والمشارب ؟

قل : هي للمؤمنين حلال ، ويشركهم فيها الكافرون في الدنيا ، وهي خالصة للمؤمنين يوم القيامة لا يشركهم فيها أحد .

٢٠ — قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . (٣٣)

قل يا محمد : إنما حرّم ربي جميع الأفعال القبيحة ما ظهر منها وما خفي ، وحرم الإثم : أي ما يوجب الإثم (وقيل : الإثم هنا يراد به شرب الخمر) وحرّم الظلم بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به حجة ناهضة ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون أنه حق .

٢١ — وَنَادَىٰ أَصْحٰبُ النَّارِ أَصْحٰبَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكٰفِرِينَ . (٥٠)

ونادى أصحابُ النار أصحابَ الجنة قائلين لهم : صبوا علينا قليلاً من الماء ، أو من النعم التي غمركم الله فيها ، فأجابوهم قائلين : إن الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهواً يتلهون به ولعبًا وغرتهم الحياة الدنيا .

٢٢ — الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسٰهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ . (٥١)

الذين حرموا وأحلوا واغتروا بطول البقاء فاليوم ننساهم من رحمتنا كما نسوا لقاء يومهم هذا ، و بما كانوا بآياتنا يكذبون .

٢٣ — وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبٰٓئِثَ . (١٥٧)

سبق شرحها فى باب الحلال رقم (١٣) .

سورة التوبة

٢٤ — فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ . (٥)

إذا مضت الأشهر الحرم : أى المحرَّم فيها القتال ؛ وهى الأربعة الأشهر : رجب ، وذوالقعدة ، وذوالحجة ، والمحرم ، فدم المشركين هدر . فاقتلوهم حيث وجدتموهم وطاردوهم ، وحاصروهم ، وترصّدوا لهم فى كل طريق .

٢٥ — قٰتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰبَ حَتّٰى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صٰغِرُونَ . (٢٩)

يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر إيماناً صحيحاً ، ولا يحرمون ماحرّم الله ورسوله ، ولا يدينون بدين الحق الذى نسخ جميع الأديان السابقة من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية التى تقررت عليهم وهم صاغرون : أذلة .

٢٦ — يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّٰهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللّٰهُ (٣٧) .

سبق شرحها فى الآية رقم ١٥ فى باب الحلال .

سورة يونس

٢٧ — قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلاَلاً قل ءاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ (٥٩) .

قل لهم يا محمد : أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً بأوهامكم ، فاسألهم أأذن الله لكم فى هذا ، أم على الله تكذبون ؟

سورة النحل

٢٨ — وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَىْءٍ نَحْنُ وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَىْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ؟ (٣٥) .

قال الذين أشركوا على سبيل الاستهزاء : لو كان الله يريد أن لا نعبد من دونه شيئاً نحن ولا آباؤنا لما عبدنا هذه الآلهة ولا حرّمنا غير ما حرّمه ، كذلك قال الذين من قبلهم من المشركين : يعنى أنتم مثل من قبلكم ممن لم يطلع على حقائق الأمور ؛ فالواجب على الرسل التبليغ وعليكم الامتثال ، فهل على الرسل إلا البلاغ الواضح و إلزام الحجة البينة ؟

٢٩ — إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٥) .

إنما حرّم الله عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما لم يذكر اسم الله عليه عند ذبحه ؛ فمن اضطر لتناول شىء من هذه المحرمات غير ظالم ولا متعدّ ، فإن الله غفور رحيم .

٣٠ — وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ (١١٦) .

سبق شرحها فى باب الحلال رقم ١٧ .

٣١ — وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَاقَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨) .

وقد حرّمنا على اليهود ماذكرناه لك من قبل وما ظلمناهم نحن ؛ ولكنهم كانوا يظلمون أنفسهم .

سورة الإسراء

٣٢ — وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ . وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣) .

ولا تقتلوا النفس التى حرّم الله قتلها إلا إذا استحقته ، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه حقا فى طلب القصاص من القاتل ، فلا يحملنه الحزن على قريبه أن يمثل بقاتله و يقتل معه سواه ؛ إنه منصور على أىّ حال .

سورة القصص

٣٣ — وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) .

وحرّمنا على موسى عليه السلام المراضع فامتنع عن الرضاعة ، فقالت أمه لآل فرعون : هل أدلكم على امرأة تكفله وتقوم بأمره وتنصح فى خدمته ؟

سورة التحريم

٣٤ — يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) .

يأيها النبى لأىّ شىء تحرم على نفسك ما أحلّه الله لك ؟ تتطلب بذلك رضاء زوجاتك ، وقد غفر الله لك هذه الفعلة إنه غفور رحيم .

سبق شرحها فى باب الحلال رقم ٢٠ .

رابعاً – الأحاديث النبوية التي وردت في ذم الحرام

١ — عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَذْهَبَ بِهِ إِلَى الْجَبَلِ فَيَحْتَطِبَ ثُمَّ يَأْتِيَ بِهِ فَيَحْمِلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَأْكُلَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ ، وَلَأَنْ يَأْخُذَ تُرَاباً فَيَجْعَلَهُ فِي فِيهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ فِي فِيهِ مَاحَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ » .

المعنى : يكدّ الإنسان ويسعى إلى جلب رزقه من سبل العمل الشريف وهذا أفضل من الشحاذة ، وإساغة التراب طعاماً خير من أكل الحرام .

٢ — وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « مَنِ اشْتَرَى ثَوْباً بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ وَفِيهِ دِرْهَمٌ مِنْ حَرَامٍ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ صَلَاةً مادَامَ عَلَيْهِ . قَالَ : ثُمَّ أَدْخَلَ أُصْبُعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ ثُمَّ قَالَ : صُمَّتَا إِنْ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم سَمِعْتُهُ يَقُولُه » رواه أحمد . (صمّتا : أي أصيبتا بصمم ولم يسمعا) .

٣ — وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « مَنِ اشْتَرَى سَرِقَةً (شيئاً مسروقاً) وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا سَرِقَةٌ فَقَدِ اشْتَرَكَ فِي عَارِهَا (فضيحتها) وَإِثْمِهَا (ذنبها) رواه البيهقي .

٤ — وعنه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إِذَا أَدَّيْتَ زَكَاةَ مَالِكَ فَقَدْ قَضَيْتَ ماعَلَيْكَ ، وَمَنْ جَمَعَ مالاً حَرَاماً ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ ، وَكَانَ إِصْرُهُ عَلَيْهِ » .

المعنى : المتصدق من المال الحرام محروم من ثواب إنفاقه و إصْرُه عليه : أي ذنبه عليه .

وفي رواية أخرى : « مَنْ كَسَبَ مالاً مِنْ حَرَامٍ فَأَعْتَقَ مِنْهُ وَوَصَلَ مِنْهُ رَحِمَهُ كَانَ ذَلِكَ إِصْرًا عَلَيْهِ » أي أنفق منه على أقاربه كان ذلك ذنباً عليه .

٥ — وروى أبو داود عن القاسم بن مخيمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « مَنِ اكْتَسَبَ مالاً مِنْ مَأْثَمٍ فَوَصَلَ بِهِ رَحِمَهُ أَوْ تَصَدَّقَ بِهِ ، أَوْ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ جُمِعَ ذَلِكَ كُلُّهُ جَمِيعاً فَقُذِفَ بِهِ فِي جَهَنَّمَ » .

المعنى : من اكتسب مالاً من طرق جالبة السيئات والآثام الجسام ، وأعطى منه أقاربه أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله ، فجامع المال هذا من حرام ، أعماله هذه باطلة لا ثواب له فيها ، ويقذف مع ماله في النار .

٦ — وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلاَقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ ، وَإِنَّ اللهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لاَ يُحِبُّ ، وَلاَ يُعْطِي الدِّينَ إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُسْلِمُ أَوْ لاَ يَسْلَمُ عَبْدٌ حَتَّى يُسْلِمَ أَوْ يَسْلَمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ ، وَلاَ يُؤْمِنُ حَتَّى يُؤْمِنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ . قالوا : وما بوائقه ؟ قال : غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ ، وَلاَ يَكْسِبُ عَبْدٌ مَالاً حَرَاماً فَيَتَصَدَّقُ بِهِ فَيُقْبَلُ مِنْهُ ، وَلاَ يُنْفِقُ مِنْهُ فَيُبَارَكُ لَهُ فِيهِ ، وَلاَ يَتْرُكُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلاَّ كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَمْحُو السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئِ ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ ، إِنَّ الْخَبِيثَ لاَ يَمْحُو الْخَبِيثَ » رواه أحمد وغيره .

٧ — وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ ، أَمِنَ الْحَلاَلِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ ؟ » رواه البخاري والنسائي . وسيأتي شرحه .

٨ — وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاَ تَغْبِطَنَّ جَامِعَ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ، أو قال : مِنْ غَيْرِ حَقِّهِ ، فَإِنَّهُ إِنْ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ ، وَمَا بَقِيَ كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ » رواه الحاكم .

٩ — وعن معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا تَزَالُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ ؟

وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ ؟ » رواه البيهقي .

١٠ — وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ : إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ » . رواه ابن حبان .

١١ — وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ جَسَدٌ غُذِيَ بِحَرَامٍ » رواه الطبراني والبيهقي .

١٢ — وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الْحَلَالُ بَيِّنٌ ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ؛ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ؛ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » . رواه البخاري ومسلم والترمذي وسيأتي شرحه .

١٣ — وفي حديث عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ يُنَادِي كُلَّ لَيْلَةٍ : مَنْ أَكَلَ حَرَامًا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ » . فقيل — الصرف : النافلة . والعدل : الفريضة .

١٤ — وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ اللهَ تَعَالَى طَيِّبٌ (١) لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا (٢) ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا) . وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) ثُمَّ ذَكَرَ : الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ ؟ » رواه مسلم .

(١) أي منزه عن النقائص ومتصف بكل كمال (٢) أي إلا عملا صالحا خالصا لوجهه تعالى اهـ مصححه

ملحوظة : سبق شرحه فى أحاديث الحلال ، وذكر هنا لأنه يشير إلى الحرام .

١٥ — وعن أبى بكرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ (ثلاثاً) قالوا : بلى يارسول الله . قال : الْإِشْرَاكُ بِاللهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وجلس — وكان متكئاً — فقال : أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ . قال : فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت » رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وسيأتى شرحه .

١٦ — وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ . قالوا يارسول الله وما هُنَّ ؟ قال : الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّى يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ » . رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى . وسيأتى شرحه .

أكبر الكبائر المحرمة شرعاً

الشرح والبيان لحديث ١٥

الذنوب درجات : فما فحش ضرره فكبيرة ، وما زاد فحشه فأكبر الكبائر ، وما قلّ ضرره فهو الصغيرة ، وكلٌّ حرم الله ، ومنع مقارفته ، والرسول صلى الله عليه وسلم يعرض على الحاضر تحديثهم بأكبر الكبائر ، وفى هذا العرض لفتهم إلى مايحدّث ، وصرف آذانهم لسماعه ، وقلوبهم لوعيه .

وقد كرر كلمة العرض ثلاث مرات حتى يزدادوا تنبها ، و يتوجهوا إليه توجها . فقالوا نعم يارسول الله حدثنا بأكبرها ، فحدثهم الرسول بثلاث :

أولها : الشرك بالله ، واتخاذ الأنداد والوسطاء ، والأولياء والشفعاء ، ودعاؤهم فى الملمات كما يُدعى ، وعبادتهم كما يعبد ، والتقرب إليهم بالقرابين والنذور وضروب التقديس ؛ وتلك أكبر جريمة أن تجعل لمن خلقك ندّا ، وأن تشرك به مالا يملك ضرًّا ولا نفعاً ، ولاحياةً ولاموتاً ، وأن تشرك به أمواتاً غير أحياء ، عجزةً غير أقوياء ، وأن تشكر من لانعمة

له عليك ، ولايد له واصلة إليك ، وأن تعبد وَهماً وخيالاً ، وتدعو أسماء ، وأن تنادى من لايسمع ولا يبصر ؛ وربك أقرب إليك من حبل الوريد ، قد فتح أبوابه للسائلين ، ووعد بالإجابة للداعين ، فادع الله وحده مخلصاً له الدين ، وصدق بعملك قولك لربك : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) . واذكر قوله تعالى : (إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيماً) .

وقوله : (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ، أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) .

وثانيها : عقوق الوالدين ، وإيذاؤهما بالقول أوالعمل ، فسبهما وشتمهما ، بل قول أفٍّ لهما ـ عقوق وقطيعة ، وكذلك عصيان أمرهما ، والتلكؤ فى قضاء شئونهما ، ومدّ اليد بالسوء إليهما ، كل ذلك عقوق ونكران للجميل .

نعم إن دعواك إلى الإشراك أوعصيان الخلّاق فلا تطعهما وإن وجب عليك البرّ بهما وحسن المصاحبة لهما (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِى مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ، وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ) .

واعلم أن الله تعالى قرن الإحسان إليهما بالقضاء له بتوحيده فى العبادة ؛ إذ يقول : وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) . وأمرك بالقول الكريم ، الصنع الجميل ، والدعاء لهما بالرحمة ؛ فلاتضع الإساءة موضع الإحسان ، ولا الكفران كان الشكران .

واعلم « أنّ اللهَ لاينظرُ يومَ القيامةِ إلى ثلاثةٍ : العاقّ لِوَالِدَيْهِ ، وَمُدْمِنِ لَخَمْرِ ، وَالْمَنَّانِ » روى ذلك النسائى والحاكم وصححه ابن حبان .

وقد قرر العلماء وجوب طاعتهما فى المباحات فعلاً وتركاً ، واستحبابها فى المندوبات ، فروض الكفاية كذلك . ولقد استأذن امرؤ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الجهاد فى الإذن له إلا بعد استرضاء والديه . فإياك أن تهمل فى حق من ربّياك صغيرا .

وثالثها : قول الزور والباطل ، وقد أكبر الرسول صلى الله عليه وسلم خطره ، وأعظم جُرمه ، إذ جلس له بعد اتكائه اهتماماً بشأنه ، وصدّر قوله بأداة التنبيه ، وكرر كلمته حتى شق على نفسه ، وبدا الغضب فى وجهه ، وتمنى أصحابه لو سكت ، شفقةً عليه ، ورحمةً به ، كما كان بهم رءوفاً رحيماً . وقولُ الزور قرنه القرآن بالشرك فى قوله : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) .

وجاء فى ضمن أوصاف عباده المخبتين قوله : (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) وقول الزور يشمل شهادة الباطل ، والحكم الجائر ، ورمىَ الأبرياء بما هم منه برآء ، والقولَ على الله بغير علم ، فكل ذلك داخل فى قول الزور .

هذا ، وإن شاهد الزور يسىء إلى نفسه ، إذ يبيع آخرته بدنيا غيره ، ويسىء إلى من شهد له بإعانته على ظلمه ، وإلى من شهد عليه بإضاعة حقه ، وإلى القاضى بإضلاله عن الحجة ، وإلى الأمة بزلزلة الحقوق فيها ، وعدم الاطمئنان عليها .

ومن المخزى الفاضح أن يكثر بيننا من يشهدون زوراً لمجرد صداقة أو رجاء ، أو نظير مبلغ يسير يتقاضونه ؛ أولئك الذين خربت ذممهم ، وخبثت نفوسهم ، ولم يخالط الإيمان قلوبهم ، أولئك قرناء المشركين ، وإخوان الشياطين .

(الأدب النبوى — الحديث ٣١)

المرحوم الشيخ عبد العزيز الخولى

شرح الحديث السادس عشر فى الجرائم الموبقات المحرمات

الحسنات درجات ، والسيئات درجات ؛ فما كان من الحسنات نفعه كبيرٌ كان ثوابه عند الله عظيماً ، وما كان نفعه دون ذلك ، كان ثوابه أدنى .

وما كان من السيئات ضرره بليغ فهو الكبيرة الموبقة ، والفاحشة المهلكة ، وما كان ضرره دون ذلك فهو الصغيرة التى يكفرها مجانبة الكبيرة .

وفى هذا الحديث أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم باجتناب السبع الموبقات المحرمات المهلكات التى جاء فيها الوعيد الشديد بالعذاب الأليم ، وهاك بيانها :

فأولها : الشرك بالله ، وهو أكبر الذنوب وسبق شرحه فى حديث أكبر الكبائر .

ثانيها : السحر ، وهو حُوب كبير ، وزور عظيم ؛ لأن فيه تلبيساً وتعمية ، وستراً لحقائق ، ووضع غشاء على الأبصار ، وإضلالاً للعامة ، وزلزالاً لعقيدتهم فى ترتيب المسببات على أسبابها ، والنتائج على مقدماتها ، فإن كان من سبيله الاتصال بالشياطين ، والتقرب إليهم بالعصيان كانت تلك أضراراً أخرى ، وإن كان منه مايؤثر فى القلوب الحب والبغض ، وفى الأجسام بالسقم والألم كان أشد فحشاً ، وأعظم ضرراً .

وقد اتفق العلماء على حرمة تعلم السحر وتعليمه وتعاطيه وقالوا : إن كان فيه قول أوفعل يقتضى الكفر كان كفراً .

وقال مالك وأحمد وجماعة من الصحابة والتابعين : تعاطى السحر كفر يوجب القتل ، يلزم منه حرمة التعلم والتعليم ، لأن ذلك وسيلة إلى العمل به ، فإن كان ذلك لمجرد الإحاطة والوقوف عليه ، وأمن العمل به ، ولم يكن فى سبيله اقتراف جريمة لم يتجه التحريم ، كمن يتعرف الأديان الباطلة ، وطرق العبادة فيها فإنه لايأثم بذلك ، ولا يخرج من حظيرة الإسلام ، بل له ثواب إن أراد النهى عنه والتحذير منه .

ثالثها : قتل النفس المحرمة ، وسبق الكلام عليها فى باب القتل .

رابعها : أكل الربا . ـ وخامسها : أكل مال اليتيم . وسبق الكلام عليهما .

سادسها : التولى يوم الزحف ، والفرار من لقاء العدو ، والهرب من وجه الجيش

الهاجم، والعدو المناجز ، فإن ذلك هو الجبن ، و إن ذلك فيه إضعاف الشوكة ، والفت في عضد المجاهدين ، و إن فى ذلك ضياع البلاد ، و إضعاف الدين ، والقضاء عليه ، وفى ذلك تمكين الأعداء من دمائنا ونسائنا وأولادنا وأموالنا ، وفى ذلك الاستعباد والاستذلال ، والقضاء على الحريات ؛ فبع نفسك لربك ، واشتر بمالك ونفسك جنةً عرضها السموات والأرض ؛ وما الشجاع إلا من يميت نفسه فى سبيل حياة دينه ، و إرضاء ربه ، و إن الموت لامحالة مدركك ، فليكن فى سبيل العزة والكرامة ؛ كما قال الشاعر :

و إذا لم يكن من الموت بدّ فمن العار أن تموت جبانا

ليكن الموت فى سبيل الحياة لقومك .

وفى التولى يوم الزحف ، يقول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ . وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) .

وسابعها : قذف المحصنات المؤمنات الغافلات : وكيف لا يكون جريمة منكرة ، و إفكاً إذًا أن تعمد إلى امرأة متمتعة بالحصانة ، بعيدة عن الريبة ، لاتخطر بقلبها الفاحشة ، ولا تتحدث بها نفسها الطيبة ، تعمد إلى هذه الحرة العفيفة ، التى ملأ قلبها الإيمان ، فلم يكن فيه موضع لنية خبيثة ، ولسانها رطب بذكر الرحمن ، فلم ينطق بالزور ، ولم يتحرك بالخنا ، وصرفت كل جوارحها فى العمل الصالح ، وكل وقتها فى تدبير بيتها وتربية ولدها ، وتطهير نفسها . من يرم هذه بالفاحشة ، ويقذف الطهارة بالقذارة ، والعفة بالعهارة ، والطيب بالخبيث فجزاؤه ما قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ، وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ـ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا ، وَالْآخِرَةِ ، وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ـ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

فيا أيها المسلم لاتدنس نفسك بهذه الموبقات ، فتوجبَ لها مقت الله ، ومقت الناس ، وتعرّضها لشديد العذاب فى الدنيا والآخرة ، بل اجعلها الطاهرة النقية الطيبة المهذبة ، التى لاترضى باالخير بديلاً .

(الأدب النبوى — الحديث ٣٤)

للمرحوم الشيخ عبد العزيز الخولى

ماجاء فى الآثار والأخبار

(١) عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان لأبى بكرٍ الصدِّيقِ رضىَ اللهُ عنهُ غلامٌ يُخرجُ لهُ خَرَاجًا ، وكان أبو بكر يأكلُ من خراجِهِ ، فجاءَ يوماً بشىءٍ فأكلَ منهُ بو بكرٍ . فقال له الغلامُ : أتدرى ماهذا ؟ فقال أبو بكر : وماهوَ ؟ قال : كنتُ تكهَّنْتُ ، ى فعلتُ فعل الكهان من معرفةِ الطَّالع لإنسان فى الجاهليةِ ، وما أُحسِنُ الكهانةَ إلى ن خدعتهُ فلقينى فأعطانى لذلكَ هذا الذى أكلتَ منهُ ؛ فأدخل أبو بكر يدهُ فقاءَ كلَّ ىءٍ فى بطنهِ » رواه البخارى .

(أى أخرج مادخل فى بطنه لأن فيه شبهةً ، ويريد أبو بكر رضى الله عنه أن يأكل حلالاً ليقبل الله عمله ، ويرضى عنه) .

(٢) قال سفيان الثورى رضى الله عنه : من أنفق من الحرام فى طاعة الله كان كمن طهر الثوب النجس بالبول ، والثوب النجس لايطهره إلا الماء الطاهر ، والذنب لا يكفره لا الحلال ، وفى الأمثال (ليتها لم تزن ولم تتصدق) .

(٣) وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لا يقبلُ اللهُ صلاة امرئٍ فى جوفه حرام .

(٤) وقال ابن المبارك : ردّ درهم من شبهة أحبُّ إلىّ من أن أتصدق بمائة ألف درهم مائة ألف ألف ، حتى بلغ إلى ستمائة ألف .

(٥) وقال سهل رضى الله عنه : من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى ، علم لم يعلم.. ومن كانت طعمته حلالاً أطاعته جوارحه ووُفِّقت للخيرات .

(٦) وجاء فى الآثار عن السلف الصالح : أنّ الواعظ إذا جلس للناس قال العلماء : تفقدوا منه ثلاثاً : فإن كان معتقداً لبدعة فلا تجالسوه ، فإنه من لسان الشيطان ينطق ، وإن كان سيئ الطعمة ، ففى الهوى ينطق ، وإن لم يكن مكين العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه .

(٧) وفى الأخبار المشهورة عن علىّ عليه السلام : إن الدنيا حلالها حساب ، وحرامها عذاب ، وزاد آخرون : وشبهتها عتاب .

(٨) وروى عن بعض الصالحين : أنه دفع طعاماً إلى بعض الأبدال فلم يأكل ، فسأله عن ذلك فقال : نحن لا نأكل إلا حلالاً ، فلذلك تستقيم قلوبنا ، ويدوم حالنا ، ونكاشف الملكوت ، ونشاهد الآخرة ، ولو أكلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا إلى شئ من علم اليقين ، ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا . فقال له الرجل : فإنى أصوم الدهر ، وأختم القرآن فى كل شهر ثلاثين مرة . فقال له البدّال : هذه الشربة التى رأيتنى شربتها من الليل ، أحب إلىّ من ثلاثين ختمة فى ثلثمائة ركعة من أعمالك ، وكانت شربته من لبن ظبية وحشية .

(٩) وقد كان بين أحمد بن حنبل ويحيى بن معين صحبة طويلة ، فهجره أحمد إذ سمعه يقول : إنى لا أسأل أحدا شيئاً ، ولو أعطانى الشيطان شيئاً لأكلته ، حتى اعتذر يحيى وقال : كنت أمزح فقال : تمزح بالدين ، أما علمت أن الأكل من الطيّب قدمه الله تعالى على العمل الصالح . فقال الله تعالى : (كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَٰتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا) .

(١٠) وفى الخبر أنه مكتوب فى التوراة : من لم يبال من أين مطعمه ، لم يبال الله من أىّ أبواب النيران أدخله .

(١١) وعن على رضى الله عنه : أنه لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاماً إلا مختوماً حذراً من الشبهة .

وقد قيل فى المعنى

ليس الشديد الذى يحمى فريسته ... عند القتال ونار الحرب تشتعل
لكنّ من كف طرفاً أو ثنى قدماً ... عن الحرام فذاك الفارس البطل
ليس من يقطع طرقا بطلاً ... من يتقى الله هو البطل

بيان حكمة تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير

وما أهلّ به لغير الله

حرّم الشارع أكل هذه الأربعة للأسباب الآتية :

أولاً : الميتة ، لأن الدم قد احتقن فيها ، وشمل أجزاءها ، وانتشر فى سائر الجسم ، مع مافيه من المواد السمية التى حدثت فيه عند انقلابه وتغيره من حالته الأصلية إلى الحالة التى يرى فيها أسود كميتاً[1] . ولما كان من الضرورى تمييز الميتة من غيرها ضبط ذلك بما قصد إزهاق روحه للأكل فجرّ ذلك إلى تحريم (المتردية) وهى التى تسقط من الأعلى إلى الأسفل (والنطيحة) وهى التى قتلت نطحاً بالقرون (والمنخنقة) وهى التى تخنق فتموت (والموقوذة) وهى التى تقتل بغير محدّد كالعصا والحجر ونحوهما (وما أكل السبع) وبقى منه بقية ، فإنها كلها خبائث مؤذية ، ويحرم أكلها كما قال تعالى : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلاَمِ ذٰلِكُمْ فِسْقٌ) الآية

ثانياً : الدم ، لأنه غير ناضج ، وهو ما اتفقت الحكماء على حصول الضرر منه ، وقد استثنى من تحريم الميتة والدم مابيّنه النبى صلى الله عليه وسلم من قوله : « أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ ؛ فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ ، وَأَمَّا الدَّمَّانِ فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ » .

وحكمة الحلّ والله أعلم — أن الحوت والجراد ليس فيهما دم مسفوح ، فلذلك لم يشرع فيهما الذبح . وأما الكبد والطحال فإنهما ليسا دما فى الواقع ونفس الأمر ، وإنما هما

(١) الكميت: كزبير: الذى خالط حمرته قنوء . اهـ مصححه .

عضوان من أعضاء البهيمة لكنهما يشبهان الدم ، فأزال صلى الله عليه وسلم الشبه منهما .

ثالثاً : لحم الخنزير : فقد ثبت بواسطة النظارات المكبرة أن بين أجزاء جسمه ووسط أليافه ديداناً لاحصر لها ، وقد دلت التجربة على أنها لاتموت ، ولو بعد نضجه واستوائه ، فأكله مع مافيه من هذه الديدان مما يلحق بالجسم أضراراً بليغةً ، وأمراضاً رديئةً ؛ ومن ذلك مايتولد عنه مما يسميه الحكماء (بالدودة الوحيدة) وهي حيوان يوجد في المعدة على شكل الضفيرة من السعف لايهنأ لصاحبها طعام ولا شراب ، وتلتقم كل مايدخل في جوفه ، وإذا جاع قليلاً تحركت وأخذت تموج في بطنه ذات اليمين وذات الشمال حتى لايشك في أنه سيموت من شدة مايعتريه من الأوصاب والآلام .

رابعاً : تحريم ما أهلّ به لغير الله ، فلأن الذبح بغير اسم الله تعالى شرك به ، فاقتضت الحكمة الإلهية أن ينهى عن هذا الإشراك ، ثم يؤكد التحريم بالنهي عن تناول ماذبح له ، ليكون ذلك مانعاً عن ذلك الفعل ، فيكون فيه منع الإشراك ، بعدم تعاطي أسبابه .

وبعد أن منع جل شأنه أكل هذه الأربعة المحرمات ، وبين أنه حرام ، أخذ يبين أن ذلك مقيد بعدم الضرورة والحاجة . أما عند الضرورة والحاجة بأن خاف الإنسان على نفسه ، ولم يجد مايسدُّ به رمقه غير أحد هذه الأربعة ، فلاحرج في ذلك ولا إثم على فاعله قال تعالى : (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

أي فمن اضطرته الحاجة والضرورة إلى أكل واحد من هذه الأربعة التي حرمها الله تعالى فلا إثم عليه ولاحرج في أكله ، بشرط أن لايحمله على أكله إلا الضرورة لا الشهوة ، وهو معنى غَيْرَ بَاغٍ ، وأن لايتناول منه إلا مايدفع الضرورة ، فمتناول مافوقها هو العادي ، فإنه جل شأنه غفور لمن تاب إليه من عباده ، رحيم بهم ، حيث أحلَّ لهم الحرام عند الاضطرار ، والله بسرِّ كلامه عليم .

الحلال بين والحرام بين

عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ؛ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ؛ أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » رواه الشيخان .

الشـــرح

قال العلامة العيني : أجمع العلماء على عظم موقع هذا الحديث ، وأنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام . قالوا : وسبب عظم موقعه أنه عليه الصلاة والسلام نبّه فيه على صلاح المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغيرها ، وأنه ينبغي أن تكون حلالا ، وأنه ينبغي ترك المشتبهات فانه سبب لحماية الدين والعرض ، وحذّر من الوقوع في الشبهات ، ثم وضح ذلك بضرب المثل ، ثم بين أهم الأمور وهو مراعاة القلب .

وقال ابن العربي : يمكن أن ينتزع من هذا الحديث وحده جميع الأحكام .

قال القرطبي : لأنه اشتمل على التفصيل بين الحلال وغيره ، وعلى تعلق جميع الأعمال بالقلب .

وقال النووي : معناه أن الأشياء ثلاثة أقسام : حلال واضح لا يخفى حله ، كأكل الخبز والفواكه ، وكالكلام والمشي وغير ذلك . وحرام بيّن كالخمر والدم والزنا والكذب وأشباه ذلك .

وأما المشتبهات فمعناه أنها ليست بواضحة الحلّ والحُرمة ، ولهذا لا يعرفها كثير من الناس ؛ وأما العلماء فيعرفون حكمها بنصّ أو قياس أو استصحاب أو غيره .

تلك طائفة من أقوال السادة العلماء طالعناك بها في وجه الكلام لتأنس بها في شرح الحديث ، ومهما يكن من شيء فالحلال : ماورد نص بحلّه من كتاب الله ، أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

والحرام : ماورد نص بحرمته من كتاب الله أوسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكلاهما بيّن واضح معلوم من الدين بالضرورة ، وكلاهما حكم به أحكم الحاكمين لمصلحة وفائدة تعود علينا نحن المكلفين ، رحمةً منه وفضلاً (وَلٰكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) .

وهو جلّت قدرته الخالق لنفوسنا ، والعليم بما يصلحها ومايفسدها ، فما أحلّه لنا وأذن لنا فى تعاطيه كقوله تعالى : (كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا) . وكقوله : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) . فذلك بمحض رحمته ومنّته ، وما حرّمه علينا كالخمر التى تفسد عقولنا ، ولحم الخنزير الذى يورّثنا الجبن والنذالة ، ويضر أعضاء النسل مثلاً ، فهذا منتهى الفضل والرحمة أيضاً (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) . وبيّن الحلال الواضح والحرام الواضح أمور مشتبهة تخفى على كثير من الناس ، ويشتبه عليهم أمرها فلا يعرفون أنها من قسم الحلال أومن قسم الحرام ، وهى ماتعارضت فيها الأدلة من غير ترجيح ، أولم يرد فيها نصّ لابالحلّ ولابالحُرمة ، أوتوقف فيها العلماء ، وكلها أمور توقع فى الحيرة والشك .

فالأولى تركها احتياطاً فى الدين ، وبراءةً للذمة ، مما عساه يكون فى الواقع غير ما فهمته .

وحينما كانت تلك الأمور الغير الواضحة الحلّ أوالحُرمة مما يوقع الإنسان فى الشك والريبة ، ويبعده عن ساحة اليقين والاطمئنان كان من الورع وكمال الدين تركها ، فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ » .

ولقد ضرب لأمته المثل بنفسه حيث قال فى تمرة ساقطة وجدت فى بيته : « لَوْلَا أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً لَأَكَلْتُهَا » .

وبعيد جدا أن تكون هذه التمرة من مال الصدقة حيث كانت فى بيته صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك فقد اشتبه فيها ، وامتنع عن أكلها لتتأسى به أمته فى التورع عن مواطن الشبه ، فإن فى ذلك تطهيراً للدين والعرض معاً . ولذلك قفى على أثر ماتقدم فى الحديث بقوله : « فمن اتقى الشبهات » وتجنبها وتحفظ منها ، فقد حقق البراءة لدينه فأصبح من المطمئنين الموقنين ، وعرضه فلم يعرّضه لقالة السوء ، وغواة الفتنة .

فضلاً عن أنه احتياط من الوقوع فى الحرام والهلكة بالإثم والذنب ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه أو يرتع فيه .

فإذا كنت تريد الاقتداء بصفوة الخلق ، ولزاماً عليك أن تقتدى به ، إن كنت مؤمناً حقًّا فاترك كل مافيه شبهة ، فلا تأكل من مال من يتعاطى الربا ، ولو قالت العلماء بجوازه . « فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يَقِفَنَّ مَوَاقِفَ التُّهَمِ » .

ألا ترى أن تلك الجملة الكريمة قالها صلى الله عليه وسلم لمن رآياه مع امرأة فهرولا وأسرعا فى المشى ، فقال لهما : « عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ » ـ وصفية من أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم ـ خوفاً عليهما أن يظنا به شرًّا ، ولم ينظر إلى أن هذا الظن منهما بعيد أو فى حكم المستحيل ؛ لأنهما أجابا الرسول عليه الصلاة والسلام بقولهما : سبحان الله أونظن بك ذلك ؟ فقال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ ، وَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِى قُلُوبِكُمَا شَرًّا » . وعملاً بهذا المثل الأعلى : ينبغى للمسلم أن يتجنب مواطن الشبه حتى لايقع فى الحرام وهو لايشعر .

وقد لايخفى عليك أن من ترك مافيه شبهة كان أكثر تركاً لما ظهرت حرمته ، فعاش مغمورًا بهالة من اليقين والطمأنينة ، نقىّ الصفحة ، محمود السيرة ، حتى يلقى ربه بقلب سليم .

وإذا كان لكل ملك من الملوك حمًى يختصه لنفسه ، ويحميه بسطوة الملك من أن يجور عليه أحد ، فإن الله تعالى وهو ملك الملوك ، والمالك الذى كل ماسواه مملوك له ، قد جعل حماه فى الأرض (محارمه) أى الأمور التى حرمها على عباده المؤمنين .

فمن تهاون بالمشتبهات حتى استباح حرمات الله فوقع فى الحرام ، فقد أحلّ بنفسه عقاب الله (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) ، وقد ظلم نفسه بالمعاصى ، فاستحق انتقام ذى البطش الشديد (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِىَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) .

ولما كان القلب بمنزلة الملك الذى لايجوز للرعية أن تفعل شيئًا إلا بإذنه ، وكان الجسم بمنزلة هذه الرعية ، لاجَرَم قفىّ على أثر ذلك المرشدُ الأعظم صلى الله عليه وسلم

بالحكمة الختامية فقال : « أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّه ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ » .

القلب أيها الأخ المؤمن هو كل شئ ، وهو مكان الذكرى والتدبر (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) .

(عن كتاب — الإنتاج باختصار)

الموضوعات

الحـــلال والحرام

الحلال : ما أحله الله لمصلحة وفائدة العباد . والحرام : ماحرَّمه الله لما فيه من الضرر والفساد ، وقد بينهما الله فى كتابه العزيز فى كثير من الآيات السابق ذكرها وأشار إليهما الرسول صلى الله عليه وسلم فى أحاديثه النبوية الشريفة التى سبق ذكرها أيضًا .

وقد أمرنا الله باتباع الحلال ، ونهانا عن عمل الحرام ؛ والإنسان فى جميع العالم مكلف بالسعى على معاشه لقوله تعالى : (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ) ؛ وا كتساب المال الذى عليه قوام الحياة من طرق الحلال المشروعة ، والابتعاد عن كسبه من طرق الحرام الممنوعة .

ولنذكر هنا باختصار طرق ا كتساب المال ، والوجوه التى يحل فيها صرفه ، والوجوه التى يحرم فيها صرفه .

طرق ا كتساب المـال

إن طرق ا كتساب المال وتحصيله هى : الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، وقد ذكرناها فى كتابنا : «سبل النجاح » ويطلب من مكتبة هندية بالموسكى .

والمهن الشريفة : كوظائف خريجى الحقوق ، والطب ، والهندسة ، والحربية ، والبوليس ، والمعاهد الدينية ، وغيرها ، والوظائف العامة لخدمة الأمة ، وكلها من الطرق الحلال المشروعة

أما الطرق غير المشروعة فهى : السرقة ، والنصْب ، والاحتيال ، والغصب ، والرشوة ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وأكل مال اليتيم .

وسنتكلم على كل منها باختصار نقلاً عن كتابنا « تقويم الأخلاق » الجزء الثانى . وقتل النفس أيضًا من الجرائم المحرمة شرعاً .

هذا ، وإن المكاسب الحلال الشريفة قليلة ، ووجوهها يسيرة عند الرجل العادل الحر . وأما غير العادل فليس يبالى كيف اكتسب المال ؟ ومن أين وصل إليه ؟ ولذلك يوجد كثير من الأحرار الفضلاء ناقص الحظ منه ، ويوجد أيضًا ذامّين للبخت ، شاكين منه .

وأما أضدادهم فنظرًا لكونهم يكتسبون المال من وجوه الحرام : أى وجوه الحيلة والغصب والخيانة ، ولا يبالون كيف وصل إليهم ؟ فإنهم يوجدون أبدًا وافرى الحظ منه ، واسعى النفقات ، شاكرين لحظوظهم ، والعامة يغبطونهم ، بل ويحسدونهم على ذلك .

ألا إن الرجل العاقل إذا رأى نفسه لم تتدنس بالقبيح من المكاسب ، ولم يتطرق إليه بخيانة ولا سرقة ولا ظلم لمن دونه أو مثله ، وتجنب فيه وجوه العار والفضائح ، كالخداع أو ترويج السلع الرديئة على الأغنياء واستنزالهم عن أموالهم بالخداع والمكر ، ومساعدتهم على ارتكاب الفواحش ، وتحسين البضائع المزجاة ، وما يجرى مجرى ذلك من السعاية والنميمة والغيبة وضروب الفساد التى يرتكبها طلاب المال من غير وجهه الشرعى الشريف بضروب المناسبات ووجوه الظلم يُسرُّ فى نفسه ، ويعتاض من المال الراحة والمحمدة ، ولا يلوم البخت ، ولا يبغض الأغنياء ، ولا يحسد أصحاب الأموال المكتسبة من غير وجوهها الشريفة .

ولنضرب لك مثلاً بصاحب الأرض الذى يجمع المال بتأجير أطيانه بأجر فاحش إلى صغار الفلاحين ، ويغدر بهم فى المعاملة ، فلا يكسبون من وراء تعبهم طول عامهم ما يكفيهم لحاجاتهم الضرورية ، ويزج هو بالمال فى الخزانة ، أو يصرفه فى اللهو والقمار والموبقات ، أو يحبسه عن مايعود على الناس بالفائدة .

وكالتاجر الذى يغش بضاعته ليحصل بسبب هذا الغش على ربح عظيم .

وكالذى عنده نوع من أنواع الحبوب ، فيغتنم فرصة قلة الموجود منها عند غيره فيزيد فى السعر إلى حد فاحش ، ليحصل بذلك على ربح كثير ، غير مفكر فيما يلحق الناس من الضرر ، وكموظف يحتاج الناس إليه بسبب وظيفته ، فيمد يده إلى الأخذ من أموالهم رشوة ، وأشباه ذلك كثيرون ، لهم طرق شتى غير شريفة فى الحصول على المال .

فهؤلاء فى جسم الأمة كالأصبع المريض لاينتفع به ، ولايرتاح الجسم من ألمه . فأمثال هؤلاء يجب بترهم من جسم الأمة ، لأنهم أعضاء فاسدة تضر ولاتنفع .

خطبة فى الكسب حلاله وحرامه

الحمد لله مقسم الأرزاق بين العباد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بيّن طريق الرشاد ، أحمد الله تعالى وأستغفره ، وأشهد أن لاإله إلا الله دعا إلى الكسب الحلال ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله نهى عن الغش والضلال ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أهل الفضل والنبل والشرف والكمال .

عباد الله — كل منا يسعى لكسب رزقه وعيشه ، ويكد فى سبيل حياته وحاجاته ، كل إنسان مدفوع بغريزته إلى المحافظة على نفسه ، والحرص على وجوده ، فلن يستغنى مخلوق عن الأكل والشرب ليصون جسمه من الهلاك ، ولا غنى له عن ملابس تقيه شدة الحرّ والبرد ، ولابد له من سكن يأويه وينام فيه ، ثم هو مدفوع بغريزته أيضًا إلى الزواج وتكوين الأسرة ، مشتاق إلى النسل والذرية ، وهو وحده المسئول عن إدارة بيته ، المكلف بالإنفاق على زوجه وولده .

قال الله تعالى : (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) .

شعر الرجل بمسئوليته ، وأدرك ضرورة السعى على نفسه وعياله ، فاشتغل بالزراعة والتجارة والصناعة والحرف ، وتقلد الوظائف يتقاضى مرتبًا ، فكان كاتبًا ومدرسًا وخطيبًا

ومهندسًا « وكل ميسر لما خلق له » . وسبحان من قسم الأرزاق بمشيئته ، وفضل بعضها على بعض بحكمته . قال الله تعالى : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) .

هذا السعي على العيش واجب ، والتكسب فرض لازم ، والعمل سر النجاح ، والضرب في الأرض ابتغاء فضل الله أمر مشروع ، واحتراف الحرفة ، واتخاذ المهنة عمل محبوب عند الله . قال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ يَتَّخِذُ الْمِهْنَةَ لِيَسْتَغْنِيَ بِهَا عَنِ النَّاسِ » . وقال تعالى : (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ) .

فإذا كان المال مطلوبًا لكل إنسان ، محبوبًا لجميع الناس ، يصرفونه في شئونهم ؛ فهل يترك الله عباده للمال والدنيا يطلبونهما من كل سبيل ؟ ويسعون لهما بكل طريق ؟.

هل يترك الإسلام الناس للمال يسرقه بعضهم من بعض ، ويغتاله ويغتصبه ، ويصل إليه بالغش والخديعة والغصب والاحتيال ؟

الله الذي حرَّم على نفسه الظلم ، لا يرضى الظلم بين عباده ، الله حدَّ حدودًا لا يصح تجاوزها ، ووضع أصولاً لا يجوز مخالفتها ، هو الذي بيّن الحلال والحرام في الكسب والملبس والشراب والطعام (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ) .

وفتن ابن آدم بالمال والنعيم ، وامتزج حب المال بلحمه ودمه ، وخالط قلبه ، وتمكن من نفسه ، واتخذ بعضنا المال إلهًا معبودًا ، وحاكمًا مطاعًا ، وإمامًا متبعًا . تُقدم أوامره على أوامر الله ، وتُنفذ أحكامه ولو أسخطت الله ، وأضرَّت الناس ، وأفسدت الأخلاق ، وذهبت بالكرامة ؛ فكيف يرضى الله عن هذا الضلال المبين والخطر المحيق ؟

جاء الإسلام يبين طرق الكسب المشروعة ، وسبله المباحة .

جاء الإسلام يعلمنا أن المال وسيلة لا غاية ، وبداية لا نهاية ، وأنه ليس خيرًا لذاته ، بل خيره في الاستغناء به عن الناس ، والإنفاق على العيال ، ومساعدة البائس والمحتاج ، وأنه ليس شرًّا لذاته ، بل شرُّه في الشح به ، والبخل والطغيان بالمال والغرور به ، وإنفاقه في الفسق والفجور ، والباطل والزور ،

وإن المال لما كان قد يفتح لصاحبه أبواب النعيم ، وقد يفتح له أبواب الجحيم نادى الإسلام بأن الدرهم الحلال هو ما أخذته أجراً لفعل مباح ، أو ربحته فى تجارة حق ، أو ورثته بأمر الله . وأن الدرهم الحرام ما أخذته بغير حق وحصلت عليه من عمل قبيح أو فعل محرم ، وما اغتصبته من صاحبه وما وصلك بدون استحقاق من ربا وميسر وأوراق اليانصيب ، ومراهنات الحمام وسباق الخيل .

وليس المقام الآن بيان أنواع الحلال وأصناف الحرام ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِى الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِى الْحَرَامِ » .

الحلال يُرضى الله فيبارك فيه ، ومعنى البركة فى المال : أن يكفيك القليل و يغنيك ، بينما لا يكفى غيرك .

البركة فى المال الحلال : أنك إذا اشتريت به طعاماً أفادك فى جسمك وصحتك ، و إذا اشتريت به ثياباً حفظها لك الله زمناً طويلاً ، و إذا اشتريت به أرضاً للزراعة أو عمارة للاستغلال زاد الله زرعها وربحها و إنتاجها ، و إذا تصدقت به قُبل منك ، و إذا تركته ميراثاً كان على الورثة خيراً ونعمة .

والمال الحرام لا خير فيه ولا نفع منه ، منزوع البركة عديم الفائدة ، الكثير منه لا يغنى والقليل منه لا يذكر ، طعامه مسموم وشرابه مذموم ، وتجارته خاسرة ، و بضاعته بائرة ، و إذا تصدقت من المال الحرام فلن تقبل صدقتك بل ترد عليك ، و إذا تركته ميراثاً كان شؤماً على الورثة وسبباً فى غضب الله عليك ، وهذا تفسير قول رسولنا صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللهَ قَسَّمَ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَّمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ ، وَإِنَّ اللهَ يُعْطِى الدُّنْيَا لِمَنْ يُحِبُّ وَلِمَنْ لَا يُحِبُّ ، وَلَا يُعْطِى الدِّينَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَا يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يُسْلِمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ

قالوا وما بوائقه ؟ قال : غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ ، وَلا يكْسِبُ عَبْدٌ مَالاً حَرَاماً فَيَتَصَدَّقُ بِهِ فَيُقْبَلُ مِنْهُ ، وَلا يُنْفِقُ مِنْهُ فَيُبَارَكُ لَهُ فِيهِ ، وَلا يَتْرُكُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلاَّ كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ ، إِنَّ اللهَ لا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ ، إِنَّ الْخَبِيثَ لا يَمْحُو الْخَبِيثَ » .

فسدت المعاملات ، وخربت الذمم ، وماتت العزائم ، وانحطت الهمم : التاجر يحلف بالله و بالطلاق كاذباً متعمداً ليروّج بضاعته مغشوشةً فاسدةً .

فالصانع والعامل يخادع ويماطل ويخلف وعده ، ولو استطاع أن يأخذ أضعاف مايستحق بالباطل لأخذه ؛ والموظف يهمل وظيفته إذا غفل عنه رئيسه ؛ والمسلم يشهد الزور بأبخس قيمة ليخرب البيوت ؛ والوكيل يخون موكله وقد يتفق مع خصومه عليه ؛ والقاضى قد يتأثر برجاء أو وساطة فيميل عن الحق ، لِمَ كل هذا ؟ لِمَ هذه الخيانة والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « مَنْ غَشَّ أُمَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ؟ » .

أنعمل هذا فى سبيل الدنيا والرسول يقول « مَنْ تَكُنِ الدُّنْيَا نِيَّتَهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَارَقَهَا أَرْغَبَ مَا يَكُونُ فِيهَا ، وَمَنْ تَكُنِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِى قَلْبِهِ وَجَمَعَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَفَارَقَهَا أَزْهَدَ مَا يَكُونُ فِيهَا » .

أنعمل هذا فى سبيل الدين ؟ وقد حرَّم الدين هذه المفاسد المهلكة ؟ .

أنعمل هذا فى سبيل الآخرة ؟ وسنحاسب فى الآخرة على الكسب الحلال ونعاقب على الحرام ؟

أنعمل هذا لتزيد قوتنا وتنمو أجسامنا ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ » ؟ .

لم يبق إلا أنا نعمل هذا استكثاراً وطمعاً ، ومن يستكثر من الحرام فإنما يستكثر من نار جهنم .

المال الحرام يمحق ويكتسح حتى يذهب مع الحلال . المال الحرام و بال وخسران على الخلق وعلى الناس « والمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ » .

يعتذرون بالأزمة المالية ، والضيق والشدة والعسر ، وتسمع من كل إنسان قوله : ماذا نعمل ؟ اعملوا صالحاً ، واطلبوا رزقاً حلالاً ولو من بيع الإسفنج كما يفعل الأروام .

اكتسبوا القوت بعرق الجبين خير من التكبر على العمل الشريف ، والارتماء على التكسب الخسيس . اقنعوا بالقليل المباح فهو خير من كثير محظور . خلصوا نيتكم ، وذروا الفواحش ماظهر منها وما بطن ، واضربوا في الأرض وابتهلوا إلى الله يرزقكم ، وقد كتب على نفسه الرحمة : (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) إن الكسب الحرام قبيح بالفقير فهو بالغنيِّ أقبح ، ولا يبيح الفقرُ المحرماتِ من الرزق ، إن تحمل الآلام والعسر والتعفف عن الحرام أفضل من النعيم في الحرام .

ولن يكشف الله غمتنا ، ولن يستجيب دعاءنا مادام المال معبوداً لنا لانبالي أمن حلال كسبناه أم من حرام ؟ قال صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا) وَقَالَ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ : يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ ؟ » .

عن كتاب الوعظ لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود علي أحمد
خطيب مسجد الرفاعي سابقاً

هذه الخطبة القيمة جامعة لمعظم الآيات والأحاديث التي أوردناها سابقاً ، فجزى الله صاحبها خير الجزاء .

البيع والشراء

وما يحل فيهما وما يحرم

البيع : لغةً المبادلة ، وشرعاً : مقابلة مال بمال مع إيجاب وقبول على وجه مخصوص .
وحكمة البيع : نظام المعاش وعمارة الكون ؛ لأن حاجة الإنسان قد تكون في يد صاحبه

غالباً ، وقد لا يعطيها له بغير المعاملة ، وربما تفضى إلى التنازع فيكون ذلك سبباً فى اختلال نظام المعاش وفناء العالم . ففى تشريع البيع وسيلة إلى بلوغ الغرض من غير حرج ، لذلك أباح الله البيع ، فقال تعالى : (وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبٰوا) .

والبيع الحلال المشروع هو الأصل ؛ أما البيع الحرام كبيع المسلم الخمر ولحم الخنزير ، وغيرهما من النجاسات المنهىّ عن بيعها شرعاً فيحرم ، ولا يصح بيع ولا شراء فى المسجد عند الحنابلة . هذا ، وأما أركان البيع وأحكامه وأنواعه فهى مذكورة فى كتب الفقه وفى كتابنا [المعاملات المادية] لمن شاء الرجوع إليها .

والغرض من البيع والشراء الحصول على كسب المال ، فلهذا يحتال الرجل على الكسب بكل أنواع الحيل غير ناظر إلى حلال أو حرام ، بل همه كله فى ملء جيبه ، وأكل أموال الناس بالباطل ، فتراه إذا باعك سلعة يقسم لك بأغلظ الأيمان أنها من أجود الأصناف ليحسّنها لك ويزينها فى نظرك ويحببها إليك فتفتر وتخدع ، والله يعلم إنه لكاذب فيما قال وآثم فى يمينه . فمثل هذا التاجر وأمثاله أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ ، قالوا يارسول الله : أَلَيْسَ اللهُ قَدْ أَحَلَّ الْبَيْعَ ؟ قال : بَلَى وَلٰكِنَّهُمْ يَحْلِفُونَ فَيَأْثَمُونَ وَيُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ » رواه أحمد .

يظن هذا التاجر الكذاب الأشِر أنه ربح بفعله هذا ، والله يعلم إنه قد خسر الدنيا والدين لأنه حصل على ربح غير حلال ، وهذا الربح لا يعمر بل يذهب بعد قليل أو كثير من حيث أتى ، وما صرف فى وجه من الوجوه إلا ذهبت البركة منه ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اَلْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ » رواه البخارى ومسلم .

أما التاجر الصادق الأمين الذى لا يغش ولا يميل إلى بيع الحرام ، بل يبين الجيد من الردىء وينصح للمشترى فهذا بيعه مبرور ، لأن البيع المبرور الذى يبر فيه صاحبه فلم يغش ولم يخن ولم يعص الله فيه ، يكون كسبه حلالاً مباركاً فيه كما قال صلى الله عليه وسلم : « أَفْضَلُ الْكَسْبِ بَيْعٌ مَبْرُورٌ وَعَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ » رواه أحمد .

وهذا الكسب ينمو ويزيد ويكون أجر التاجر محققاً ، فقد بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : « التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ » رواه الترمذى .

وروى عن حكيم بن حزام عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مالَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فى بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا » رواه البخارى ومسلم .

فالبيِّعان : هما البائع والمشترى ، فإن صدق كل منهما و بين البائع عيوب السلعة وأظهر المشترى مافى الثمن من عيب للبائع ، فهذان يبارك الله لهما فى بيعهما ويجعل ربحهما عظيماً فى الدنيا والآخرة .

أما إذا كذب كل منهما على صاحبه ، وأخفى البائع عيب بضاعته ولم يظهر المشترى عيب الثمن فهذان غاشان ،عملهما حابط وربحهما خاسر غير مبارك فيه؛فهو قليل و إن كثر ، وحقير و إن عظم ، لأنه كسب خبيث ومال مأكول بالباطل ، من أكله فإنما يأكل فى بطنه ناراً .

لقد فشا بين الناس الغش والخيانة ، وعمّ بينهم الخداع والمكر، يؤذى بعضهم بعضاً ، ولايبالون أمن حلال أكلوا، أم من حرام شبعوا ؟ همهم جمع المال ، و إطعام العيال ، و بناء الدور ، وتشييد القصور ، ونسوا يوماً بضاعتهم فيه تبور ، يوماً يحشرون فيه إلى الملك الديان ويؤخذون بالنواصى والأقدام ، يحاسبون حساباً عسيراً ثم يصلون ناراً سعيراً ، يستغيثون فلا يغاثون ، ويستنصرون فلا ينصرون ، النار مثوى لهم و بئس مثوى المتكبرين : هؤلاء هم الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « يَأْتِى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَايُبَالِى الْمَرْءُ مَا أَخَذَ أَمِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ » رواه البخارى .

فلو أن الناس رضوا بالحلال وتركوا الحرام ، وعملوا بأوامر الدين الحنيف وتحلّوا بآدابه ، وتخلقوا بأخلاقه لكان خيراً لهم ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ » رواه البخارى .

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الرجل على بيع أخيه فقال : « لا يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ ، وَلا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ إِلاَّ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ » رواه مسلم .

مثال ذلك : أن يقول لمن اشترى شيئاً فى مدة الخيار : افسخ البيع وأنا أبيعك مثله بأرخص من ثمنه ، أو أن يقول للبائع فى مدة الخيار : افسخ البيع وأنا أشترى بثمن أكثر من ذلك فهذا حرام . أما السوم (أى المساومة) فى السلعة التى تباع فليس بحرام .

وروى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يُتَلَقَّى الرُّكْبَانُ لِبَيْعٍ ، وَلا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَلا تَنَاجَشُوا وَلا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ ، وَلا تَصُرُّوا الإِبِلَ وَالْغَنَمَ ، فَمَنِ ابْتَاعَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَحْلُبَهَا ، فَإِنْ رَضِيَهَا أَمْسَكَهَا ، وَإِنْ سَخِطَهَا رَدَّهَا وَصَاعًا مِنْ تَمْرٍ » . رواه مسلم

نهى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتلقى السلع حتى تباغ الأسواق ، فقد كان يخرج إليها بعض الناس قبل أن تدخل المدينة ، فيوهمون أصحابها بكساد السوق ويشترون السلع ، ثم يدخلون المدينة محتكرين لها ويبيعونها كيف شاءوا وأنى شاءوا ، فيحصل بذلك ضرر للبائع ، لأنه باع سلعته بثمن بخس وضرر للناس ، لأنهم يضطرون للشراء من المحتكر بالثمن الذى يريده ، وهذا هو وجه التحريم .

أما النجش : فهو أن يزيد فى ثمن السلعة ، لا لرغبة فيها ، ولكن ليخدع غيره ويغرّه ويشتريها ، وهذا حرام بالإجماع .

ونهى كذلك عن بيع الحاضر للبادى ؛ ومعناه : أن يقدم غريب من البادية أو من بلد آخر بمتاع تعم الحاجة إليه ليبيعه بسعر يومه ، فيقول له الحاضر : أى ابن البلد كسمسار : اتركه عندى لأبيعه بالتدريج بأغلى ثمن ، وهذا حرام أيضاً .

ونهى عن التصرية فقال : « لا تصروا الإبل والغنم » : أى لا تجمعوا اللبن فى ضروعها عند إرادة بيعها حتى يعظم : أى ينتفخ ضرعها ، فيظن المشترى أن كثرة لبنها عادة لها مستمرة . والتصرية حرام ، لأنه غش وخداع .

وقس على ذلك ما نشاهده فى الأسواق من التضليلات والإعلانات الرائعة المزيفة التى

يخدع لها الساذج البسيط ، والتى توقع الناس فى شراك التجار وأحبولة الغش .

نعوذ بالله من هذا الشر المستطير الذى فتك بالناس فأفسد عليهم دينهم ، وضيع عليهم معتقداتهم ، فأصبحوا فى الضلال هائمين ، وفى الحرام غارقين (ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) .

كان الله ومازال جل شأنه رحيماً بخلقه ، فأوصاهم بالعدل ، وإقامة الحدود ، وإعطاء الحقوق ، وأخذ مالهم ، وإعطاء ماعليهم من غير إجحاف ولا خسران ، لأن ذلك أدعى لطهارة النفوس وعفتها ، وسبب لصفاء القلوب وطهارتها ؛ فمتى صلحت النفوس ، وتطهرت القلوب ، عمّ الخير ، وامتنع الشر والضير ، وقلت الشحناء ، وامتنعت البغضاء ، وزالت الأحقاد ، وقلّت الحساد ، وباد الفساد ، واستراح العباد .

نهى الله تعالى التجار عن بخس الوزن والكيل فقال تعالى : (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) . الإسراء ٣٥

وقال تعالى : (فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) . الأعراف ٨٥

وقال تعالى :(أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ .وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ . وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) . الشعراء ١٨١ـ١٨٣

ونهى سبحانه وتعالى عن التطفيف فى الكيل والوزن فقال تعالى:(وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ.وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْوَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ).المطففين ١ـ٣

أى هلاك وعذاب للمتلاعبين بالمكاييل والموازين ، الذين إذا اكتالوا حقهم من الناس أخذوه وافياً وافرًا ، وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم يبخسونهم حقهم .

(أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ. يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) المطففين ٤ — ٦ .

أى ألا يظن هؤلاء أنهم سيحيون بعد الموت ويبعثون ، وسيساقون للوقوف بين يدى أحكم الحاكمين ، فيتولى حسابهم ، ويدبر عقابهم .

فأمرنا الله تعالى فى الآيات الأولى أن نوفى الكيل وتمه ، وأن لانتقص منه شيئاً ، وأن نزن الأشياء بميزان العدل ، وأن لانتقص الناس ولا نبخسهم أشياءهم ، ولا نفسد فى الأرض باتباع الشهوات ، وفعل الشرور ؛ لنعيش فى أمان واطمئنان ، وصفاء ووئام .

كما أنه أنذر المطففين (من التجار) بالهلاك والخسران ، وهم الذين إذا اكتالوا من الناس أخذوا حقوقهم وافية كاملة ، و إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم ينقصونهم حقوقهم لأنهم يميزون أنفسهم على غيرهم ، وماهذا إلا لضعف إيمانهم .

فلو ظن الناس مجرد ظن بالبعث فضلاً عن اليقين ، لما تجاسروا على فعل هذه المحرمات.

لاشك ولا جدال فى أن مانحن فيه الآن من الذل والهوان إنما هو بما كسبت أيدى الناس . فلو تأدب الناس بآداب الدين ، وعملوا بأوامره لما وهنوا ، ولا استكانوا ؛ ولما سلط الله عليهم عدوهم فأذلهم ، وانتقم منهم ، فقد قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ . الأعراف ٩٦

ولا مخرج لنا من هذه الحال السيئة ، وهذا الذل الذى نعانيه إلا بالتوبة والرجوع إلى الله ، والعمل بأوامره ، واجتناب نواهيه .

فالبدار البدار إلى التوبة ، والإقلاع عن المعاصى ، وارتكاب الذنوب والمحرمات ، فقد قال تعالى : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. سورة النور ٣١

عن مكارم الأخلاق . السنة الثانية . من ص ٤٦٠ ـ ٤٦٧ مع الاختصار و بعض تصرف . وهى خلاصة محاضرة للأستاذ مصطفى أفندى جاد رحمه الله .

أمثلة تطبيقية

مثال التاجر الأمين

قال ابن الخريف : حدثنى والدى قال : أعطيت أحمد بن حسب الدلال ثوبًا وقلت له : بعه لى ، و بيّن هذا العيب الذى فيه ، وأريته خرقاً فى الثوب ، فمضى وجاء فى آخر

النهار فدفع إليّ ثمنه وقال : بعتهُ إلى رجل أعجمى غريب بهذه الدنانير ، قلت له : وأريته العيب وأعلمته به ؟ قال : لا ، وإننى نسيت ذلك ، فقلت : لاجزاك الله خيراً ، امض معى إليه . فذهبت معه وقصدنا مكانه فلم نجده ، فسألنا عنه فقيل لنا : إنه رحل إلى مكة مع قافلة الحجاج . فأخذت صفة الرجل من الدلال ، واكتريت دابة ولحقت القافلة ، وسألت عن الرجل ، فدللت عليه فقلت له : الثوب الذى اشتريته أمس من الدلال فلان بكذا وكذا فيه عيب ، فهاته وخذ ذهبك ، فقام وأخرج الثوب وبحث على العيب حتى وجده ، فلما وجده قال : ياشيخ أخرج ذهبى حتى أراه ، وكنت لما قبضته لم أميزه ولم أنقده ، فأخرجته فلما رآه قال : هذا ذهبى انتقده ياشيخ ، فنظرت إليه فإذاهو مغشوش (مزيف) لايساوى شيئاً ، فأخذه ورمى به وقال لى : قد اشتريت منك هذا الثوب على عيبه بهذا الذهب ، ودفع إليّ بمقدار ذلك الذهب المغشوش ذهباً خالصاً جيداً وعدت به . هذا مثل التاجر الأمين .

مثال المشترى الأمين

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِى اشْتَرَى الْعَقَارَ فِى عَقَارِهِ هَذَا جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ ، فَقَالَ لَهُ الَّذِى اشْتَرَى الْعَقَارَ : خُذْ ذَهَبَكَ إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ وَلَمْ أَشْتَرِ الذَّهَبَ ، وقال الذى له الأرضُ : إنَّمَا بِعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا . فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الذى تحاكما إليه : أَلَكُمَا وَلَدٌ ؟ قالَ أَحَدُهُمَا لِى غلامٌ ، وقال الآخرُ : لى جارية . قَالَ : أَنْكِحَا الغلامَ الجارية ، وَأَنْفِقَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا منهُ « فَرَضِيَا بِذَلِكَ » .

مثال التاجر الصادق

دخل رجل حانوت (دكان) تاجر فأعجبه لون ثوب عنده وبهره جمال منظره ، فأحب

أن يشتريه منه . فقال له التاجر : لايغرنك حسن المنظر ، فإن نوعه غير جيد ، فشكر له صدقه وحسن إرشاده . وطلب آخر من نوع جيد ، فأسف التاجر لنفاده ، ووعده عند أول رسالة تأتيه أن يخبره . و بعد بضعة أيام ورد النوع الجيد فأعلمه به واشترى منه مايحتاج إليه ، فشكره على ذلك ، ونشر اسم التاجر بين الناس لما عهد فيه من الصدق والوفاء ، فنال جزيل الشكر وأطيب الثناء .

مثال التاجر الغاش

يحكى أن شخصًا كانت له بقرة ، فكان يخلط لبنها بالماء ليبيعه ، فجاء السيل فى واد وهى واقفة ترعى فأغرقها ، فصار صاحبها يبكى عليها ، فقال له أولاده : يا أبانا لاتحزن ، فإن المياه التى كنا نخلطها بلبنها اجتمعت فأغرقتها . وهذه نتيجة غشنا ، لأن من يأخذ شيئًا قليلاً بغير حق يضيع الله عليه شيئًا كثيرًا من نعمة الحق .

مثال آخر عن التاجر الأمين

حكى عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز إليه السكر ، فكتب إليه غلامه : إن قصب السكر قد أصابته آفة فى هذه السنة فاشتر السكر ، قال : فاشترى سكرًا كثيراً ، فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفاً فانصرف إلى منزله فتفكر ليلته وقال : ربحت ثلاثين ألفًا ، وخسرت نصح رجل من المسلمين ، فلما أصبح غدا إلى بائع السكر فدفع إليه ثلاثين ألفًا وقال : بارك الله لك فيها . فقال : ومن أين صارت لى ؟ فقال : إنى كتمتك حقيقة الحال ، وكان السكر قد غلا فى ذلك الوقت فقال : رحمك الله قد أعلمتنى الآن وقد أبحتها لك ، قال : فرجع بها إلى منزله وتفكر وبات ساهرًا وقال : مانصحته فلعله استحيا منى فتركها لى ؛ فبكر إليه من الغد وقال : عافاك الله خذ مالك إليك ، فهو أطيب لقلبى فأخذ منه ثلاثين ألفًا . فهكذا تكون الأمانة فى المعاملة .

الخلاصة : يستدل من هذه الحكاية والتي قبلها على أنه ليس للتاجر أن يغتنم الفرصة و ينتهز غفلة صاحب المتاع ، و يخفي عن البائع غلاء السعر أو عن المشترى تراجع الأسعار ، فإن فعل ذلك كان ظالماً ، تاركاً للعدل والنصح المسلمين .

مثال التاجر القانع بالربح القليل

يحكى أن السريّ السقطى اشترى كَرّ لوز (الكر : مكيال قيل إنه أربعون أردبًّا) بستين دينارًا وكتب فى سجله ثلاثة دنانير ربحه ، وكأنه رأى أن يربح على العشرة نصف دينار ، فصار اللوز بتسعين ، فأتاه الدلال وطلب اللوز فقال : خذه ، قال : بكم ؟ فقال : بثلاثة وستين . فقال الدلال : ــ وكان من الصالحين ــ فقد صار اللوز بتسعين ، فقال السرى قد عقدت عقدًا لأحله لست أبيعه إلا بثلاثة وستين . فقال الدلال : وأنا عقدت بينى و بين الله أن لا أغش ، ولست آخذ منك إلا بتسعين ، قال : فلا الدلال اشترى منه ولا السريّ باعه ؛ فهذا محض الإحسان من الجانبين فى المعاملة .

وقيل : كان عليٌّ رضى الله عنه يدور فى سوق الكوفة بالدرة و يقول : معاشر التجار خذوا الحق تسلموا ، لاتردوا قليل الربح فتحرموا كثيره .

أمثلة فى الغش فى التجارة

(١) روى مسلم وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ عَلَى صُبرَة طعامٍ (طائفة من الطعام) فأدخل يدهُ فيها فنالت أصابعه بللاً فقال : مَاهٰذَا يَاصَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ قال : أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ (أى المطر) يارسول الله . قال أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ ؟ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » .

(٢) وعن صفوان بن سليم: أنّ أبا هريرة رضى الله عنه مرّ بناحية الحرة (أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود) فإذا إنسان يحمل لبنا يبيعه ، فنظر إليه أبو هريرة فاذا هو

قد خلطه بالماء . فقال له أبو هريرة : « كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة خلّص الماء من اللبن » ؟

(٣) وروى البيهقي والحاكم عن أبي سباع قال : اشتريت ناقة من دار واثلة بن الأسقع فلما خرجت بها أدركني يجرّ إزاره ، فقال : اشتريت ؟ قلت : نعم ، قال : أبيّن لك ما فيها ؟ قلت : وما فيها ؟ قال : إنها لسمينة ظاهرة الصحة ، قال : أردت بها سفراً أو أردت بها لحماً ؟ قلت : أردتُ بها الحج ، قال : فارتجعها ، فقال صاحبها : ما أردت إلى هذا أصلحك الله ، تفسد علي ، قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يَبِيعُ شَيْئًا إِلَّا بَيَّنَ مَا فِيهِ ، وَلَا يَحِلُّ لِمَنْ عَلِمَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يُبَيِّنُهُ » .

(٤) ويروى أنه كان عند يونس بن عبيد حُلل مختلفة الأثمان ، ضرب قيمة كل حلة منها أربعمائة ، وضرب كل حلة قيمتها مائتان ، فذهب إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان ، فجاء أعرابي وطلب حلة بأربعمائة ، فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها ومضى بها وهي على يديه ، فاستقبله يونس فعرف حلته ، فقال للأعرابي : بكم اشتريت ؟ فقال : بأربعمائة ، فقال : لا تساوي أكثر من مائتين فارجع حتى تردها ، فقال : هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأنا ارتضيتها ، فقال له يونس : انصرف فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ، ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم ، وخاصم ابن أخيه في ذلك وقاتله وقال : أما استحييت ؟ أما اتقيت الله ؟ تربح مثل هذا الثمن وتترك النصح للمسلمين ؟ فقال : والله ما أخذها إلا وهو راض بها . فقال : فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك ؟

والأمثال في ذلك كثيرة نكتفي بما ذكر .

فالواجب على كل تاجر الصدق في المعاملة ، وأن يظهر جميع عيوب المبيع ولا يكتم منها شيئاً ، فإن أخفاه كان ظالماً غاشًّا ، والغش حرام ، وكان تاركاً للنصح في المعاملة ؛ والنصح واجب شرعاً كما جاء في الحديث الشريف : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » والله أعلم .

خطبة فى صدق التاجر وكذبه

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود على أحمد

خطيب مسجد الرفاعى سابقاً

الحمد لله الذى أغنى أهل الطاعة بالرضى والقناعة ، وأذل أهل الجشع والطمع بالفقر والمجاعة . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى طهر النفوس ، وخلص القلوب .

أحمد الله تعالى وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الصدق والوفاء ، والبر والأمانة ، وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد — فالحلال بيّن ، والحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهات ، وأكل الحرام سهل هين على أهل الإثم والمنكرات ، والتمسك بالحلال خصلة أهل التدين ، وشعار كل مؤمن صادق أمين .

كل امرئ يسعى لكسب قوته ورزقه ، والحصول على المال ؛ فالبعض يسلك طريق الشرف والأمانة فى الأقوال والأفعال ، والبعض الآخر يسلك للمال طريقاً دنيئاً كله نصب واحتيال ، وكل يعمل على شاكلته ؛ ولكن الفرق بعيد بين الهدى والضلال ، وآكل الحرام مذموم فى الدنيا ، وله فى الآخرة عذاب مقيم .

اندفع كثير من الناس فى ميدان التجارة ، وزعموا أن الكذب والتلون هو التقدم والمهارة ؛ كذبوا على الناس واجترءوا على الله ، فحلفوا به كذباً ترويجاً لبضائعهم ، وجعلوا الخالق سُلّماً لأطماعهم ، فابتلاهم الله بالتأخر والخسارة . قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) . آل عمران ٧٧

فى سبيل دراهم معدودة ، يبيع التاجر ذمته ودينه ، ويحلف بالله العظيم كاذباً متعمداً ؛ فى سبيل ربح ضئيل ، ومكسب قليل ، يخسر التاجر شرفه وديانته ، ويصير منافقاً جاحداً ؛

فى سبيل الدنيا يبيع الدين ، وفى سبيل المال يجترئ على رب العالمين (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) . البقرة ٨٦

(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَٰلَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) . البقرة أيضا ١٦

إن الإنسان بفطرته يدرك الخير من الشر ، و يرتكب الإثم وهو عالم بما فيه من مخالفة وضر ، وهـذا من قلة إيمانه وغفلته عن اليوم الآخر ، فإن ذكرى يوم القيامة تذهب الأطماع ، وترجع النفس عن غيها ، وتردها للطريق القويم .

إن الإيمان يبعث الخير فى القلوب ، و يجرى الصدق على الألسنة ؛ والاعتقاد بيوم القيامة يبعد المرء عن العيوب ، و يذكره دائمًا بسطوة علام الغيوب .

إن الإيمان يقين يبعث على خير العمل ، أما الغش والكذب فمن أخلاق المنافقين .

نفوس التجار فى زماننا تشبعت بحب الدنيا ، وسكنتها المطامع فأضاعوا الأمانة ، كل همهم هو الربح بأى وسيلة ولو بالغدر والخيانة ، يطففون الكيل ، و يخسرون الميزان ، و يستوفون حقوقهم كاملةً ، وحقوق الناس لديهم منقوصة ضائعة .

المرء منهم بوجهين ، يبيع بذمتين ، و يكيل بكيلين ، و يتلوّن مع الزمن ، و يتقلب مع السوق ، و يعتاد الغش حتى يجمد قلبه ، و يصبح وحشاً يمتص دماء المشترين ، والله يقول : (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ. أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ. يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ).

لقد بعث الله نبينا يحذر قومه من بخس الكيل والميزان ، و يخوفهم عاقبة الطمع والبغى والعدوان . قال تعالى : (وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّى أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ . وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) . هود ٨٤ ، ٨٥

وقال تعالى : (أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ . وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ).

وقال تعالى : (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) .

وقال تعالى : وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ . أَنْ لاَ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ . وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) . الرحمن ٧-٩

هذا كتاب الله يأمر بالصدق وحسن المعاملة ، وهذه آياته تحض على تطهير الكسب وعدم الغش والمخادعة .

هذه آداب الدين فى البيع والشراء أهملها المسلم فخاب وخسر ، واتبعها التاجر الأجنبى فتقدم وربح ، وصار الكثير يثق بالبائع الأجنبى لصدق قوله ، وضبط وقته ، وإنفاذ وعده ، وكان الأحرى بنا أن نكون كما أمر الدين لنكون من الفائزين الرابحين ، ولكن ضاعت الثقة بيننا ، وخرج الأمر من يدنا ، وصارت الأسواق التجارية خاضعة لنفوذ الأجنبى ، والبيوت المالية خاضعة كذلك لرأى الأجنبى ، وكل يجنى نتيجة عمله ، وثمرة سعيه .

قال صلى الله عليه وسلم : « التَّاجِرُ الصَّدُوقُ مَعَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَالَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا عَسَى أَنْ يَرْبَحَا رِبْحًا يَمْحَقُ بَرَكَةَ بَيْعِهِمَا ، الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ » .

(الوعظ ص ٦٨)

نصيحة إلى التجار

قضى الله ولا رادّ لقضائه ولا دافع لقدره ، أن تقوم الحرب بين بعض الدول الأوربية لسد مطامع بعضها ، وميلاً لإظهار قوتها وعظمتها ، لاخدمة للحق والعدل . وكان حقًّا على الحكومة المصرية أن تتخذ من جانبها الاستعدادات اللازمة للطوارئ لدرء الخطر عن أبنائها والدفاع عن حدودها و بلادها لو وقعت (لاقدر الله) حرب فى مصر ،

فاستغل هذا الظرف السيئ بعض التجار الذين لاهمّ لهم إلا كسب الربح الكثير ، وإلحاق الضرر بالكبير والصغير ، فأخذوا فى تخزين تجارتهم وعملوا على رفع الأسعار المصطنعة .

ولكن الله سبحانه وتعالى منّ على مصر بحكومة عادلة حازمة على رأسها ملك صالح عادل ، ساهرة على مصالح الأمة فأوقفتهم عند حدودهم ووضعت تسعيرة للحاجيات الضرورية رحمةً بالناس ، وضربت على أيدى التجار الجشعين ، وأصدرت أحكاماً شديدة على كل من يخالف تسعيرة الحكومة فكانت رادعةً لهم واعتباراً لغيرهم ، ولولا ذلك لطغى التاجر وبغى ، وتحرجت الحالة واشتدت الأزمة سُوءًا على سوء .

فجزى الله حكومتنا السنية الرشيدة خير الجزاء ، ووفقها دائماً للعمل على مافيه رضا الخلق والخالق . وإلى هؤلاء التجار الجشعين أوجه النصيحة الآتية ، و « الدين النصيحة » :

اعلم أيها التاجر أن الأرزاق بيد الخلاق ولا تكون بالحيلة ولا بالقدرة ، وإنما هى كالآجال مقدرة عند الله ومقررة ، فلا يفوت العاجز رزقه ولا يحصل القوى فوق ماقسم له .

والتاجر مهما زاد فى أسعار بضاعته وخزن من تجارته ، فلا يناله منها إلا ماقسم الله له .

فلماذا أيها التاجر هذا الغش والتدليس ؟ والتخزين الذى لا يكسبك إلا شكا فى قضاء الله وقدره ، ولا يفيدك إلا الوزر والخزى والعار فى الدنيا ، وغضب الله المنتقم الجبار ، وعذابه فى الآخرة ، وما عاقبة ذلك إلا ضياع الثقة منك ، وحلول المصائب بك والخسائر بتجارتك .

فوالله ما ربح تاجر غشّ فى تجارته ، وما هى إلا أيام معدودة ثم تنصرف الناس عنه ، وتغلق فى وجهه أبواب الربح ، وتذهب البركة من تجارته ، وربما دارت عليه أو على ذريته الدوائر (فعلى الباغى تدور الدوائر) .

ولقد أصاب حضرة الأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلى بك مدير قسم المساجد فى وزارة الأوقاف سابقاً فى خطبته التى ألقاها بمسجد يحيى باشا برمل الإسكندرية فى يوم الجمعة ٩ شعبان سنة ١٣٥٨ — ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٩ أمام جلالة الملك حيث قال :

إياكم واختزان الأقوات وتجميع الأرزاق ، فذلك سوء ظن بالله الرزاق ذى القوة المتين ، وإياكم والاحتكار أيها التجار فإن ذلك ظلم لإخوانكم ، وحرمان لآلكم إنه حرب داخلية

سلاحها الغلاء ، ووقودها الأطفال والضعاف ، والأيامى واليتامى والفقراء الذين لايستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً .

إن المحتزن لأقوات المسلمين ، وأرزاق المواطنين إنما يأكل فى جوفه السحت الحرام ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ياسعدُ بنَ أبى وقاص وَالّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللقمَةَ الْحَرَامَ فى جَوْفِهِ مايُقْبَلُ مِنْهُ عَمَلٌ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ » .

وروى ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنِ احْتَكَرَ الطعَامَ أَرْبَعِينَ يَوْماً فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ ، وَبَرِئَ اللهُ مِنْهُ ، وَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً » ألا فليعلم التاجر الغاش الذى يصطنع الغلاء فى أسعار بضاعته ويخزن تجارته ويحتكر بعض الأصناف ، أن كسبه سحت وحرام ، وأن كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به ، تصديقاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلم التاجر الكاذب الذى يحلف كذباً بأن أسعاره معتدلة لاغبن فيها وأن تجارته سليمة لاغش فيها ، وأن حقوق الذى غشه وخدعه محفوظة يستوفيها من حسناته فى يوم (لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ) ولا درهم ولا دينار ، والويل كل الويل للتجار الفجار من الواحد المنتقم القهار .

أما التاجر الصادق الأمين فقد مدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ » وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ جَلَبَ طَعَاماً فَبَاعَهُ بِسِعْرِ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا تَصَدَّقَ بِهِ » .

فواجب على كل تاجر أن يكون صادقاً أميناً ، لاخائناً ولا غاشًّا ولا محتالاً ولا نصاباً ، وأن يقنع بالربح القليل من حلال طيب عن ربح كثير من حرام خبيث ، لأن الأول كثير البركة مضمون الفائدة ، بعيدة عنه الغوائل ، بمنجاة عما يذهبه من النوائب والمصائب .

أما الثانى فلا بركة ولا فائدة فيه ، معرّض لأن تأخذه النازلات الفادحات فتقل بركته وتمحق زيادته . قليل فى صحة وطمأنينة وراحة بال خير من مال كثير فى مرض واضطراب فكر ، ووساوس وهموم وسوء حال .

وما أسعد التجار إذا قاموا بواجبهم نحو الله والناس ، ولم تشغلهم أعمالهم عن ذكر الله كما قال تعالى فى وصف التجار الصادقين من عباده : « رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ . لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) . النور ٣٧ ، ٣٨

فيأيها التاجر اتق الله فى بنى وطنك وارض بما قسم الله لك ، واحفظ نفسك من سوء عاقبة الإفلاس فى الدنيا ، ومن خزى يوم القيامة ، يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ، يوم يعض الظالم على يديه نادماً على ماجناه . واعتبر أيها التاجر بقول الله تعالى فى الحديث القدسى : « عَبْدِى إِنْ رَضِيتَ بِمَا قَسَمْتُهُ لَكَ أَرَحْتَ نَفْسَكَ وَبَدَنَكَ وَكُنْتَ عِنْدِى مَحْمُودًا ، وَإِنْ لَمْ تَرْضَ بِمَا قَسَمْتُهُ لَكَ سَلَّطْتُ عَلَيْكَ الدُّنْيَا تَرْكُضُ فِيهَا رَكْضَ الْوَحْشِ فِى الْبَرِّيَّةِ ، وَلَا يَنَالُكَ مِنْهَا إِلَّا مَاقَسَمْتُهُ لَكَ ، وَكُنْتَ عِنْدِى مَذْمُومًا » .

واتقوا الله أيها التجار ، « وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » البقرة ٢٨١ .

وختاماً أسأل الله تعالى أن يصلح لنا ولكم الحال فى الحال والاستقبال ، وأن يقى مصر وطننا العزيز شر مصائب الحروب ، ويحفظها من كيد الأعداء الظالمين الخائنين فى ظل حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول الملك الصالح المحبوب ؛ إنه السميع المجيب .

على فكرى

مجلة نشر الفضائل العدد ١٨ — السنة السابعة

موعظة واعتبار للتجار

لترك الاحتكار وغلاء الأسعار

سبق أن كتبنا كلمةً فى هـذا الموضوع ، ونعززها بكلمة ثانية من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ففيها الحكمة البالغة والموعظة الحسنة لمن كان يؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر ، وكان من عباده المؤمنين المخلصين .

الاحتكار: هو حبس الطعام وغيره عن الناس انتظاراً لغلاء الأسعار و بيعه بثمن غال لاكتساب ربح غير مشروع ، وهذا الفعل يعتبر فى نظر العقل والشرع معصية لايرتكبها إنسان عاقل مؤمن . وقد وردت عدة أحاديث شريفة فى النهى عن الاحتكار وغلاء الأسعار نذكر منها ما يأتى :

١ — عن الهيثم بن زافع عن أبى يحيى المكى عن نروخ مولى عثمان بن عفان : أن طعاماً ألقى على باب المسجد فخرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو أمير المؤمنين يومئذ ، فقال : ماهذا الطعام ؟ فقالوا : طعام جلب لنا أو علينا . فقال : بارك الله فيه وفيمن جلبه لنا أو علينا ، فقال له بعض الذين معه : يا أمير المؤمنين قد احتكر ، قال : ومن احتكره ؟ قالوا : احتكره نروخ وفلان مولى عمر بن الخطاب ، فأرسل إليهما فأتياه ، فقال : ماحملكما على احتكار طعام المسلمين ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين نشترى بأموالنا ونبيع ، فقال عمر رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنِ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامَهُمْ ضَرَبَهُ اللهُ بِالْجُذَامِ وَالْإِفْلَاسِ » فقال عند ذلك نروخ : يا أمير المؤمنين فإنى أعاهد الله وأعاهدك أن لا أعود فى احتكار طعام أبداً فتحوّل إلى مصر؛ وأما مولى عمر فقال : نشترى بأموالنا ونبيع ، فزعم أبو يحيى أنه رأى مولى عمر مجذوماً (أى مصاباً بداء الجذام) مشدوخاً (أى مقطع العنق) . والجذام (مرض يصيب المرء فى يده فتقطع ، فيقال له أجذم : أى مقطوع اليد) .

٢ — وعن معاذ رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بِئْسَ الْعَبْدُ الْمُحْتَكِرُ إِنْ أَرْخَصَ اللهُ الْأَسْعَارَ حَزِنَ ، وَإِنْ أَغْلَاهَا فَرِحَ » .

وفى رواية أخرى : « إِنْ سَمِعَ بِرُخْصٍ سَاءَهُ ، وَإِنْ سَمِعَ بِغَلَاءٍ فَرِحَ » .

٣ — وعن الحسن قال : ثُقِل مَعْقِل بن يسار فأتاه عبيد الله بن زياد يعوده فقال : هل تعلم يا عُبَيْدَ اللهِ أنى سفكت دماً حراماً ؟ قال : لا أعلم . قال : هل علمت أنى دخلت فى شىء من أسعار المسلمين ؟ قال : ماعلمت ، قال : أجلسونى ، ثم قال : اسمع يا عبيد الله حتى أحدثك شيئاً مما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم مرةً ولا مرتين ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ دَخَلَ فى شَىْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغْلِيَهُ عَلَيْهِمْ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُقْعِدَهُ بِعِظَمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » قال : أأنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال : نعم غير مرة ولا مرتين . رواه أحمد والطبرانى .

٤ — وعن أبى ذرّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنِ احْتَكَرَ حَكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغَالِىَ بِهَا الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَاطِئٌ ، وَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ » عن الترغيب والترهيب .

فاتقوا الله أيها التجار واسمعوا وعوا ، واعملوا بقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه تكونوا من الرابحين الفائزين فى الدنيا والآخرة ، وحسن العاقبة للمتقين .

٥ — وعن معمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنِ احْتَكَرَ طَعَاماً فَهُوَ مُخْطِئٌ » رواه مسلم وأبو داود والترمذى ، وفى رواية : لايحتكر إلا خاطئ وسيأتى شرحه .

شرح حديث معمر رضى عنه الله

يعنى كل عمل من الأعمال يقوم على تضحية المصالح العامة فى سبيل مصلحة خاصة بفرد من الأفراد فهو نكبة من نكبات العداوة للإنسانية ، ونفثة من نفثاتها على مايكون فيه من إيماء إلى سفالة فى الطبع ودناءة فى النفس ، وإفراط فى الطمع وسقوط فى الهمة وما فى معنى

ذلك من المثالب النفسية ، ومن الناس من بقيت فى أنفسهم صبابات من الحياء ، فهم إذا سبق عليهم القلم وأصيبوا بشىء من تلك العلل المعضلة ، كبر عليهم أن يطلع عليها الناس فبذلوا غاية الجهد وأفرغوا الوسع فى إخفائها ، وقفلوا بواطنهم على كتمانها وربما شغلوا من العمر أوقاتا طويلة فى تدبير مايبعدهم عن الظنون والتظاهر بما يظهر به الخيّرون .

وأما الذين تصببت من أدمغتهم الفخوة وانفجر من جبينهم عرق المروءة ، فإنهم يجاهرون بعداوة الإنسانية ومناوءة البشرية ، فلا يبالون بلأم ولا يعبئون بناقم ، وسواء عندهم الحسنات والسيئات والمدح والمذمات (إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) أولئك هم المحتكرون للأقوات وقت الشدائد والاحتياج إليها ، الذين يشترون مايحتاج إليه الناس من الطعام و يحبسونه عنهم لإغلائه عليهم .

الاحتكار ظلم صريح لعموم الناس ، ولذلك كان المحتكر خاطئاً فى نظر الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وملعوناً بلسانه وممقوتاً فى بيانه ، ولو أن المحتكر يستغنى بما عنده عن سائر حاجاته لأمكنه أن ينتفع من إيثار غرضه فيما يبتغيه من الاحتكار ، ولكن الحاجات متبادلة فى الناس بحكم القانون الاجتماعى ، والإنسان مدنىّ بالطبع محتاج لغيره ، وغيره محتاج إليه ، فإذا اضطر أحد المحتكرين إلى شراء حاجة جاز أن تباع له بأكثر مما تباع لغيره أضعافاً تنكيلاً وانتقاماً منه ، والشر بالشر والبادى أظلم ، ومن غر بل الناس نخلوه ، ولا يلبث على هذا القياس أن يخسر ماقد ربحه بفعل الاحتكار ، وربما تعدت الخسارة إلى صحيح ماله فأصيب بضرر كبير من حيث كان يظن الانتفاع ، بل إلى سليم جسمه فأصيب بالداء العضال الذى لايدفعه طبيب ولا يزيله انفاق مال .

إن الزواجر عن المنكرات ثلاث : حياء ودين وحكومة ، فمن فاته الحياء والدين ردته أولياء الأمور ، ولذلك قولهم : الإسلام إكراه المحتكرين على بيع السلع بقيمة المثل وفقاً للنظام و إقامة للعدل وذلك هو معنى التسعير ، وليس مناطه ارتفاع الأسعار مطلقاً ، فإن ذلك قد يكون لقلة الشىء أو لكثرة الخلق ، فإذا كان الناس يبيعون سلعهم على الوجه المعروف

من غير ظلم فما عليهم من سبيل ، وإنما مناط التسعير امتناع أرباب السلع من بيعها مع ضرورة الناس إليها إلا بزيادة على القيمة المعروفة ، وهذا التسعير فى الأموال .

كذلك إذا احتاج الناس إلى أرباب الحرف والصناعات (كالفلاحين والنجارين والبنائين) وغيرهم أجبروا على العمل بأجر المثل بدون زيادة ولا نقصان ، وهذا تسعير فى الأعمال، ومبنى التسعير فى هذين النوعين على رفع الضرر عن العامة ،ولذلك نهى الإسلام عن تلقى السلع قبل أن تجىء إلى السوق إذا كان يضر بأهل البلد ، ونهى أن يبيع حاضر لباد لما فى الأول من التضييق على أهل البلد ، والتغرير بالبائع لأنه جاهل بالسعر فيشترى منه المشترى بأقل من القيمة . ولذلك ثبت له الخيار بين الإجازة والفسخ إذا قدم السوق ، ولما فى الثانى من الضرر الذى يلحق أهل البلد إذا كانوا فى حاجة ، وهو لا يبيع لهم و يبيع لأهل البلد طمعاً فى الثمن الغالى .

إن جميع الملل والنحل كلها مجمعة على شيئين : ١ — إزالة الضرر . ٢ — وجوب مواساة الناس بعضهم بعضًا عند الحاجة ، وهما أصلان عظيمان من أصول الرقىّ ، والدين الإسلامى أشد عناية بهما وأكثر حثًّا عليهما مما سواهما ، حتى كان من تعاليمه أن من اضطر إلى السكنى فى بيت إنسان، أو استعارة ثياب يستدفئ بها ، أو رحى للطحن عليها أو دلو لنزع الماء أو غير ذلك ، وجب على صاحبه بذله كما يجب لحاجة الناس تعليم العلم ، و إفتاء الناس فيما يسألون عنه من أمر دينهم والحكم بينهم بما أنزل الله تعالى ، وأداء الشهادة على وجهها وغير ذلك من المنافع العامة . وقد نهى الإسلام عن عسب الفحل : أى عن أخذ الأجرة عليه ، ونهى أن يمنع جار جاره أن يغرز خشبه فى جداره ، وأجبر صاحب الأرض أن يجرى ماء أخيه فيها إذا احتاج إلى ذلك من غير ضرر .

ومدار الجميع على دينك الأصلين العظيمين رفع الضرر والمساواة ، وكلاهما مفقود فى الاحتكار فإنه خسران لا ربح فيه ومعاداة لا مواساة ، حتى إن بعض العلماء عم فى الشىء المحتكر ولم يجعله قاصراً على الطعام كما هو رأى البعض الآخر لظاهر الحديث .

محمود فتح الله

مجلة الإسلام العدد ٢٦ من السنة الثالثة عشرة الصادر فى ٢٣ يونيه سنة ١٩٤٤

الطرق المحرمة لاكتساب المال

١ ـ السرقة

السرقة: هي أخذ الشخص مال غيره خفيةً من غير حق ، وهي من دلائل الخسة والدناءة ، وعلائم الجبن والنذالة ، تأباها النفوس العالية ، وتتحاماها الأيدى الطاهرة ، وتستقذرها الأخلاق الفاضلة ، ويحرمها الشرع ، ويستقبحها العقل ؛ لايقربها إلا لص حقير ، لئيم خائن أثيم ، لم يذق للآداب طعماً ، ولم يعرف للدين حقا .

ولم يلاحظ أن مال الشخص يعادل روحه ، وبه تقوم حياته ، يدافع عنه بكل مايمكنه ولو أدى ذلك إلى قتل السارق . ألا يفكر ذلك المسكين أنه مهما اجتهد فى إخفاء أمره ، وستر عمله ، فلا بد من كشفه وافتضاحه فى يوم من الأيام والقصاص منه ، واستيفاء عقابه .

السارق عرضة لانتقام صاحب المال ، وعداوة الناس ، وعقوبة الحكومة ، وعذاب الله تعالى المطلع على سرقته ، ولاتخفى عليه خافية ؛ والمال الذى يسرقه السارق حرام لابركة فيه ، يذهب من حيث أتى كما يستدل من الحكاية الآية :

سرق لص حصاناً وذهب به ليبيعه ، فقابله لص مثله وساومه فى الشراء ، وركب الحصان ليختبره وفرّ به إلى حيث شاء ، فعاد اللص الأول حزيناً كئيباً ، ولم يكتسب غير الإثم والخيبة والعار ، وغضب المنتقم الجبار .

السرقة كغيرها من الخصال الذميمة ، والجرائم المحرمة شرعاً وقانوناً يجب التباعد عنها ، والاحتراس من الوقوع فى شباكها ، ولو فى أصغر الأشياء .

ولما كانت السرقة خيانة من أكبر الجرائم التى نهت عنها جميع الشرائع ؛ فالشريعة الإسلامية جعلت عقوبتها أن تقطع يد السارق حتى لاتتأتى له السرقة بها مرةً ثانيةً عملاً بقوله تعالى : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) . المائدة ٣٨ .

وثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ » .

وحكمة الشارع الحكيم فى ذلك : أن الإنسان إذا أبصر أونظر لصًّا مقطوع اليد من أجل السرقة خاف وارتدع إن كان لصًّا ، ولايعود إلى ارتكاب هذه الجريمة الفاحشة ، و بغضت إليه اللصوصية إن لم يكن لصًّا ، فبذلك يسود الأمن العام ، الذى هو أعظم ركن من أركان السلام فى العالم .

أما عقوبة السارق قانونًا فهى مذكورة فى قانون العقوبات فى المواد من ٢٧٠ ـ ٢٨٣ ومدونة فى كتابنا « تقويم الأخلاق الجزء الثانى » .

مثال من إقامة الحد على السارق

جاء من أحد مراسلى الأهرام أن بدويين اتهما بسلب أحد الحجاج شيئًا من ماله بين جُدَّة ومكة ، فصدر أمر ملك الحجاز بالبحث عنهما ، ولما عثر عليهما رجال المسس أمر جلالته بقطع أيديهما فنفذ أمره على مشهد من الناس ومن جلالته أمام قصره فى مكة .

وكان لهذا العمل تأثير سيئ جدًّا فى نفوس الذين شاهدوه ، وقد بلغ عدد الأيدى التى أمر جلالته بقطعها منذ استقلاله فى الحجاز عدداً كبيراً كما جاء فى أخبار جريدة القبلة ، هذا فى جدة ومكة فقط . الأهرام فى ٢٠ يونيو سنة ١٩٢٣

وجاء فى مجلة الإسلام بالعدد ٥ الصادر فى ٣٠ محرم سنة ١٣٦٢ ـ ٥ فبراير سنة ١٩٤٣ عن لسان سعادة عمر فتحى باشا أمير الحج فى هذه السنة ما يأتى :

قد لفت نظرى إلى أبعد حد مالمسته من استتباب الأمن هنالك (بالحجاز) فقد فقد بعض الحجاج محافظهم ، و بعد يوم واحد أخطروا من إدارة الأمن العام بأن محافظهم سلمت للإدارة .

ولم تقع حادثة مما تخل بالأمن هناك ، وقد سألت مدير الأمن العام عن عدد الأيدى التى قطعت (لأن عقوبة السرقة هناك قطع اليد) فقال : إنها كانت ٣٠ يداً فى خلال ١٦ سنة ، وهى المدة التى حكم فيها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، ولذلك فإن الزائر للحجاز يرى أنه إذا فقد أحد شيئاً أو سقط منه متاع فإن المفقود يبقى حيث هو لا تمتد إليه يد خشية قطعها ، وسمعت فى هذا الشأن أن شخصا أبلغ الشرطة أنه وجد فى مكان ما جوال (كيس) دقيق وأنه تركه حيث هو ، فسئل من أين عرفت أن بالجوال دقيقاً ؟ وكان مجرد علمه بمحتويات الجوال رغم أنه تركه حيث هو ، وأبلغ عنه السلطات سبباً فى إنزال العقاب به .

فلو أقيم هذا الحد فى مصر ولم يعطل ، ما كنا نجد سارقاً ولا نشالاً ، ولا يجسر أحد على السرقة ، ولقلت الجرائم أو انقطعت كما هو حاصل الآن فى الحجاز .

سيدة تتهم نجل أحد الكبار الموظفين بالسرقة

كان بوليس قسم الوايلى قد تلقى بلاغاً من أسعد طلعت الصوّاف أفندى الطالب بالمعهد العالى للعلوم المالية والتجارية ، يفيد أنه والسيدة والدته غادرا مسكنهما بالمنزل رقم ٢٨ بشارع عبده باشا فى سبيلهما لتأدية واجب العزاء عليهم بمناسبة وفاة زوج (خالته) .

وقال الطالب المذكور إنه عاد إلى المنزل فوجد الباب مفتوحاً ، ولاحظ أن الأوراق والملابس مبعثرة بداخل المسكن ، فأسرع نحو الدولاب الذى توجد فيه مصوغات العائلة ، ففوجئ بوجود علب المجوهرات خالية منها وملقاة فى غرفة الاستقبال ، كما اكتشفت السيدة والدته سرقة مبلغ ٢٠٠ جنيه .

وقد أخطرت الجهات المختصة فانتقل إلى هناك اليوزباشى أحمد سليمان والملازم أحمد عبد العال ، واتضح أن الجناة تمكنوا من دخول المسكن بعد تحطيم قفل الباب بواسطة آلة صلبة ، وبتفتيش المسكن عثر على « أجَنَة » تركها الجناة فى مكان الجريمة .

وسُئل الطالب والسيدة والدته فاتهما أحد جيرانهم فى المنزل ، وهو نجل أحد كبار موظفى وزارة المعارف ، ولما وجهت إليه تهمة السرقة نفاها نفيًا باتًا ، ولكن المجنى عليهما صمما على اتهامه .

وقد استدعى رجال البوليس الكلب (أصبح) وعرض عليه المتهم بعد أن شم الأجنة فتعرف عليه خمس مرات ، وبالرغم من ذلك فقد أصرّ المتهم على الإنكار، وفى المرة السادسة بعد تعرف الكلب عليه وتمزيقه سترته ، صاح بأنه سيعترف بالحقيقة .

وقد قرر أن المجوهرات توجد لدى صديق له ثبت أنه لا مسكن له بالقاهرة ، وأنه يقضى معظم لياليه بمنزل المتهم ، ولما توجه رجال البوليس إلى المقهى الذى اعتاد الجلوس فيه بحى بولاق لم يجده هناك .

هذا ، ولا يزال البحث جاريا عن المجوهرات وعن المتهم الهارب.

(جريدة المصرى ٩ يناير سنة ١٩٤٩)

يسرق ليحصل على إيجار بيته

هناك قرار كان قد أصدره النائب العام بتأجيل النظر فى جميع القضايا المرفوعة ضد المحاربين فى الميدان إلى أجل غير مسمى ، ثم حدث بعد ذلك أن تأخرت زوجة أحد هؤلاء المحاربين عن تسديد إيجار مسكنها بضعة أشهر ، وقام صاحب المسكن بتوقيع الحجز على ممتلكاتها ، ولكنه لم يستطع تنفيذ الحجز ، وقد حدث أن مرت أشهر وتراكمت الديون على الساكن دون أن يتمكن صاحب البيت من الحصول على حقه ، وهو رجل من التجار المشاغبين ، فما كان منه إلا أن جمع عصبة من أولاده وهاجموا هذه الزوجة فى مسكنها واغتصبوا منها مصوغاتها وحليها وفاء بالإيجار بعد أن اعتدوا عليها بالضرب ، وقد حققت نيابة عابدين فى هذه الجريمة فى الأسبوع الماضى ، فاتهمت صاحب البيت بارتكاب جناية سرقة بالإكراه لأنه أراد أن يحصل على حقوقه بطرق ليست مشروعة .

وثيقة ملكية فدانين

تكشف عن سرقة ١٣٥٠ جنيهاً

حققت نيابة الجيزة أخيراً فى قضية اتهم فيها خادم بسرقة مبلغ ١٣٥٠ جنيهاً من خزانة سيده .

وقد ظهر من التحقيق أن المدعى كان يودع نقوده وجواهره فى إحدى خزائنه ، ثم يخفى مفتاحها فى مكان أمين ، ولكن حدث أن فقد هذا المبلغ من الخزانة على حين أنها كانت تحتوى على مبالغ أخرى ومجوهرات ثمينة .

ويقال إن الخادم كشف عن مكان مفتاح الخزانة ، وغافل سيده وسرق المبلغ ، ثم أعاد المفتاح إلى مكانه دون أن يشعر به أحد ، وأخذ بعد ذلك يزاول عمله كالمعتاد مدة خمسة عشر يوماً ، لم يتخلف فيها عن الحضور عدا يوم واحد ؛ يقول المدعى : إنه يوم ارتكاب جريمة السرقة سافر فيه إلى بلدته واشترى فدانين بمبلغ خمسمائة جنيه ، ثم عاد يحمل وثيقة الشراء .

ويقال إن إحدى بنات المدعى عثرت على هذه الوثيقة وعرضتها على والدها ، فأخذته الدهشة عند مارأى أن خادمه أصبح من ذوى الأملاك .

فما كان منه إلا أن أسرع إلى خزانته ، وأخذ يحصى مافيها من النقود ، فكشف عن ضياع هذا المبلغ . (أخبار اليوم ١٩٤٩/٨/٨)

سرقات

كلمة سرقة ثقيلة على السمع كثقلها على اللسان ، ومن الغريب أن تجد معظم الناس يستنكرونها ، ويكيلون السب والشتم لفاعلها ، يندفعون بصورة مباشرة وغير مباشرة لتحقيق مصداقها .

فهم يتصورون أن كلمة سارق تنحصر بمن يَدْهِمُ البيوت ليلاً أوعلى حين غفلة من أهلها ، فيمد يده إلى مافيها من مال ومتاع ، ولو تأملوا قليلاً لظهر لهم سرّاق آخرون

يسرقون الناس على مرأى منهم ومسمع ، فكأنهم قد اقتطعوا من قوم شعيب ، الذين ذكرهم الله في القرآن الكريم ونذد بهم ، وحلوا في العراق بلد الخير الوفير والنعيم المقيم ، ترى السرقات قد عمت الجميع ، وقام بها الكثيرون ؛ فالبائع والمشترى كلاهما سارقان عند التحقيق إلا القليل النادر منهم ، وهذا ناشئ من اضطراب الموازين والمقاييس والمكاييل وسوء النيات ، وضعف الوازع الديني والخلقي ، و إهمال الرقابة من الجهات المسئولة عن ذلك حتى تشجع الكثيرون على السرقة ؛ ولو روقبت المقاييس والموازين والمكاييل لظهر فيها النقص والاضطراب واضحًا .

إن الناس يتذمرون من هذا الوضع السيئ ، وينتظرون زواله بفارغ الصبر ؛ فهم يعلمون ـ مثلاً ـ أن بائعي اللحم والخضروات والطعام وغيرها ، يسرقونهم بوساطة ميزانهم غير المستقيم ، ووزنهم غير الصحيح ، فينحون باللائمة على منفذي القانون الذين ينظرون لهذا الاضطراب المخيف نظر المتفرج ، ولم يراقبوا ما يجرى من سرقات وأعمال لايقدم على ارتكابها الحيوان الفاقد للشعور .

يقول الشيوخ : كان موظفو الدولة العثمانية على تأخرهم العقلي والسياسي يراقبون هذه الناحية بدقة ، وينزلون الأسواق بين آونة وأخرى مفاجئين الكتبة لأخذ مقاييسهم على مقياس عندهم مضبوط ، وعند مايعثرون على إنسان مرتبك المقياس ينزلون به العقاب الصارم ليكون عبرةً ودرسًا لأولئك الذين يسرقون أموال الناس في وضح النهار .

الناس يشعرون بما يجرى ولكن من يوقف نفسه لضبط مقياس أحد أو يتصدى للمراقبة فيضحى بوقته وسمعته بين رعاع الناس وأوباشهم .

إن التبعة تقع أولاً على عاتق السائس والمسئول عن إدارة البلدية ، مع العلم بأن هناك أفراداً يستحضرون الموازين الرسمية (الكيلو) ولكنهم لايستعملونها إلا لرد عادية من يفتش عليهم وحينذاك تظهر فقط .

عن مجلة البيان لصاحبها علي الخاقاني
بالنجف بالعراق

٢ — النصب والاحتيال

من الجرائم المنتشرة فى مصر النصب والاحتيال ، حيث يسعى بعض الناس بطريق النصب والاحتيال لسلب ثروة الغير كلها أو بعضها ، إما باستعمال طرق احتيالية من شأنها إيهام الناس بوجود مشروع كاذب أو واقعة مزوّرة ، أو إحداث الأمل بحصول ربح وهمى من شركة مختلفة أو مصرف لا وجود له ، وإما بالتصرف فى مال ثابت أو منقول ليس ملكاً له ، ولا حق له فى التصرف فيه كأن يدعى أن الأطيان التى يريد بيعها أو رهنها هى ملكاً له ، والحقيقة أنها لغيره ، وإما باتخاذ اسم كاذب ، أو صفة غير صحيحة ، كأن يدّعى أنه من رجال البوليس أو من الوجهاء ، ويتضح أنه كاذب فى دعواه .

فمثل هذا يعد نصاباً محتالاً ، ويعاقبه القانون بالمادة ٢٩٣

٣ — الدجل والدجالون

الدجل هو الكذب ، والدجالون هم الكذابون الذين يحترفون حرفاً شيطانية يقصدون بها غش الناس وتضليلهم للاستيلاء على عقولهم وأموالهم ، بل وعلى شرفهم وعرضهم ، وهذه الحرف تعتبر فى الشرع والقانون نصبًا واحتيالاً للحصول على المعيشة بطرق غير مشروعة وهى محرمة ، ولا يرضى بمثل هذه الحرف وهذه المعيشة السافلة إلا أوغاد الناس وأراذلهم ، وهم على أنواع مختلفة .

١ — فمنهم الدجالون الذين يدعون معرفة علم الغيب ويلبسون لبوسها ، ويصطبغون لها زيها لإيهام البسطاء من الرجال والنساء أنهم من أولياء الله المطلعين على الغيب ، وربما أخبروا ببعض ضمائر من يقابلونهم أو يحضرون عندهم ، فيقع الاعتقاد أنهم من أهل الكشف ومن عباد الله المقربين ، مع أنهم يأتون المنكر باختلائهم بالأجنبيات ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وبذلك يستحلون أموال الناس وأعراضهم .

٢ — ومنهم المنجمون الذين يدّعون معرفة علم الغيب أيضًا بالسحر والتنجيم وقراءة الأثر ، فيفتحون الكتاب بأيديهم ، ويضربون الرمل ، وينظرون فى الفنجان لمعرفة

الأحوال ، و يرمون الودع ، و يتكلمون بالبدع ، و يقرءون الكف ، و يقيسون الأثر ، و يفتحون ورق اللعب (الكتشينة) وغير ذلك من الطرق ، وهم جميعاً يزعمون معرفة الغيب والكشف عنه نظير الحصول على الدرهم والدينار ، وما الغيب الذى يدّعونه إلا كذب وافتراء مبنى على أمارات عادية كثيراً ماتختلف ، و يظهر كذبهم فيها كما قيل : (كذب المنجمون ولو صدقوا ، أو ولو صدقوا) .

وقد كذبهم الله ونهى عن تصديقهم و إتيانهم ، وذلك لغلبة الكذب فى كلامهم ، ولإيهامهم العامة أن الله خصهم بعلم الغيب لأنهم من أولياء الله ، وقد افتروا على الله الكذب بدليل قوله تعالى : (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) التوبة (٧٨)

وقال تعالى : (قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ) . النمل (٦٥)

وقوله تعالى : (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) الأنعام ٥٩

ولذا قال العلامة ابن حجر فى فتاويه الحديثية : تعلم الرمل وتعليمه حرام شديد التحريم وكذا فعله ، لما فيه من إيهام العوّام أن فاعله يشارك الله فى غيبه وما استأثر بمعرفته ولم يطلع عليه إلا أنبياءه ورسله كما قال تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) الجن ٢٦ ، ٢٧ .

وقد نهى الشرع الشريف عن إتيان الكهان والعراف وأصحاب الرمل والطوارق بالحصى ونحو ذلك .

فعن صفية بنت أبى عبيد عن بعض أزواج النبى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا » رواه مسلم .

وفى الحديث المشهور : « مَنْ صَدَّقَ كاهِنًا [1] أَوْ عَرَّافًا [2] » وفى بعض الرِّوايات : « أَوْ مُنَجِّمًا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ » رواه الترمذى .

ولما كانت حرف العرافة والكهانة من أنواع النصب والكذب الضارّ بالأهالى عاقب عليها القانون بالمادة ٣٢٩ من قانون العقوبات وهى :

« قالعو الأسنان أو بائعو العقاقير أو الدجالون والمشعوذون الذين يشتغلون بصناعتهم فى الطرق العمومية بلا إذن يعاقبون بدفع غرامة لاتتجاوز جنيهاً مصريا أو بالحبس مدة لاتزيد عن أسبوع » .

٣ — ومنهم من يدّعى معرفة الأرزاق وقدرته على تيسيرها لطلابها ، وكذلك الرموز وفتح الكنوز ، وهل يصدق إنسان عاقل أن بيد هؤلاء المنجمين خزائن الله ومفاتيح الرزق ، والقدرة على إيصال عيش الناس ؟ وقد كذبهم الله تعالى بقوله : (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) . الزخرف ٣٢

وقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) . الذاريات ٥٨

وقوله تعالى : (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ) . الأنعام ٥٠

وقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) . آل عمران ٣٧

٤ — ومنهم من يدعى أن فى استطاعته إيجاد المحبة والألفة بين القلوب ، والبغض والكراهة والتفريق بين الحبيب والمحبوب ، بدلائل من كتاب كثير الصفحات يضعه المنجم

---

(١) الكاهن : هو الذى يتعاطى الخبر عن الأمور المستقبلة ويدعى معرفة الأسرار فيخبر عن بعض المضمرات فيصيب بعضها ويخطئ أكثرها .

(٢) العراف : هو الذى يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات وأسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أوحاله .

على الأرض يكتب منه حجابا للمحبة والقبول بكلام غير معقول ، ورموز لا يعرفها الإنسان ولا يصدقها العقل .

وكيف يصدق عاقل أن بعض كلمات مختلفة المبنى، فاسدة المعنى ، أو إشارات ورموز يكتبها هذا الدجال تكفي لتأليف القلوب ؟ وقد جاء في الكتاب العزيز قوله تعالى :

(لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) . الأنفال ٦٣

أو بعض عبارات غير مفهومة تكفي للهداية ؟ والله تعالى يقول للرسول عليه الصلاة والسلام : (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ . وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) . القصص ٥٦

٥ — ومنهم من يزعم أن في قدرته إزالة الأعراض ، وشفاء الأمراض ، وأنه يستعين بالقرآن الكريم على ما يعمل من الأحجبة والتعاويذ متخذاً قوله تعالى : (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ) حجة على قبول عمله ، وبخاصة وأنه لا يحفظ القرآن ولا يتدبره ولا يعلم أسراره وأحكامه ؛ وحقيقة القرآن شفاء للقلوب من الشرك والنفاق ، وما هذه الأحجبة والتعاويذ والأقوال التي يدّعيها إلا تغطية على عقول البسطاء من الرجال والنساء ، وشباك يصطاد بها أصحاب العقول الضعيفة السخيفة غير المؤمنة بالله ، وقد فاتهم قول الله تعالى : (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) . الشعراء ٧٨-٨٠

فالشفاء من الله تعالى ، حكيم الحكماء ، لا من هذه التعاويذ .

٦ — ومنهم من يدعي إيجاد النفع للناس و إبعاد الضرر عنهم ، مع أن الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام : (قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) . الأعراف ١٨٨

وقوله تعالى : (قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا) . الجن ٢١

وقوله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » .

٧ — ومنهم من يدعى أن فى قدرته قضاء الحاجات ، وإنزال البلاء والمصائب بالمخلوقات ، وقد كذبهم الله تعالى بقوله : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ . لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) . الحديد ٢٢ ، ٢٣

وقال صلى الله عليه وسلم : « احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » . رواه الترمذى .

٨ — ومنهم من يحتال على البسطاء ، ويعمدون إلى كثير من الأعيان والأغنياء وكبار الموظفين ويأخذون لهم الطالع ، ثم يذكرون نتيجة من نتائجهم ، وبهذا يتمكنون من اصطياد العامة وإغرائهم وأكل أموال الناس بالباطل .

فترى الأغرار من الناس ضعاف العقول يهرعون إلى هؤلاء الدجالين ، ويهبون لهم من الخير والمال مايضفون به على وجوه الخير حتى أصبح لهم قصور شاهقة وحدائق غناء ، ولكن مآلهم ومآلها إلى الفناء .

والخلاصة : أنه ينبغى لكل عاقل أن لايعتقد فى هؤلاء المنجمين الدجالين ، ولا يصدقهم لافى أقوالهم ولا فى أفعالهم ، وأن يبتعد عن مخالطتهم والذهاب إليهم ، محافظة على دينه وعرضه وعقله وماله . كما يجب على أولى الشأن محاربة هؤلاء الدجالين ومطاردتهم

والضرب على أيديهم ، وغلق حوانيتهم ، وإحراق كتبهم ، ومصادرة أدواتهم ، ومنعهم من الاشتغال بهذه الخرافات والأوهام والأكاذيب ، وحثهم على الاشتغال بصنعة شريفة يأكلون منها العيش حلالاً طيباً ؛ ونسأله تعالى أن يكفينا شر هؤلاء الدجالين ، وأن يهديهم إلى طريق الحق واليقين ، إنه سميع مجيب .

مثال من أمثلة الدجالين

الشيخ حنظل

... تزوجت بشاب وهي في ريعان الشباب ، ولم تلبث أن دبت بينهما عقارب السعايات والوشايات فأفسدت الحياة الزوجية ، ثم افترق الزوجان ، وعلى أثر ذلك أخذت تنتاب السيدة نوبات عصبية ، فلما رأتها إحدى صديقاتها نصحت لها بأن تعرض نفسها على الشيخ « حنظل » ملك الجان ، لأن هذه النوبات لابد أن تكون من آثار « عمل » قد دفن في دارها ، والشيخ « حنظل » له قدرة عجيبة على فك الطلاسم وإبطال السحر ؛ فلم تلبث السيدة أن صدّقت قول صديقتها وصحبتها إلى دار الشيخ ، فعرضت نفسها عليه ، فأوهمها في الحال بأن مطلقها قد عمل لها عملاً ، وأن في قدرته محو آثار هذا العمل ، وإعادة الزوجية أحسن مما كانت ، وطلب منها أن تعطيه ١٦ جنيها مقدمًا فقدمت إليه المبلغ ، وفي اليوم التالي توجه إلى الدار وانتزع لفافة كانت مخبأة تحت السلم وأذابها في الماء ، وقد أوهمها بأنها طلاسم كان قد ألقاها مطلقها هناك بقصد الإساءة إليها فصدقته ، وطلب منها حمائم من أنواع معينة فأحضرتها وذبحتها ، ثم حشتها « بالفستق » وأمرها بأن تضعها في غرفة بعد أن تزيل مافيها من صور وتماثيل ، لأن الشيخ يكره أن يرى هذه الأشياء ، ثم يحبس نفسه في الغرفة ويخلو « بالحمائم » المحمرة فيلتهمها ويتمتم « بتعاويذ » فتفرح المرأة بذلك ، لأن زوجها كما يوهمها الشيخ سيعود إليها وأنفه راغم بواسطة تلك « التعاويذ » ، وأمنت السيدة بأن الشيخ سوف لايفارق الدار حتى يكون زوجها في الطريق ، ثم يخرج الشيخ بعد منتصف الليل فتتفقد السيدة سوارها الذهب فلا تجده ، فتقابل الشيخ وتسأله عن

سوارها فيقول إن الشيخ حنظل أخفاه وسيعيده إليها يوماً ما ! وقد مضى الأسبوع ولم يعد الزوج ولم يظهر السوار ؛ هنالك اغتاظت السيدة وذهبت إلى بوليس قسم الخليفة فأبلغت الملازم الأول (أنسى الهجرسى) أفندى ضابط المباحث أمر الشيخ ، وقد اهتم الضابط بالحادث وتوجه إلى دار الشيخ ففتشها ، وعثر فيها على كميات من الحجب والتعاويذ وعظام الموتى ، ووجد فى الدار كثيراً من النساء المخدوعات بأمر هذا الدجال ، المأخوذات بسحره ودجله ؛ فلما اقتياده الضابط إلى المخفر أسفن أشد الأسف ، وقلن سيعود الشيخ فى الحال ، لأن ملك الجن سيفرج عنه .

وأخذ فى سؤال الشيخ عن المال الذى سلبه ، والسوار الذى نهبه ، ولا يزال التحقيق جاريًا . (المصرى ١٩٤٣/٨/٧)

٤ — الغصب أو اغتصاب الأراضى

الظلم حرام قليله وكثيره ، وسرقة الأرض وغصبها باب من أبواب الظلم ؛ شبرًا كان المأخوذ أوذراعًا ، قصبةً كان أوفدانًا ، ملكًا للأفراد ، أومن المنافع العامة ، كما رواه أبو يعلى عن الحكم بن الحارث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَخَذَ مِنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ شِبْرًا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ » .

فالذين يأكلون من الطرق الخاصة أوالعامة فى المبانى أوالمزارع أو يأخذون من جسور السكك الحديدية ، أومن شواطئ الأنهار والترع ، كل أولئك لصوص ظلمة غصبة .

وكذلك الذين يغيّرون معالم الضياع ، أو أراضى البناء ، ويزحزحون حدودها عن أماكنها ، ليضموا إلى ملكهم من أملاك غيرهم ؛ وقد بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم أن من ظلم مقدار شبر من الأرض طُوِّقه من سبع أرضين : أى ألزم إثم ذلك ، ولم يكن له مفرّ من عقابه .

فليس معنى التطويق أن يجعل ذلك طوقًا له يوم القيامة يحيط بعنقه ، أو أن يكلف نقل تراب ذلك الشبر من سبع أرضين تعذيبًا له ، وإنما الغرض لزوم الإثم له لزوم الطوق ، وأخذ العذاب الشديد بخناقه .

ومن المعلوم أن الاعتداء على الحدود كثيراً ما يسبب مشاكل خطرة وقضايا عدة ، بل كثيراً ما أريقت فيه دماء ، وأنفقت فى سبيله خزائن الأموال ؛ فلو أن الناس اتعظوا بهذا الحديث ، ووقف كل عند حده ماوقعوا فى هذه البلايا والمصائب ، ولأراحوا أنفسهم وأراحوا الحكومة من هذه الحوادث والقضايا .

وليعلم كل إنسان عاقل أن الظلم ظلمات يوم القيامة ، وفى الدنيا نزاع وشجار وعداوة و بغضاء ، ومتلفة وخسارة ، والطمع عاقبته الندم ، والغصب كالسرقة حرام فى حرام .

فلا تدنس أيها العاقل نفسك الطاهرة برجسه ، ولا تفسد أرضك بشرّه ، فتنقلبها الآفات الزراعية ، و يرسل الله عليها من جنوده الخفية ما يذهب الحرث ، و يزيل البركة منها ، وقليل مبارك فيه ، خير من كثير لا بركة فيه .

وقد قررت الحكومة فى قانونها عقوبة لمغتصب الأرض فى المادة ٣١٣ فارجع إليها وتدبرها واخش عقوبتها .

مثال الرجل المغتصب

اغتصب رجل غنىّ مقتدر قطعة أرض لأرملة فقيرة لا تملك غيرها ، لكى يوسع حديقة قصره . فبينما كان هذا الغنى يتنزه فى الحقل الذى اغتصبه ، و إذا بتلك المرأة المسكينة حاملة بيدها كيس قمح كان فارغاً ، ودنت منه وقالت له والدموع تسيل على خديها :

« أسألك ياسيدى الغنى أن تتنازل فتمنحنى عطفك ، وتأذن لى أن آخذ من ميراث أبى تراباً بقدر مايسع هذا الكيس » .

فأجابها الغاصب : لاأستطيع أن أرفض طلبك . فملأت الكيس تراباً وقالت : ألتمس منك نعمةً أخرى ، وهى أن تتكرم علىّ وتحملنى هذا الكيس على كتفى ، فأبى الغنى المتعجرف إجابة سؤالها ، غير أن الأرملة المسكينة عادت فتوسلت إليه بإلحاح حتى رضى أخيراً بذلك ، لكنه عند ما أراد رفع الكيس هتف قائلا :

« هذا لاأقدر عليه مطلقاً ، لأنه ثقيل جداً وفوق طاقتى » . عندئذ تكلمت الأرملة بجرأة وحرارة وقالت : كيس واحد من تراب هذه الأرض التى اغتصبتها ثقيل عليك جداً

وأنت لاتخشى الله ، وتحمل ذمتك ثقل هذا الحقل الذى لايمكن أن يحويه ألف كيس مثل هذا ؟ فأثر هذا الكلام فى ذلك الرجل الغاصب الطماع ، وبادر برد الحقل إلى الأرملة البائسة ، ولسان حاله يقول : « إن المال المكتسب من طريق الحرام يكون حملاً ثقيلاً على من يأكله ، ويعذب به فى الآخرة » . وهذا تأييد لقوله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ . وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً) . النساء ٣٠

وقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شِبْرًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

٥ ــ القتل وتحريمه والنهى عنه وعقابه

القتل : فظيعة الفظائع ، ورأس الخطايا ، وأسّ الخراب والدمار ؛ يهدم صروح المدنية ، ويدكّ أطوادها . القتل : تقشعر منه الجلود ، وتنخلع من هوله القلوب . القتل : دليل على جحود القلب وقسوته ، وعلى غضب الرب وسخط الخلق ، بل على انسلاخ مرتكبه من الإنسانية .

بالقتل تتيتم الأولاد ، وتترمل النساء ، ويضطرب الأمن العام ، ويختل النظام .

مافشا القتل فى أمة إلا ذهبت الثقة بين أفرادها ، وطمع فيها عدوها ، وقلّ ناصرها ، واستولى عليها من لايرحمها .

القاتل عاصٍ لله سبحانه وتعالى ، خائن لبلاده ووطنه الذى يعز بعزه ، ويذل بذله ، ناقض لبناء الإنسانية الذى يريد الله إتمامه ، ساع فى تلاشى العالَم ، وفناء الخلق ، معرّض نفسه للإعدام ، وبيته لليتم والانتقام ، فمن قتل يقتل ولو بعد حين (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) . الشورى ٤٠

القاتل الذى يقتل نفساً بريئةً لمجرد سورة غضبه ، أو الوصول إلى غرضه ، مهما سفل

إذا تعرض له أيّ شخص آخر وخالفه فى هواه كان أكبر همه قتله ، فهو بذلك مستعدّ لقتل كل من ينازعه متى أمكنته الفرصة .

وعلى هذا فقاتل النفس الواحدة كقاتل الناس جميعًا ، ولذلك كان إثمه شنيعًا ، وعذابه أليمًا ، فوجب على من علم بعزم إنسان على قتل آخر أن يمنعه من تنفيذ عزمه كما يمنعه عن نفسه . للمقتول أولياء وأقارب يطلبون بدمه أمام الحكومة ، ولا يهدأ بالهم إلا إذا اقتصوا من القاتل ، ومثلوا به شر تمثيل . والحكومة تعمل جهدها فى القصاص من الجانى لتحافظ على حياة أفرادها (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يٰٓأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) البقرة (١٧٩) .

ولقد اتفقت جميع الأديان على معاقبة القاتل فى الدنيا بالقتل ، وفى الآخرة بالخلود فى عذاب النار و بئس القرار . ومما جاء فى القرآن الكريم فى جزائه : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا). النساء (٩٣)

وفى النهى عنه قال سبحانه : (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) . الأنعام (١٥١)

وفى الحديث : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ ، قالوا يارسولَ الله وماهُنَّ ؟ قال : الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلاّ بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ » ،

فأى عاقل يقدم على القتل و يرضى لنفسه الهلاك فى الدنيا ، والعذاب الأليم فى الآخرة هذا أمر لا يرضاه إنسان ولو كان غير معتقد للأديان .

(الديانة والتهذيب — الجزء الرابع)

تحريم قتل النفس

القتل : جريمة فظيعة تدفع النفس الشريرة لارتكابها ، إما ميلاً للسرقة ، وطمعًا فى سلب مال الغير ، و إما للانتقام والأخذ بالثأر ، و إما للعداوة والبغضاء الكامنة فى النفوس و إما دفاعاً عن العرض أو النفس . و يحرمه الله تعالى ناهيًا عن قتل النفس بغير حق شرعى

بقوله : (وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ . وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) . الإسراء (٣٣)

كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ : النَّفْسِ بِالنَّفْسِ وَالزَّانِي الْمُحْصَنِ ، وَالتَّارِكِ لِدِينِهِ الْمُفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ » .

وفى السنن : « لَزَوَالُ الدُّنْيَا عِنْدَ اللهِ أَهْوَنُ مِنْ قَتْلِ مُسْلِمٍ » .

أما قوله تعالى: (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا) أى سلطة على القاتل فإنه بالخيار فيه ، إن شاء قتله قودًا ، وإن شاء عفا عنه على الدية ، وإن شاء عفا عنه مجانًا ، كما ثبتت السنة بذلك ، وقوله (فَلاَ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ) معناه فلا يسرف الولى فى قتل القاتل بأن يمثل به ، أو يقتص من غير القاتل ، وقوله : (إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) أى أن ولىّ المقتول منصور على القاتل شرعًا ، وغالبًا وقدرًا .

وقال تعالى فى آية أخرى : (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) . المائدة (٣٢)

يخبر الله تعالى فى هذه الآية أنه من أجل قتل ابن آدم ـ قابيل ـ أخاه ـ هابيل ـ ظلمًا وعدوانًا (كتبنا على بنى إسرائيل) أى شرعنا وأعلمناهم (أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا) أى من قتل نفسا بغير سبب من قصاص ، أو فساد فى الأرض ، واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية ، فكأنما قتل الناس جميعًا ، لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس (ومن أحياها) أى حرّم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار ، ولهذا قال : (فكأنما أحيا الناس جميعًا) .

وعن أبى هريرة قال : دخلتُ على عثمان يوم الدار فقلتُ : جئتُ لأنصرَكَ وقد

طابَ الضربُ يا أمير المؤمنين . فقال : يا أبا هريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعًا و إياى معهم ؟ قلت : لا . قال : فإنك إن قتلت رجلاً واحدًا فكأنما قتلت الناس جميعًا ، فانصرف مأذوناً لك مأجورًا غير مأزور . قال : فانصرفت ولم أقاتل .

وقال ابن عباس فى معنى هذه الآية : إحياء النفس ألا يقتل نفسًا حرمها الله ، فذلك الذى أحيا الناس جميعًا ، يعنى أنه من حرم قتلها إلا بحق حيي الناس منه .

وقال سعيد بن جبير : من استحلّ دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعًا ، ومن حرّم دم مسلم فكأنما حرّم دماء الناس جميعًا .

وعن عبد الله بن عمر قال : « جاء حمزة بن عبد المطلب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله اجعلنى على شىء أعيش به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يَا حَمْزَةُ نَفْسٌ تُحْيِيهَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ نَفْسٌ تُمِيتُهَا ؟ قال : بل نفس أحييها ، قال : عَلَيْكَ نَفْسَكَ » .

حد القتل

والحد الشرعى فى جريمة القتل هو الإعدام قتلاً ، أودفع الدية لقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى . فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ . فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَا أُولِى الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) . البقرة (١٧٩)

يقول الله تعالى : يأيها المؤمنون كتب الله عليكم القصاص فى القتلى ؛ فى حالة العفو وإبدال الدية بالقصاص على من عفا أن يحسن المطالبة بها ، وعلى المعفوّ عنه أن يحسن أداءها ، ذلك التخيير بين القصاص وقبول الدية تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن تعدى ذلك فله عذاب أليم .

وقال بعض العلماء فى قوله تعالى : (الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) لا يدل على منع قتل الحر بالعبد ، والرجل بالمرأة ، والمؤمن بالكافر . وإنما نزلت هذه الآية لما تحاكم حيان

من العرب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانت بينهما حروب ، فأقسم أحد الحيَّين أن يقتل بكل عبد حرًّا ، وبكل أنثى ذكراً ، فنزلت تأمرهم بأن يكون الحرّ بالحرّ ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى ، وفى قوله : (ولكم فى القصاص حيوٰة) أى فى سَنِّ القصاص من القاتل حياةٌ للناس ، لأنه يردّ العادين ، فلايشيع القتل بين العالَمين .

أما عقوبة جريمة القتل فى قانون العقوبات فهى فى المادة ١٩٤ « كل من قتل نفسًا عمدًا مع سبق الإصرار على ذلك أوالترصد يعاقب بالإعدام » .

وفى جميع الأحوال التى تقضى فيها الشريعة الغراء بالدية يصير تقديرها والحكم بها شرعاً للأشخاص السارية عليهم أحكام الشريعة كما جاء فى المادة ٢١٦ من هذا القانون .

حكم الشرع فى جرائم الاغتيال

بيان من جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف

أشرنا أمس إلى اجتماع حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء جماعة كبار العلماء وكبار علماء الأزهر برياسة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر بمكتبه بالإدارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية ، وأنهم قرروا إصدار بيان للأمة بمناسبة ماتكرر من حوادث الاغتيال و إراقة الدماء التى عصمها الله ، يذكر فيه حكم الشرع ، ويوجه فيه النصح للأمة بالتزام أوامر الله والكف عن محارمه ، وننشر فيما يلى هذا البيان :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد : فقد أوجب الله علينا بيان حكم دينه الحنيف ، والنصيحة لعامة المسلمين وخاصتهم ،أفرادًا وجماعات فيما يغشى الأمة من الحادثات الجسام ، فندعو المصريين عامةً إلى امتثال محابّ الله تعالى واتقاء محارمه ، إذ لافلاح فى الدين والدنيا إلابالوقوف عندحدود الله ، (وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) .

ونهيب بهم كافةً إلى عرفان ما أجمعت عليه الشرائع من أن من أكبر الكبائر ،

وأعظم المآثم قتل النفس البريئة ، وانتهاك حرمة الدم المعصوم ظلماً وعدواناً ، لما فيه من إشاعة الفساد ، واختلال نظام العمران .

وقد جاء في صريح القرآن والسنة من التهديد والإيعاد في أمر هذه الجريمة النكراء ماينادي بعظم فظاعتها ، وشدة خطورتها . قال الله تعالى : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) .

قد كتب الله على بني إسرائيل (أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » . وخطب عليه الصلاة والسلام المسلمين يوم النحر بمنى في حجة الوداع فكان مما قاله : « فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ ، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ قالوا نعم . قالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ » .

وقد بلغ من تغليظ الزجر ، وتشديد العقاب لمن اقترف هذه الجريمة أن قال ابن عباس حين سُئل : هل للقاتل توبة ؟ : ويحك وأنَّى له توبة ؟ سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « يَأْتِي الْمَقْتُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُعَلَّقًا رَأْسُهُ بِإِحْدَى يَدَيْهِ مُتَلَبِّبًا قَاتِلَهُ بِيَدِهِ الأُخْرَى تَشْخُبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا حَتَّى يُوقِفَا ، فَيَقُولُ الْمَقْتُولُ لِلَّهِ تَعَالَى : رَبِّ هَذَا قَتَلَنِي ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِلْقَاتِلِ تَعِسْتَ وَيُذْهَبُ بِهِ إِلَى النَّارِ » .

وقد أجمع المسلمون على أن من أعان آثما على إثمه كان شريكاً له في هذا الإثم ، وفي القرآن الكريم : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) . المائدة (٢)

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَعَانَ عَلَى دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ كُتِبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ » .

وعن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَزَوَالُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ ، وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَدْخَلَهُمُ اللهُ تَعَالَى النَّارَ » .

وروى « لَوْ أَنَّ رَجُلاً قُتِلَ بِالْمَشْرِقِ وَآخَرُ رَضِيَ بِالْمَغْرِبِ لَأُشْرِكَ فِي دَمِهِ » .

هذا حكم الله تعالى فيمن اقترف هذه الجريمة ، أوأعان عليها ، أواشترك فيها ، أو رضى بها ، فكيف يجترئ مسلم بعد أن وقر الإيمان فى صدره ، وعرف شرائع دينه على اغتيال أخيه ، وسفك دمه ، وهدم بنيته ظلماً وعدواناً ؟ لايبالى فى ذلك حق الأخوّة الإنسانية ، ولاحق الرابطة الوطنية ، ولاحق الله تعالى وما جاء فى كتابه العزيز من الوعيد بالعذاب المقيم ، والغضب الشديد لمن قارف هذه الجريمة الشنعاء .

إن هذه الجريمة لهى أخطر الجرائم على المجتمع تهدده فى كيانه و بقائه ، وفى حريته وتفكيره ، وفى إنشائه وتجديده ، وتنذره بالانحلال والفناء ، ولذلك كان الجزاء عليها عند الله فى الآخرة أشد الجزاء .

لا يستهين بالخلود فى النار ، وغضب المنتقم الجبار ، والطرد من رحمة الله إرضاء لنفسه ، و إيثاراً لشهوته ، إلا من تجرّد من إنسانيته ، وانقلب وحشاً ضارياً فى إهاب إنسان .

أبناءنا المصريين :

اعتصموا بحبل الله المتين ، واستمسكوا بعرى الدين ، واعملوا صالحاً فى الحياة ، ولايغرنكم بالله الغرور ، وذروا ظاهر الإثم و باطنه ، وطهروا ضمائركم من لوثة الشر ، ولا تتبعوا الهوى فيضلكم عن سبيل الله ، واحذروا مضلة الإغواء ، ومباءة الإغراء ، واخدموا وطنكم بالعقول السليمة ، والعلوم النافعة ، والآراء السديدة ، والوحدة الجامعة ؛ واعلموا أن الوقت عصيب ، والموقف رهيب . (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) الأنفال ٢٥ . (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) الزلزال ٧،٨ . (وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) البقرة (١٤٩)

(المصرى فى ٤ يناير سنة ١٩٤٩)

الإيمان قيد الفتك

بقلم فضيلة الأستاذ أحمد محمد شاكر

(رئيس محكمة شبين الكوم الشرعية)

رُوِّعَ العالمَ الإسلامى والعالم العربى بل كثير من الأقطار غيرهما باغتيال الرجل ، الرجل بمعنى الكلمة (النقراشى) الشهيد غفر الله له وألحقه بالصديقين والشهداء والصالحين .

وقد سبقت ذلك أحداث ، قدم بعضها للقضاء وقال فيه كلمته ، وما أنا الآن بصدد نقد الأحكام ، ولكنى كنت أقرأ ـ كما يقرأ غيرى ـ الكلام فى الجرائم السياسية ، وأتساءل أنحن فى بلد فيه مسلمون ؟!

وقد رأيت أن واجبًا علىَّ أن أبين هذا الأمر من الوجهة الإسلامية الصحيحة ، حتى لا يكون هناك عذر لمعتذر ؛ ولعل الله يهدى بعض هؤلاء الخوارج المجرمين ، فيرجعوا إلى دينهم قبل أن لا يكون سبيل إلى الرجوع .

وما ندرى من ذا بعد النقراشى فى قائمة هؤلاء الناس ؛ إن الله سبحانه توعد أشد الوعيد على قتل النفس الحرام ، فى غير آية من كتابه : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ، وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) .

وهذا من بديهيات الإسلام التى يعرفها الجاهل قبل العالم ، وإنما هذا فى القتل العمد الذى يكون بين الناس فى الحوادث والسرقات وغيرها « القاتل يقتل وهو يعلم أنه يرتكب وزرًا كبيراً » .

أما القتل السياسى ، الذى قرأنا جدالاً طويلاً حوله فذاك شأنه أعظم وذلك شئ آخر .

القاتل السياسى يقتل مطمئن النفس ، راضى القلب ، يعتقد أنه يفعل خيراً ، فإنه يعتقد بما بثّ فيه من مغالطات أنه يفعل عملاً حلالاً جائزاً ، إن لم يعتقد أنه يقوم بواجب إسلامى قصر فيه غيره ، فهذا مرتد خارج عن الإسلام يجب أن يعامل معاملة المرتدين ، وأن تطبق عليه أحكامهم فى الشرع وفى القانون ، هم الخوارج كالخوارج القدماء الذين كانوا يقتلون أصحاب رسول الله ، ويدّعون من اعترف على نفسه بالكفر ، وكان ظاهرهم كظاهر

هؤلاء الخوارج بل خيرًا منه ، وقد وصفهم رسول الله بالوحى قبل أن يراهم . فقال لأصحابه :

« يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ » حديث أبى سعيد الخدرى فى صحيح مسلم (ج ١ ص ٢٩٢ — ٢٩٣) .

وقال أيضًا : « سَيَخْرُجُ فِى آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ ، يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ، فَإِنَّ فِى قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . حديث على بن أبى طالب فى صحيح مسلم (ج ١ ص ٢٩٣) .

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة متواترة ، و بديهيات الإسلام تقطع بأن من استحلّ الدم الحرام فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه .

فهذا حكم القتل السياسى هو أشد من القتل العمد الذى يكون بين الناس . القاتل قد يعفو الله عنه بفضله ، وقد يجعل القصاص منه كفارةً لذنبه بفضله ورحمته ؛ وأما القاتل السياسى فهو مصرّ على مافعل إلى آخر لحظة من حياته ، يفخر به ، و يظن أنه فعل فعل الأبطال .

وهناك حديث آخر نص فى القتل السياسى لايحتمل تأويلاً ، فقد كان بين الزبير بن العوام و بين على بن أبى طالب ما كان من الخصومة السياسية التى انتهت بوقعة الجمل ؛ فجاء رجل إلى الزبير بن العوام فقال أقتل لك عليًّا ؟ قال لا ، وكيف تقتله ومعه الجنود ؟ قال : ألحق به فأفتك به . قال : لا ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ الإِيمَانَ قَيَّدُ الْفَتْكِ ، لاَ يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ » .

(حديث الزبير بن العوام رقم ١٤٢٦ من مسند الإمام أحمد بن حنبل بتحقيقنا)

أى إن الإيمان يقيد المؤمن عن أن يتردى فى هوة الردة ، فإن فعل لم يكن مؤمنًا .

أما القرشى فقد أكرمه الله بالشهادة ، له فضل الشهداء عند الله وكرامتهم ، وقد مات

ميتةً كان يتمناها كثير من أصحاب رسول الله ، وتمناها عمر بن الخطاب حتى نالها ، فكان له عند الله المقام العظيم والدرجات العلى .

وإنما الإثم والخزى على هؤلاء الخوارج القتلة مستحلى الدماء ، وعلى من يدافع عنهم ويريد أن تتردى بلادنا فى الهوة التى تردت فيها أوربة بإباحة القتل السياسى ، أو تخفيف عقوبته ، فإنهم لايعلمون مايفعلون ، ولا أريد أن أتهمهم بأنهم يعرفون ويريدون .

والهدى هدى الله . (القطم فى يوم الجمعة ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٨)

---

٦ – أكل أموال الناس بالباطل

قد نهى الله تعالى عن أكل كل مال أخذ بغير حق و بلا مسوّغ شرعى . قال الله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) .

والمراد بالأكل سائر التصرفات ، وعبر به لأنه معظم المنافع ، والمعنى : لايأكل بعضكم أموال بعض ؛ والمراد بالباطل مايخالف الشرع ، كالربا والقمار ، والغصب والسرقة والخيانة ، وشهادة الزور ، وأخذ المال باليمين الكاذبة ، ومن استعار شيئًا فجحده ، وأكل الرشوة ، ومنتقص الكيل والوزن ، ومن باع شيئًا فيه عيب فأخفاه عن المشترى ، والمقامر والساحر والمنجم والمصوِّر والزانية والنائحة ؛ وبالجملة كل شئ حرَّمه الشرع الشريف .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ . فقال تعالى : (يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا) .

وقال تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) .

ثم ذكر : « الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَارَبِّ يَارَبِّ يَارَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِّىَ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ ؟ » .

وقال أيضاً : « يَاسَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلُ أَرْبَعِينَ يَوْماً وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ » .

وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « مَنِ اشْتَرَى ثَوْباً بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ وَفِيهِ دِرْهَمٌ مِنْ حَرَامٍ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ صَلَاةً مَادَامَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَدْخَلَ أُصْبُعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ ثُمَّ قَالَ : صُمَّتَا إِنْ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم سَمِعْتُهُ يَقُولُهُ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لَاتَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ بِهِ ؟ » .

وقال أيضاً : « لَايَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ » .

وورد أنه صلى الله عليه وسلم قال : « يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأُنَاسٍ مَعَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ كَأَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ حَتَّى إِذَا جِيءَ بِهِمْ جَعَلَهَا اللهُ هَبَاءً مَنْثُوراً ، ثُمَّ يُقْذَفُ بِهِمْ فِي النَّارِ . قيل يارسولَ اللهِ كيفَ ذلك ؟ قال : كَانُوا يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيُزَكُّونَ وَيَحُجُّونَ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا عَرَضَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْحَرَامِ أَخَذُوهُ . فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ » .

ورُئِيَ بعض الصالحين فى النوم فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : خيراً ، غير أنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها ولم أردها .

وقال سفيان الثورى : من أنفق الحرام فى الطاعة ، فهو كمن طهر الثوب بالبول .

وقال عمر رضى الله عنه : « كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة من الوقوع فى الحرام » .

إذا تدبرت أيها المسلم هذه الآيات والأحاديث[1] والروايات تعلم أنه لايطيب لك ثمرة هذه الأرض إلا إذا رددت على أرباب الحقوق مثل ما أخذته منهم من الزيادة المحرَّمة ، أو أبرءوك منها .

ملحوظة : معظم هذه الآيات والأحاديث سبق ذكرها .

وذلك لأن الربا يتعلق به حقان : حق العبد وهو رد عينه لو كان قائما ، ورد مثله إذا هلك ؛ وحق الشرع وهو رد عينه لنقض العقد المنهيّ عنه شرعاً ، و بعد الاستهلاك لا يتأتى رد عينه ، فتعين رد المثل وهو محض حق العبد ؛ و يصح إبراء العبد عن حقه بعد الاستهلاك فقط لا قبله لتعلق حق الشرع بردّ العين .

وأما الحج وسائر أعمال الطاعات بمال الربا و بكل مال حرام فلا يقبل منه ولا ثواب فيه ، و إن سقط عنه فرض الحج لما ثبت فى الحديث الشريف : « مَنْ حَجَّ بِمَالٍ حَرَامٍ فَقَالَ : لَبَّيْكَ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : لاَ لَبَّيْكَ وَلاَ سَعْدَيْكَ ، وَحَجُّكَ مَرْدُودٌ عَلَيْكَ » .

وروى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ لِلهِ مَلَكاً عَلَى بَيْتِ المَقْدِسِ يُنَادِى كُلَّ لَيْلَةٍ : مَنْ أَكَلَ حَرَامًا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ » .

الصرف : النافلة . والعدل : الفريضة .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَصَابَ مَالاً مِنْ مَأْثَمٍ فَوَصَلَ بِهِ رَحِمًا ، أَوْ تَصَدَّقَ بِهِ ، أَوْ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ جَمَعَ اللهُ ذَلِكَ جَمِيعًا ثُمَّ قَذَفَهُ فِي النَّارِ » .

وفى هذا ضُرِب المثل : ياليتها لم تزن ولم تتصدق .

وقال ابن المبارك : رد درهم من شبهة أحب إلىّ من أن أتصدق بمائة ألف درهم ، ومائة ألف ، ومائة ألف ، حتى بلغ ستمائة ألف .

وفقنا الله و إياكم وسائر المسلمين للأكل من الطيبات والمال الحلال ، وأبعدنا جميعًا عن الوقوع فى شرك المحرّمات وأكل المال الحرام .

(مجلة الإسلام — العدد ٤٦ — السنة السادسة)

خطبة فى النهى عن أكل الحرام

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيرى

الحمد لله الذى سخر لنا مافى الأرض جميعًا رحمةً منه وفضلًا ، وأمرنا أن نأكل مما فى الأرض حلالاً طيبًا ، سبحانه وتعالى وسعت رحمته كل شئ وهو الغفور الرحيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ؛ وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله الناطق بالحكمة وفصل الخطاب . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ) . وقال : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) .

يامعشر المسلمين : يأمرنا خالقنا بهذا القرآن الكريم أن نطلب الحلال الطيب وأن نأكل منه ؛ فطلب الحلال فريضة على كل قادر عليه . قال نبينا عليه الصلاة والسلام : « طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ » . فهل تدبرتم معنى ذلك وعملتم به ، وأطعتم الله والرسول ؟ هل قمتم بما يجب عليكم من ذلك ، وتمسكتم بوسائل الرزق الحلال من صناعة وتجارة وزراعة وغير ذلك ؟ هل خشيتم ربكم ، وخفتم بطشه وعذابه فتعففتم عن الحرام ؟ هل ذكرتم يوماً يجعل الولدان شيبًا ، فأعرضتم عن أكل أموال الناس بالباطل ؟ هل احتقرتم لذاتكم الفانية مرضاةً لمولاكم الذى أعد لمن رضى عنه جنات النعيم ؟

هذا كتاب الله ينطق عليكم بالحق ، وتلك سنة رسوله حجة قائمة بينكم ، وهما يأمران بالسعى على الرزق وطلب الحلال ، وينهيان عن الكسل وطلب الحرام ؛ فلاعذر لكسول رضى أن يكون عالةً على غيره ، ولاعذر لشره يطمع فى أكل أموال الناس بالباطل .

بل الخير كل الخير فى طلب الحلال بالجد والاجتهاد امتثالاً لأمر الله ورسوله ، والزهد فى الحرام والإعراض عنه ، ومن يفعل ذلك فله أجران : السعادة والغنى فى الدنيا ،

فى جنات الفردوس يوم الدين ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طُوبَى لِمَنْ طَابَ كَسْبُهُ ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ ، وَكَرُمَتْ عَلَانِيَتُهُ وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ » من حديث رواه الطبرانى .

وقال أيضاً : « أَيُّمَا رَجُلٍ كَسَبَ مَالاً مِنْ حَلَالٍ فَأَطْعَمَ نَفْسًا أَوْ كَسَاهَا فَمَنْ دُونَهَا مِنْ خَلْقِ اللهِ فَإِنَّ لَهُ بِهِ زَكَاةً » رواه ابن حبان .

يامعشر المسلمين : نرى كثيرًا منا لا يزهدون فى الحرام ، ولا يبالون بما يترتب عليه من الأوزار والآثام ، فتراهم يغشون الناس فى بيعهم وشرائهم وصناعتهم وتجارتهم ، تراهم يخونون الأمانة ، ويبخسون الكيل والميزان ، ولا يزدجرون بقول الله ولا بقول رسول الله أولئك هم الخاسرون . فيأيها الفاسق كيف ترضى بغش الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا ، وَالْمَكْرُ وَالْخِدَاعُ فِي النَّارِ » .

كيف يهنأ لك يامسلم أكل المال بالغش والخداع ، وقد عدّ نبينا صلى الله عليه وسلم الفاسق من الفجار لا من المؤمنين الأخيار. فقال عليه الصلاة والسلام: « الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ نَصَحَةٌ ، وَادُّونَ وَإِنْ بَعُدَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ ، وَالْفَجَرَةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ غَشَشَةٌ مُتَخَادِنُونَ وَإِنْ قَرُبَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ ؟ »

و يامن تبخس الكيل والميزان ، ماذا تصنع يوم لقاء الملك الديان ، وقد حذّرك العقاب وسوء المصير ؟ ألم يقل فى كتابه الكريم : (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) المطففين ١ ـ ٣ .

فالويل لك يامسكين يوم لا يغنى عنك مال كسبته من حرام ، وما ربك بظلام للعبيد.

يامعشر المسلمين : احذروا أكل الحرام ، فقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام :

« لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ » .

احذروا الخيانة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهُ لَا دِينَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ » .

احذروا الغش فإنه سحت لا بركة فيه ، ومن ورائه عذاب أليم .

أيها المسلمون : اللهَ اللهَ فى أنفسكم فلاتعرِّضوها لسخط الله وعذابه فإنه منتقم جبار .

اللهَ اللهَ فى إخوانكم فلاتظلموهم فى أموالهم ، فإن الظالمين لهم سوء الدار .

الله الله فى دينكم ، فإن من حاد عنه فقد ضل سواء السبيل .

الحديث : قال عليه الصلاة والسلام : « أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلاَ عَلَيْكَ مَافَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا : حِفْظُ أَمَانَةٍ ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ » . رواه أحمد والطبرانى .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَذْهَبَ بِهِ إِلَى الْجَبَلِ فَيَحْتَطِبَ ثُمَّ يَأْتِيَ بِهِ فَيَحْمِلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَأْكُلَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ ، وَلَأَنْ يَأْخُذَ تُرَابًا فَيَجْمَلَهُ فِي فِيهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ فِي فِيهِ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ » .

رواه أحمد

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى اللهعليه وسلم قال : « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَايُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ » . رواه البخارى والنسائى.

شرح حديث أبى هريرة

الحلال فى الدين الإسلامى بيِّن واضح لاشبهة فيه ، والحرام بيِّن جلىّ لامرية فيه ، وطلب الحلال الطيب فريضة من فرائض الدين الحنيف ، وقد حثَّ الله تعالى فى غير ما آية من كلامه القديم على الأكل من الطيبات ؛ كما حذر ونهى من تناول الخبيث وأكل المحرمات . قال تعالى : (كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا) أمر بالأكل من الطيبات قبل العمل ؛ لأن الله تعالى لايقبل عبادة من نبت لحمه من حرام ، لأن النار أولى به ، كما أوضح ذلك سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم .

وقال تعالى : (وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) . النساء ٢٩

وقال تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَتَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ) البقرة ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

وقال فى آية أخرى: (وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) . البقرة(٢٧٥)

جعل آكل الربا فى أول الأمر مؤذناً بمحاربة الله ورسوله ، وفى آخره مآله للنار والعياذ بالله تعالى ، وهذا الحديث الشريف من قبيل الإخبار بالمغيبات معجزة له صلى الله عليه وسلم ، فقد بيّن فيه ماعليه معظم الناس اليوم من التكالب على جمع المال ، والتفانى فى حبه ، والحصول عليه من غير مبالاة ولا تمييز بين الحلال منه فيؤكل ، والحرام منه فيجتنب ، حتى عمّ ذلك وطمّ فى معظم الطبقات إن لم يكن فى كلها ؛ فمن خائن فى الأمانة إلى آكل مال اليتيم بغير حق ، إلى غاصب أموال الناس ، إلى آكل أموال الأوقاف ، إلى جاحد للحقوق ، إلى مغتال لمال شريكه ، إلى غاشٍّ فى تجارته ، إلى مخفٍ للُّقطة ، إلى سارق أموال الناس ، إلى متعامل بالربا ، إلى محتال فى تحليله ، إلى غير ذلك مما يطول شرحه ويكثر سرده .

وأعظم الكل انتشاراً ، وأشدها بلوى التعامل بالربا ، فلا تجد ضيعةً ولا قريةً ولا بلداً ولا مدينةً إلا وهو فاشٍ فيها ، بالرغم من أن الله سبحانه وتعالى لم يذر فى ذنب من الذنوب إنذاره فى آكل الربا ، إذ أذن آكليه بحرب منه ومن رسوله إذا هم لم يدَعوه ، ولهذا لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه .

وليست الآفات السماوية التى تفتك بجميع المزروعات ، وتتلف كل الثمرات ، وتذهب بالخلف والحافر إلا من حرب الله جل جلاله ، ومن سخطه على عباده الذين استخفوا بدينه ، وتركوا العمل بشرع نبيه صلى الله عليه وسلم (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) البقرة (٢٧٦) .

وهناك فريق آخر من الناس يأكل أموال الربا تحت ستار حيلة يعملها أو يسميها باسم آخر ، زاعماً أنها تخرجه عن الوقوع فى باب الربا بينما يقع فى حبائله ويلتقى بطريقه ، ويكون مآل الطريقين واحداً ؛ فمن الحيل : الرهن المتداول الآن بين الناس ، الذى يستأجر فيه الراهن العين المرهونة من المرتهن (صاحب الدين) نظير انتفاعه بها من جهة السكنى إن كانت منزلاً ، أومن جهة الزرع إن كانت أرضاً زراعيةً ، لأن هذه الإجارة فاسدة ، إذ لايصح استئجار الراهن (المدين) العين المرهونة من نفسه لأنها لاتزال ملكه ولايخرجها

الرهن عن ملكيته لها واستئجار ملك نفسه من نفسه لا يصح ، فيبقى مبلغ الإيجار زيادة بغير عوض ، وهذا عين الربا الذى نهى عنه الشارع الحكيم .

أنزل الله سبحانه وتعالى الشرائع القائمة على تكاليف مختلفة الآثار والمقاصد ، متعددة الحكم والأسباب ، فأوجب ما أوجب لمنفعة تعود منه إليهم ، وحظر ماحظر لمفسدة تترتب عليه بينهم ؛ وإنما جعلت الألقاب والأسماء تراجم عن هذه المعانى ، وطرقاً يتوصل بها السامعون إلى فهم مراد المتكلم ، وليس لها من تأثير فى وضع حكم من الأحكام أو رفعه ، فإذا حرّم الله الغيبة مثلاً كان ذلك لما يترتب عليها من الأضرار والمفاسد ، لا لأنها تذكر بذلك اللقب حتى ولو ذكرت أحداً فى غيبته بما يكره وسميتها نصحاً بقى حكم التحريم بحاله ، كما لو شرب أحد الخمرة وهو يسميها عرقاً أومرقاً أوماشاء من الأسماء .

إن ثلث الدين الإسلامى قائم على سد الذرائع والطرق إلى المفاسد بكل ما يمكن ، والمحتالون يفتحون الطرق إليها بما يصنعون من الحيل ، فهم هدمة ثلث الدين ، والحيل معاول فى أيدى الهادمين .

نهى الإسلام عن تبرج النساء ، وحظر عليهن أن يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وذلك لئلا يكون سبباً إلى سماع الرجال صوت الخلاخيل ، فيثير ذلك دواعى الشهوة . ونهى عن البيع وقت نداء الجمعة ، لئلا يتخذ ذريعةً إلى التشاغل بالتجارة عن حضورها . ونهى عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين ، إلا أن تكون للانسان عادة توافق ذلك اليوم ، وما ذاك إلا لئلا يتخذ ذريعةً أن يلحق بالفرض ماليس منه . ونهى أن يجمع الرجل بين سلف و بيع ، لأن افتراق أحدهما بالآخر ذريعة إلى أن يقرض ألفاً و يبيعه سلعةً تساوى ثمانمائة بألف أخرى ليأخذ منه ألفين ، وذلك معنى الربا .

فتأمل فعل الدين الإسلامى فى سد الذرائع ، وهل الحيل إلا منها ؟ اللّهم نعم . أمر الشارع بالشئ تحسين له ، ونهيه عن الشئ تقبيح له فى المعنى لأنه حكيم ؛ فإذا نهى عن الربا وهو يجيزه بضرب من الحيلة وجب أن يكون الربا حسناً وقبيحاً فى حالة واحدة ،

واتصاف الشيء بالنقيض وهو بحاله محال يتبرأ شرع الله من مثله فافهم ذلك ، فإن الرخص هى الشرعية ، وأما الحيل فهى شيطانية .

دخلت أمّ ولد زيد بن أرقم على عائشة رضى الله عنها فقالت لها : إنى بعت من زيد غلامًا بثمانمائة نسيئة واشتريته بستمائة نقدًا . فقالت عائشة رضى الله عنها : أبلغى زيدًا أن قد أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يتوب بئسما اشتريت .

وكل ماذكرته من أنواع المال الخبيث فإنما هو قليل من كثير من أضرابه حتى غلب الخبيث الطيب وذهبت البركة من الجميع الآن ، فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلى العظيم .

فانظر وقارن بين ما نحن عليه الآن من تناول الخبيث من الأموال ، وبين ما كان عليه السلف الصالح .

شرب أبو بكر الصديق رضى الله عنه لبنًا من كسب عبده ، ثم سأل عبده فقال : تكهنت لقوم فأعطونى ، فأدخل أصابعه فى فيه وجعل يقيء حتى ظن أن نفسه ستخرج ، ثم قال : (اللّهم إنى أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء) رضى الله عنه .

محمود فتح الله

(عن مجلة الإسلام العدد ٢٧ من السنة الثالثة عشرة)

الصادر فى ٣٠ يونيه سنة ١٩٤٤

حديث شريف

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ » .

رواه البخارى وغيره

الشـــرح

الناس عند اقتراض الأموال ، أوتحمل الحقوق المالية فريقان :

١ — فريق يقترض الأموال عند الاحتياج إليها ، عازمًا على أدائها لأربابها فى الموعد

المضروب ، أوحين يقع فى يده شئ من المال ، فهذا يؤدى الله تعالى عنه ديونه ، بأن يفتح أمامه من أبواب الرزق مالم يخطر له على بال ، مكافأةً له على نيته الصالحة ، وعزمه المحمود ، على أن تلك الإرادة لها أثرها فى اكتساب الرزق ، فلاتزال تدفع صاحبها إلى تلمس أبواب المكاسب ، والبحث عن طرق المال الحلال حتى يهتدى إليها ويؤدى ديونه كاملةً .

وكذلك من يشترى من التجار مواده الغذائية ، أو بضاعة يتجر فيها إلى أجل معلوم ، وليس فى يده مايدفعه نقدًا ، فإن كانت عنده هذه النية الحسنة ، وهذا العزم المحمود ، بارك الله له فى تجارته ، ويسّر له المال حتى يؤدى ماعليه ، ويوفى بما عاهد .

٣ — فريق يستقرض وفى نيته عدم الأداء ، ويشترى بثمن مؤجل ، أو يستعير أو يستأجر عيناً ، عازمًا فى كل ذلك على عدم الأداء ، أوعلى الجحود والإنكار ، أو الإتلاف والإهلاك ؛ فمن هذه الحالة يتلفه الله تعالى ويوقعه فى خبث نيته ، وسوء سريرته ، ويفتح له من أبواب النفقات مايذهب بجميع ماله ، أو يسلط الله تعالى عليه من المصائب والبلايا مايستأصل ملكه ، أو يرسل عليه جيشًا من الأمراض الفتاكة يعمل فى نفسه وأهله وولده مايحرمهم لذة الحياة الدنيا ونعيمها ، ولعذاب الآخرة أشد .

وكيف يفلح ويتنعم من أكل أموال الناس بالباطل ؟ وكيف ينجو من عذاب الله من نبت لحمه من حرام ؟ ومن نبت لحمه من حرام فالنار أولى به ، ولئن ضحكت له الدنيا أيامًا أوشهورًا أوأعواماً استهزاء به ، واستدراجًا له ، لهى كاشرة له عن أنيابها ، ثم تلتهمه التهاماً ، وتستلب ما كنز من أمواله وأولاده استلاباً . (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا) النمل ٥٢ (وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) . إبراهيم ٤٢

وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ يُمْلِى لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » ، ثم قرأ : (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِىَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) .

هود ١٠٢

فالنية الصالحة ، والإرادة الصادقة ، لها أثرها فى كسب المال الحلال والهداية لسبيله ،

والعز الدائم . والنية الخبيثة جائحة المال ، ومبددة الثروة ، والمنذرة بالفقر الدائم فى الدنيا والعذاب الشديد فى الآخرة .

فيأيها المسلم لاتستدن إلا عند الحاجة ، وإذا استدنت فاعزم على الأداء ، واجزم بالوفاء ، ومهد لتنفيذ العزم بتذليل الأسباب ، والبحث عن مسالك المال الحلال حتى تؤدى ماعليك ، وتخلص ذمتك مما علق بها من حقوق الغير ولو كان ذميًّا (يهوديًّا كان أونصرانيًّا) بل هو أولى بالسداد ، لأن مخاصمته يوم القيامة للمسلم أشد من مخاصمة المسلم للمسلم ، لأن الكافر من أهل النار أبداً و يحصل له التخفيف فى النار بالظلامات التى له قِبَل الناس ، فلايرجى منه العفو عن أخيه ، و إذا خاصم الكافر يوم القيامة لاوجه لأن يعطى ثواب طاعة المؤمن ، ولاوجه لأن يوضع على المؤمن و بال كفره ، فيتضمن عقوبة من ظلمه من المسلمين .

و إياك أن تستلب أموال الناس فى صورة استدانة ، ونفسك منطوية على الغصب والسرقة والانتهاب والخيانة ، فتكون غشاشًا لمن رأف بك وأعانك وقت الاحتياج ، وتقابل إحسانه بإساءتك ، ومعروفه بمنكرك . وطاعته بعصيانك (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) . النساء ٥٨

فالحديث الشريف دعامة كبرى فى إصلاح النية ، فهو يحثُّ على الإخلاص فيها ، وعلى أداء الحقوق لأربابها ، و يتوعد من يضمر الشر ، و يظهر خلاف مايبطن لاستلاب أموال الناس بالطرق الخفية ، والحيل التى لاتخفى على مَن يعلم السرَّ وأخفى ، و إنه لينذر أولئك التجار الذين يملئون مخازنهم بالبضائع يشترونها بثمن مؤجل وفى نيتهم أن يعلنوا الإفلاس بعد أن تمتلئ جيوبهم ، ينذرهم بالخسار والدمار ، بل ينذرهم بحرب من الله لاقِبَل لهم بها ، فليتقوا الله فى أموال الناس وحقوقهم ليرزقهم من حيث لم يحتسبوا . (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) الطلاق ٢ ، ٣ .

(وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) الطلاق ٤

أى يسهل عليه أمره و يوفقه للخير .

(وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا) الطلاق ٥

فإن الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له أجرًا بالمضاعفة يوم الجزاء
(يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) . الشعراء ٨٨، ٨٩.
نسألك السلامة فى الدين والدنيا ، بجاه من أرسلته رحمةً للعالمين صلى الله عليه وسلم .

محمود فتح الله

(مجلة الإسلام العدد ٧ من السنة الثالثة عشرة)
الصادر فى ١١ فبراير سنة ١٩٤٤

---

٧ — النهى عن أكل أموال اليتامى والتعفف عن أكلها

قال الله تعالى : (وَءَاتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا) النساء ٢ . (حوبًا : ظلمًا)

المعنى : تشير هذه الآية إلى أمر من الله للأوصياء بأن لا يؤتوا السفهاء (القُصَّر عديمى الأهلية) أموالهم بل يبقوها فى أيديهم ، وينفقوا منها عليهم ، ويعدوهم بها متى استقاموا ورشدوا وعدم أكلها ، لأن من يأكل مال اليتيم ، ويضيف ماله إلى أمواله كان ذلك ظلمًا كبيرًا منه .

وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) . النساء ١٠

المعنى : أنه تعالى أكد الوعيد والزجر فى أكل مال اليتامى ظلمًا رحمةً منه تعالى بهم ، لأنهم لعجزهم وضعفهم صاروا مستحقين منه تعالى مزيد العناية والكرامة . فقال : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا) أى على وجه الظلم من ولاة السوء وقضاته، لا على وجه المعروف (إنما يأكلون فى بطونهم) أى ملء بطونهم (نارًا) أى ما يجر إلى النار ويؤدى إليها ، وكأنه نار فى الحقيقة ؛ فقد روى أنه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه ومن أنفه ومن أذنيه وعينيه ، فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا ، ويؤيد ذلك ماجاء فى حديث المعراج عن مسلم :

« فَإِذَا أَنَا بِرِجَالٍ قَدْ وُكِّلَ بِهِمْ رِجَالٌ يَفْكَهُونَ لَحَاهُمْ ، وَآخَرُونَ يَجِيئُونَ بِالصُّخُورِ مِنَ النَّارِ فَيَقْذِفُونَهَا فِي أَفْوَاهِهِمْ فَتَخْرُجُ مِنْ أَدْبَارِهِمْ ، فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا » .

وقال تعالى : (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) .

الإسراء ٣٤

المعنى : لما كان اليتيم لصغره وضعفه وكمال عجزه بعظم ضرره بإتلاف ماله ، كان أحق الناس بالنهى عن إتلاف ماله ، فلهذا خصه الله تعالى بالنهى عن إتلاف ماله فقال : (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشدّه) أى لا تتصرفوا فى مال اليتيم إلا بالحق ، ولا تنفقوه إلا فى مصلحته حتى يبلغ رشده ، ومتى بلغ رشده فادفعوا إليه أمواله لقوله تعالى : (فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) . النساء ٦

ثم أمر الله تعالى الأوصياء بعدم الإسراف فى أكل أموال اليتامى والمبادرة بإنفاقها خشية أن يكبروا فيطالبوهم بها (ومن كان غنيًّا فليستعفف) عن أكلها (ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف ، فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبًا) .

قال تعالى : (وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا . وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ . وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ . فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) . النساء ٦

فليتق الله الأوصياء فى اليتامى ، وليحافظوا على أموالهم ، وليحسنوا التصرف فيها ، ولا يبددوها فى ملذاتهم الدنيوية وشئونهم الخصوصية ؛ فما أسعد الوصى الذى يكفل اليتيم ويربيه ويحفظ له ماله ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا ، وأشار بالسبابة والتى تليها » .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ

قَالَ ثَلَاثَةً مِنَ الْأَيْتَامِ كَانَ كَمَنْ قَامَ لَيْلَهُ ، وَصَامَ نَهَارَهُ وَغَدَا وَرَاحَ شَاهِرًا سَيْفَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَكُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ إِخْوَانًا ؛ كَمَا أَنَّ هَاتَيْنِ أُخْتَيْنِ (وألصق أصبعيه السبابة والوسطى) » .

خطبة فى ذم أكل أموال اليتامى بالباطل

لفضيلة الأستاذ السيد محمد البيلاوى

الحمد لله الولى الحميد ، المحصى المبدئ المعيد ، وأشهد أن لا إله إلا الله السميع البصير ، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله البشير النذير . اللَّهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الذين راقبوا الله فمنحهم رضوانه ، وحفظوا عهده ، فأورثهم الجنة يرزقون فيها بغير حساب . قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) .

عباد الله : إن نعمة الله على الولد الصغير بوجود والده يكدح له ، و يسعى فى مصالحه ، و يقوم بحاجاته من أجلّ النعم ، وأجمل صنع الله لذلك الضعيف الذى لايعرف وجوه التدبير ، ولا يجد له فى هذه الحياة سبيلاً ؛ فمن فقد من الأطفال والده وعائله فقد فقد الخير الكثير ، والعز العظيم ، ولحقه من الذل والهوان مايوجب على المؤمن الرأفة به ، والشفقة عليه ، والسعى فى جبر كسره ، وتقويم المعوج من أموره ، رغبةً فى رضاء الله وحسن ثوابه .

ياعباد الله : إن موت والد الصغير ليس جناية جناها هذا اليتيم ، ولا ذنبًا اقترفه يعاقب عليه بإهمال شأنه ، وعدم تربيته ، و إضاعة مصالحه ، وترك حبله على غاربه ، فينشأ حليف جهالة ، أليف بطالة ، جريئًا على الشرور ، مولعًا بالمفاسد دون رادع أوزاجر .

ياعباد الله : إن إهمال اليتامى وعدم تربيتهم جناية على العالم عامة ، لايقبل الله عثرة مرتكبها ، فإن إهمالهم يزيد فى عدد الأشرار والفجار ، وأهل البطالة والجهالة .

ياعباد الله : اتقوا الله فى الأيتام ، وراعوا حقوقهم ، واهتموا بمصالحهم اهتمامكم بمصالح أولادكم ، لعل الله يقيض لأولادكم من يهتم بمصالحهم ، و ينظر فى شئونهم ، فالله تعالى يقول :

(وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) .

يا عباد الله : مابال كثير من الأوصياء يعملون فى مال محجوريهم عمل الذئاب الكاسرة فى قطيع الغنم ، أتخذوا عند الله عهداً ألا يعذبهم بأكل أموال الأيتام ؟ أم جاءهم كتاب هو أهدى من القرآن أحل لهم الحرام ؟ أم ارتابوا فى هذا الدين المبين فاستباحوا مامنع واستحلوا ماحرّم ؟

كيف يكون حالهم إذا عرضوا على جبار الأرض والسموات فى يوم تخشع فيه القلوب والأبصار ؟ يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شئ ، يومئذ لاينفعهم ما كانوا يلفقون المجالس الحسبية من الحساب ، ولا يجوز غشهم على سريع الحساب ، شديد العقاب (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) .

فالسعيد من راقب فى اليتامى من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وجعل نصب عينيه قول عالم السرّ والنجوى : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) .

الحديث : « خَيْرُ بَيْتٍ فِى الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِى الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ » .

٨ — وخامة الرشوة والحث على عدم فعلها

تقرر فى عقول جهلة العوام أن الرشوة هى السبب الوحيد للخلاص من أية جريمة يرتكبونها ، فيقدم الواحد منهم على مايخالف الأصول المتبعة ، أو يخل بالأمن والسكينة ، أو يهتك حرمات الحقوق اتكالاً على مايضمره فى نفسه من أن الرشوة كافية فى نجاته من العقاب أو الحصول على غرضه بأى وجه كان .

ولقد غلب على عقول العامة أن كل صاحب وظيفة أميرية أو غير أميرية لايصح أن يقضى أمراً فى مصلحة لأحد إلا بالرشوة ، ولذلك يرون أنه من الواجب على من التمس إنجاز

أى عمل يتعلق بمصلحة أن يقدم إلى صاحب الوظيفة رشوةً تبعثه على مباشرة ذلك العمل غير ملتفت لما تطالب به واجبات المصلحة التى نيطت بذمته على أجر يتقاضاه فى رأس كل شهر ؛ ولذلك صار أمر الرشوة بينهم من قبيل العادات التى لاتشمئز منها طباعهم ، ولا يستنكرها أحد منهم ، بل كادت أن تكون من الوسائل المحمودة لنجاح المقاصد ودفع الغوائل .

ومن الناس من تكون حقوقه بينةً جلية الثبوت ، خاليةً عن عناد خصم أو تدليس محتال ، ولا يكتفى بذلك فى قضائها فيسارع إلى الرشوة يدفعها لمن يرجع إليه غنيمةً باردةً . وقد ينهى عنها الحاكم الحنيف ولا يرضى بقبولها ، وهو من سفهه يتوسل و يتضرع إليه فى قبولها منه لظنه أنه لانجاح بدونها ، وليس كذلك إلا لرسوخ تلك العادة الشنيعة المضرة بالدنيا والدين فى طباع أدنياء النفوس ساقطى الهمم تقرباً لذوى المناصب ، وتذللا خبيثاً لايجوّزه الشرع ولا قانون البلاد ، وتنفر منه نفس كل ذى إحساس إنسانى ، مع أن حفظ الأموال من الضياع يبقى ، وصرفها فى وجوهها الضرورية كالمطالب الأميرية والنفقات اللازمة أليق بفعل العقلاء ، وأصون لحرمات القانون وأبعد فى طريق السلامة من الوقوع تحت أعباء العاقبة والتهلكة ، وأحسن طريقة لردع أرباب الشره والخسة ، إذ لو كف كل ذى حق عن أداء الرشوة واعتصم بالطريق الأقوم وخضع للأحكام الحقة لحصل على حقه بدون أن يرى من خصمه أدنى محاولة ولا مراوغة إلا بالحق ، وبدون أن يقع فى عناء من بيده زمام الحكم وتثبطه طمعاً فيما يأخذه منه . على أن أىّ موظف كان وإن بلغ مابلغ من الزهد والعفة ، لا يمتنع عن تناول مايقدمه إليه الغير بالرغبة والرجاء ، خصوصاً إذا أكثر التردد مع ظهور الحق له . فإذا مدّ يده إليها تعود شيئاً فشيئاً حتى يرتشى فى الحق والباطل ، و بالرهبة بدل الرغبة .

فالعلة الأولى فى فساد أخلاق بعض الموظفين هو رغبة ذوى اليسار فى إرشائهم بدون تأمل فيعودونهم على ذلك . وحينئذ فما يلحق الراشى من اللوم أشد مما يلحق المرتشى ، وإن كان كل منهما مجرمًا ، لأن الأول ضيع ماله واسترسل مع الجبن وضعف الوهم فى مقام

يستوى فيه الحاكم والمحكوم عليه أمام القانون ، وأحال المرتشى لأخذ الرشوة وقوى طمعه ودله على الشره وكلف نفسه بما لم يكلف به .

ومن وخامة الرشوة وسوء عاقبتها مايحصل كثيراً بين بعض الخصماء حيث يبذل الواحد منهم مايفوق طاقتهم من الأموال رشوةً بالغةً مابلغت فى سبيل إعنات خصمه والحصول على غرضه و إن زادت النفقات عن الحق الواقع فيه الخصام ، ولنضرب لذلك المثل الآتى :

قبض على أشخاص من ناحية (كومبره) معهم أربع زكائب ملح برانى بها ٥٠٧ أقة و ٢٤٠ درهماً بواسطة مندوبى المديرية بإرشاد متعهد المصلحة بناحية بولاق الدكرور فدفعوا للمتعهد والمندوبين ٣٠٠ قرش وكسوراً على سبيل الرشوة فورد المبلغ للخزينة وأجرى التحقيق اللازم معهم ، وحوكم الأشخاص و بيعت الحمير التى كانت حاملة الملح وتورد ثمنها للميرى حسبما يقتضيه القانون .

فانظر إلى مادفعه هؤلاء الأشخاص المقبوض عليهم من الرشوة تر أنه يقرب من ثمن الملح الذى كان معهم ، فلو أنهم اشتروه بالطريقة المألوفة بالثمن الحلال لما وقعوا فى الخسائر الجمة وأشغال المحاكمة ، ولكان ذلك أقرب إلى وفرة الكسب وأسلم للمال والنفس ، ولكن لجهلهم ظنوا أن الرشوة تقيهم من عواقب أعمالهم ، وقد خاب ظنهم بتيقظ المتعهد والمندوبين وأمانتهم وعفتهم .

المرحوم محمد عبده

تحريم الرشوة

وجاء فى تحريمها قول الله تعالى فى كتابه العزيز : « وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) البقرة ١٨٨ وقول رسوله صلى الله عليه وسلم : « لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي » وسيأتى شرح هذا الحديث الشريف . وقال صلى الله عليه وسلم : « الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي فى النَّارِ » .

وجاء فى قانون العقوبات : أن كل موظف يقبل وعداً من آخر بشىء مّا أو أخذ هدية أو عطية لأداء عمل من أعمال وظيفته ، ولو كان حقًّا أو لامتناعه من عمل من الأعمال ،

ولو ظهر أنه غير حق يعد مرتشيًا به ، وأن المرتشي والراشي والوسيط بينهما يعاقبون جميعا بالسجن ويحكم على كل منهم بغرامة تساوى قيمة ما أعطى للمرتشي .

أما المواد الخاصة بالرشوة فهى من رقم ٨٩ إلى ما بعدها .

ضبط رشوة كبيرة

تقدم إلى محام فى مكتبه

فى مساء أمس طلب حضرة الأستاذ رياض الجمل المحامى إلى حضرة صاحب العزة الأستاذ حسن فهمى بسيونى بك رئيس نيابة مصر أن يأذن للبوليس فى ضبط وحيه عند مايعرض عليه مبلغ ١٠٠ جنيه على سبيل الرشوة فى مقابل العدول عن اتهامه فى حادثة سرقة عقد قيمته ٥٠٠ جنيه من مكتبه بتحريض وكيل المكتب على ذلك . فانصل رئيس النيابة بحضرة الصاغ أحمد عبد الرحمن رئيس مباحث المحافظة ، وكلفه الأمر فذهب ومعه الملازم الأول محمد الجزار أفندى إلى مكتب المحامى وجلسا فى غرفة داخلية على مقربة من غرفة المحامى ، وبعد ساعتين كاملتين جاء وكيل الوجيه ومعه وسيط إلى المكتب ، وقال الأول إنه على استعداد لدفع مائة جنيه فتظاهر المحامى بالقبول ، وكان رجال البوليس يصغون إلى حديثهم ، ثم أخرج المائة الجنيه وقدمها إلى المحامى ففاجأهما رجال البوليس وضبطوا المبلغ ، وسيق مقدم الرشوة والوسيط إلى إدارة المباحث الجنائية ، وأبلغ الأمر إلى النيابة فتولت التحقيق ، وأمرت بوضع المبلغ المضبوط فى حرز ، وأصدرت الأمر باعتقال وكيل الوجيه ، أما الوسيط فأفرج عنه .

أما القضية الأصلية فتتلخص فى أن الوجيه اتهم بتبديد مبلغ ٢٥٠٠ جنيه من سيدة كان قد دفع منها إليه كبائنه أو مهر للزواج بها وأحالته النيابة إلى محكمة الجنح ، فوكل الأستاذ الجمل للمرافعة عنه مقابل أتعاب قدرها ٥٠٠ جنيه ، وقضى فى القضية من تهمة التهديد ابتدائيًا واستئنافيًا وطالب المحامى بقيمة أتعابه عبثًا ، فاتفق مع وكيل مكتب

المحامى على سرقة العقد بعد مارفع المحامى دعوى على الوجيه ، فأمرت النيابة باعتقال وكيل المكتب (برسوم اتفاسيوس سعد) ولكنه اختفى ولا يزال البوليس يبحث عنه .

المقطم فى ١١ يناير سنة ١٩٤١
١٣ ذى الحجة سنة ١٣٥٩

شرح حديث فى النهى عن الرشوة

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الرَّاشِي وَالمُرْتَشِي » رواه الخمسة إلا النسائى .

الشـــــرح

تبتلى الأمم فى أيام محنتها وانتقاص أطرافها وضعف نفوس أبنائها بكثير من الأمراض التى تضعف شأنها وتقضى على نظامها ، وتقوّض دعائم الطمأنينة والأمن فيها . وإن من شر ماتصاب به أمة من الأمم فشوّ الرشوة فيها ، وامتداد يد الحكام ومن إليهم الأمر إلى تناول ماليس من حقهم . فلا ترى صاحب حق ينال حقه إلا إذا قدّم جعلاً لمن عنده وسيلة الحصول عليه ، ولا ترى ذا ظلامة يطمع فى رفع ظلامته عنه إلا برشوة من يقدر على رفعها.

وقد يبلغ الأمر بالمرتشى إلى مساومة الراشى فى مقدار الرشوة ، بل والجهر بذلك بدون حياء ولا خجل ، ولا تسل عما ينجم من الأضرار التى لاعداد لها من ذلك ؛ فالكرامة ضائعة ، والحقوق مهضومة ، والنبوغ مقبور ، والجد فى العمل مضمحل ، أو الغيرة على أداء الواجب والدأب فى سبيل مصلحة الأمة ، والأمانة فى خدمتها وتقدير العاملين ، كل ذلك يتلاشى ولا تجد له أثراً فى حياتها ويحل مكانه الخمول والضعف .

وتصاب مصالح الأمة بالشلل وعقول النابغين بالعقم ، ومواهب المفكرين بالجمود ، وعزائم المجدين بالخور والفتور ، وأى خير يرجى من قوم يكون مقياس الكفاءة منهم مايتزلف به المرءوس من قرابين ؟ وأى إنتاج يترقب من هيئة حكومية لايرقى فيها إلا من قدم بين يدى رقيه أنواع الهدايا والرشا لرؤسائه ؟ قد تلبس الرشوة ثوباً مستعاراً ولكنه يشف عن حقيقتها بأن تكون على صورة هدية أو محاباة فى بيع أو شراء أو إبراء من دين

أو نحو ذلك ، وهى فى جميع الصور رشوة بشعة المنظر ، سيئة المخبر ، كريهة الرائحة ، ملوثة الشرف والكرامة ، مضيعة للعفة والمهابة ، ولذا كان الراشى والمرتشى ملعونين من الله ومن الناس ، لأن الراشى يساعد المرتشى على تضييع الحقوق ، ويسهل له أكل أموال الناس بالباطل ، وينمى فيه الخلق السيئ ، ويسر له التحكم فيما هو حق لغيره فيستمرئ هذا المرعى الوبيل .

والمرتشى قد أخذ مال غيره ، ومنع الحق عن صاحبه حتى يأخذ الرشوة منه ، وربما كان الراشى فى حاجة ماسة إلى مايقدم إليه .

والرشوة محرمة حتى ولو كانت فى سبيل إيصال الحق إلى صاحبه ؛ لأنها مال بدون عوض ، فما بالك إذا كانت لأجل ظلم شخص ، أو منع المستحق عن حقه ؟ وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ » . (أى خيانة) .

ولقد قال العلماء : إن الهدايا[1] التى تهدى للقضاة ونحوهم هى نوع من الرشوة ،

---

(١) هذا وإن الهدية كانت حاصلة فى عهد الأنبياء ، وإليك ماجاء فى ذكر الهدية التى أرسلتها بلقيس إلى سليمان عليه السلام فى سورة النمل : فى قوله تعالى :

(وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِىَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ . ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاَ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) .

التفسير : قيل إن بلقيس (ملكة سبأ) كانت امرأة لبيبة أديبة من بيت ملك لم تملك إلا لبقايا من مضى من أهلها . فلما قرأت الكتاب الذى أرسله إليها سليمان عليه السلام إلى الهدهد قالت لقومها :

لأنّ المهدِى إذا لم يكن معتاداً الإهداء إلى القاضى قبل ولايته لايهدى إليه إلا لغرض ، وهو إما التقوّى به على الباطل أو التوصل بالهدية إلى حقه فهو راشٍ .

وأقل الأحوال أن يكون طالباً الزلفى إليه ، وتعظيمه والاستطالة على خصومه أو الأمن من مطالبتهم له فيحتشمه من كان له عليه حق .

وهذه الأغراض كلها تئول إلى ما آلت إليه الرشوة فضلاً عن أن للاحسان تأثيرا فى طبع الإنسان ، والقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها ؛ فربما مالت نفس الحاكم

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ) .

ثم قالت : إنه قد جاءنى كتاب لم يأتنى مثله من ملك من الملوك قبل ، فإن يكن الرجل نبياً مرسلا فلا طاقة لنا به ولا قوة ، وإن يكن الرجل ملكاً يكاثر فليس بأعزّ منا ولا أعد ، فهيأت هدايا مما يهدى الملوك مما يفتنون به ثم قالت : إن يكن ملكاً فسيقبل الهدية ويرغب فى المال ، وإن يكن نبياً فليس له فى الدنيا حاجة ، وليس إياها يريد إنما يريد أن ندخل معه فى دينه ونتبعه فلما أرسلت الهدية مع أحد أتباعها وجاء إلى سليمان قال له : (أتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم) . يقول : فما آتانى الله من المال والدنيا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل (بل أنتم بهديتكم تفرحون) أى ما أفرح بهديتكم التى أهديتم إلىّ ، بل أنتم الذين تفرحون بالهدية التى تهدى إليكم ، لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها ، وليست الدنيا وأموالها من حاجتى لأن الله تعالى ذكره قد مكننى منها ، وملكنى فيها مالم يملك أحدا .

ثم قال للرسول : (ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) أى لاطاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعها عما أرادوا منهم .

ثم قال : (ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) أى ولنخرجن من أرسلكم من أرضهم أذلة وهم صاغرون إن لم يأتوا مسلمين ومعترفين بوحدانية الله .

ففى هذا دليل على أن الهدية كانت تعطى على سبيل استجلاب النفوس والمحاباة أى على سبيل الرشوة ، والله تعالى أعلم .

وهذا ليس من طريق التحبيذ لها ، بل دليل على فظاعتها وأنها لاتؤثر فى قلب الرجل المؤمن اه .

أو القاضى إلى المهدى ميلاً يدفعه إلى إيثاره عند المخاصمة على خصمه ، وهو لا يشعر بذلك ويظن أنه لم يخرج عن الصواب والحق بسبب ماغرسته الهدية فى قلبه ، والرشوة لا تفعل أكثر من هذا .

والخلاصة أنّ الرشوة فخ المروءة ومصيدة الأمانة والشرف ، لايقدمها إلا مبطل خائن وضيع ، ولا يقبلها إلا دنىء النفس سافل المروءة مساوم فى دينه وكرامته .

ولا أدرى بأى شىء بعد ذلك يعيش الإنسان ؟

ولقد روى البخارى عن أبى حميد الساعدى قال : « اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلاً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ : ابْنُ الْأُتْبِيَّةِ ، وفى رواية : اللُّتْبِيَّةِ . عَلَى صَدَقَةٍ فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هٰذَا لَكُمْ، وَهٰذَا أُهْدِيَ لِي، فَقَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبْعَثُهُ فَيَأْتِي فَيَقُولُ : هٰذَا أُهْدِيَ لِي فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرَ أَيُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَأْتِي عَامِلٌ بِشَيْءٍ إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيراً لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةً تَيْعَرُ (اليعار صوت الشاة) ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ (بياضهما) أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ » ثلاثاً

(الأدب النبوى)

خطبة فى الرشوة

وإفسادها للأخلاق والأعمال

الحمد لله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، ويمتحن عباده بالمال فيغنى ويفقر ، وهو الغنىّ الرحيم .

والصلاة والسلام على صاحب النفس الأبية ، والذات الجليلة البهية ، والروح القوية ، سيدنا محمد القانع الراضى الجواد الكريم .

أحمد الله وأستغفره . وأشهد أن لا إله إلا الله ، قدر لكل نَفْس رزقها المقسوم .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وكل من سلك طريقهم القويم .

عباد الله ـ إن قوام الأعمال بين الناس بالأمانة والذمة ، وانتظام الروابط والصلات بالوفاء وحسن السمعة ، وسعادة الفرد والمجموع فى الحياء وشرف النفس ، ومجانبة القبائح والدنايا ، فالناس لايستغنون عن التعامل بالتجارة ، والتبادل ، والأخذ ، والعطاء والتعاون والتساند فى جميع أمورهم ، فإذا لم ترتكن المعاملة على الصدق والأمانة ضاعت الثقة واضطربت النفوس وخربت الذمم فتسوء الحال وتنتشر الظنون والريب والتشكك والخوف ، فتنقطع الصلات وتنحل الروابط ، فإذا لم يؤد الإنسان واجبه بذمة طاهرة وضمير نقىّ ضاعت الحقوق وفسدت الأعمال .

تملّك حبُّ المال قلوب الطامعين ، فبسطوا أيديهم للرشوة ، ومدّوها للسحت الحرام ، يستحلونه ويأكلونه .

والرشوة تفسد الأخلاق ، وتفتك بالآداب ، وتهدم العفة والنزاهة ، وتميت الضمائر والذمم . وهى عنوان على طمع المرتشى ، وخسته ودناءته ، ودليل على حمق الراشى وعدم كفاءته .

و إذا فقد إنسان حياءه وأمانته وأضاع ذمته وأيقظ مطامعه وشهوته كان شرًّا على نفسه وأهله والناس أجمعين ، ما دخلت الرشوة فى أمر إلا جعلت نوره ظلاماً وطريقه قاتمًا ،

فالرشوة فى القضاء تطمس الحق وتحجب العدل ، وتقر الظلم ؛ وتخفى الجرائم وتستر القبائح وتقلب الوقائع رأساً على عقب ، فيفلت المجرم ، ويأمن الفاتك الباغى ، ويزيد فى شره وعدوانه ؛ وتلفق التهم حول البرىء وتحاك الشبه فتضيع حقوق العباد ، ويعم الظلم والفساد ؛ وتصبح أداة العدل سلاحاً للعسف والاستبداد ؛ ولذلك حرم شرعنا الحكيم تولى القضاء بالرشوة ، وجعل قضاء من يتولى برشوة قضاءً باطلاً ، وحكمه مهملا

لا ينفذ ، وتوليته غير صحيحة ، ومن أخذ رشوة بعد توليته ؛ فهو معزول شرعًا من عمله حتى لا يتلاعب بحقوق الناس ، فإنه لا يعرف العدل إلا من خشى ربه ، وعف نفسه ، وأحلّ كسبه . الرشوة فى الوظائف تقدم الجهلاء وتؤخر الأكفاء ، وترفع الخامل ، وتخفض المجدّ العامل ، فتموت الهمم ، وتضعف العزائم ، وتمرض النفوس ، وينتشر الخمول والعجز والكسل ، اعتماداً على رشوة تعطى ، ومبلغ يدفع .

الرشوة فى الحروب تسبب الهزائم المتكررة ، والمذابح الفظيعة ، وتكون سببًا فى ضياع الجيوش ، واستعباد الأمة وإذلالها . وكم تغيرت عروش ، وسقطت تيجان بسبب رشوة تعطى لقائد أو زعيم من قوم .

لكل أمة حرّاس يحرسون الحدود ، ويحافظون على الموانئ والثغور ؛ يصدون عدوان الدخيل ، ويمنعون المواد المخدرة والسموم الفتاكة ، فإذا أخذ هؤلاء الرشوة تعرضت الأمة للأخطار والمهالك ، وتنسلّ المخدرات ، وتتسرب المكيفات السامة إلى داخل البلاد فتفتك بالنفوس والعقول والأموال ، وتمتلئ السجون بالمجرمين ، والمستشفيات بالمرضى ، وتشقى العائلات ، ويخيم عليها البؤس والفقر والشقاء .

الرشوة فى التعليم فى الامتحانات تنجح الضعيف البليد ، وتسقط القوى النابه ، وتقدم الكسالى على المجدّين .

وهكذا الرشوة دائماً داء فتاك للأخلاق ، مفسد للأعمال ، ما انتشرت فى أمة إلا نزل بها الذل ، واضطربت فيها الأمور والأحوال .

الرشوة حرام أخذها ، حرام إعطاؤها ، حرام الوساطة بها ، يفتح بيت سرّى يدار للدعارة ، وتذبح فيه الفضيلة ، ويعرف أمره ، ولكن الرشوة تعمى عنه عين حفظة الأمن ، وتجد أصحابه مطمئنين ، لأنهم دفعوا رشوة لمن كلف رقابتهم .

كم من أماكن للحشيش والأفيون والكوكايين وغيره أهلها فى أمان وسكون ، لأنهم قدموا رشوة فنامت عنهم العيون .

كم من بغىّ فاجرة تتجر بالأعراض ، تحتال على التفلّت من أيدى القضاء بعد أن تلعب

النقود والأغراض . كم من عتلّ سافل لئيم يعتدى على الناس بالضرب والسلب و بدراهم معدودة ، ورشوة محدودة ، يتملص من العقاب ، ويرجع لإيذاء العباد ؛ ما دخلت الرشوة عملًا إلا أفسدته ، ولا نظامًا إلا قلبته ، ولا قلبًا إلا أظلمته ، ولا جيبًا إلا أفقرته ، ولا بيتًا إلا خرّبته ، ولم تدخل الرشوة على صاحبها إلا بالخسارة ونزع البركة ، لأن المرتشى طامع ، والطامع لو أعطى جبلًا من ذهب لتمنّى الثانى ، لأن جشعه لايقف عند حدّ .

فالمؤمن من تعفف عن الحرام ، واكتفى بالحلال ، وقنع برزقه ، ورضى بعطاء ربه ، وعلم أن المال الحلال له فيه حساب ، والحرام له فيه عذاب ، والمأخوذ بشبهة له فيه سؤال وعتاب ، وأن المال يتخلف عن صاحبه عند الموت فلا يصحبه إلا عمله ، ولا يرافقه سوى فعله ، وأن الدنيا ليست مقصودة لذاتها ، بل هى مزرعة الآخرة وسبيلها ؛ كتب عليها الفناء ، وعلى طالبها الشقاء ، وعلى من أحبها الحرمان ، ومن حرص عليها تركته فى ذل وهوان ، ومن جرى وراءها هلك دونها ، ومن أعرض عنها ملك زمامها .

آكل الحرام مردود الدعوة ، لايستجاب له دعاء ، ولا تفتح لطلباته أبواب السماء .

فاتقوا الله وخلصوا أنفسكم من داء الرشوة الذى تغلغل فينا حتى تدهورت الأخلاق ، وتعطلت المصالح ، وساءت الحال (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) .

(لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي » .

وقال أيضاً : « الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي فِي النَّارِ » .

وقال : « لَا دِينَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ » .

وقال : « كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ » .

وقال : « مَنْ أَصَابَ مَالًا مِنْ حَرَامٍ فَوَصَلَ بِهِ رَحِمًا ، أَوْ تَصَدَّقَ بِهِ ، أَوْ أَنفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ جَمَعَ اللهُ ذٰلِكَ جَمِيعًا ثُمَّ قَذَفَهُ فِي النَّارِ » .

(عن ديوان الوعظ لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود على أحمد)

خطيب مسجد الرفاعى سابقاً

الوجوه التى يحل فيها صرف المال وإنفاقه

يحل صرف المال فى سبيل تهذيبك وتربيتك ، وفى سبيل مسرة النفس الحقيقية .

والمال الذى يصرف فى سبيل التعليم والتهذيب هو كل مايصرف فى شراء الكتب النفيسة ، أوأجرة المعلمين ، أو يلبس فى اللبس الصحى النظيف المحتشم ، والمسكن الصحى المعتبر ، والمأكل الطيب ، وغير ذلك مما تدعو إليه ضرورة وجودك فى الحياة مما يجيزه الشرع فى البيع والشراء ، وسبق الكلام عليهما .

والمال الضرورى الذى يصرف فى سبيل مسرة النفس الحقيقية : أى مسرات الإنسان العاقل الكامل هو كل مبلغ معتدل تؤتيه صدقةً خالصةً لوجه الله الكريم ، بقلب ملؤه الإخلاص والشفقة وإن هذا لمن أكبر دواعى سرور النفس الشريفة وأعظم لذاتها .

وبالجملة يصرف المال فى كل مايعرض لك عمله ، ولا يكون خارجاً عن حد الكمال والاعتدال .

واعلم أن الله سبحانه وتعالى أراد الرحمة بعباده الذين بسط لهم الرزق ليجعل لهم مع هذا البسط ثوابًا يعود عليهم بالخير يوم لقائه ، ويطهر أموالهم من كل عيب ينسب إلى المال ، فأمرهم بالإنفاق من أموالهم فى وجوه البرّ والإحسان ، فمن أطاعه أثابه الثواب الأوفى ، ومن عصاه وأنفق ماله فيما يغضبه استحق العقاب الشديد .

وجعل الله لإنفاق المال طريقين : أحدهما قهرى ، والآخر اختيارى .

أما الطريق القهرى فهو الزكاة ، وقد جعلها الله فرضاً لازمًا على كل غنى ، وركنا من أركان الدين الإسلامى ، حتى لايجد الغنى الممسك مفرًّا منها .

وأما الاختيارى فهو الصدقات والإحسان والتعاون. وسبق أن تكلمنا عليها فى كتابنا [سبل النجاح] لمن أراد الاطلاع عليها .

الوجوه التى يحرم فيها صرف المال

أما الوجوه التى يحرم فيها صرف المال فهى :

١ — الربا والزنا والخمر والميسر ، وهى مشروحة بالتفصيل فى كتابنا : [الأمراض الاجتماعية] وسنذكر خلاصتها هنا .

٢ — عدم صرف أىّ مبلغ ولو كان زهيداً فى سبيل الملاهى والملذات ، واتباع ميول الجهلاء وعربدة السفهاء ، ونحو ذلك مما يضر ولا ينفع ، بل يعين على البطالة والكسل ، وتكون نتيجته ذهاب المال وذهاب العقل ، والشرف والدين .

٣ — عدم إعطاء مال لأحد من الموظفين والحكام أو أصحاب الأعمال بقصد الرشوة للحصول على غرض من طريق الحرام ، وللتخلص من ارتكاب الجرائم والآثام .

وقد تكلمنا على الرشوة فى باب المكاسب التى يحرم أخذها .

١ — الربا وتحريمه[1]

الربا — وقانا الله وإياكم شره — من الأشياء التى عمّ ضررها ، وازداد خطرها ، وكثر التعامل بها ، حتى نسى القوم ، أوتناسوا تحريمها .

أنكر قوم من مشركى العرب تحريم الربا وقاسوه على البيع فقالوا : (إنما البيعُ مثلُ الربا) . يريدون بذلك أنه كما يجوز للانسان أن يبيع السلعة التى ثمنها عشرة دراهم نقداً بخمسة عشر درهمًا إلى أجل يجوز له أن يعطى عشرة دراهم ترد إليه بعد سنة مثلا خمسة عشر درهما ، فنفى الله هذه المماثلة بقوله : (وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبٰوا) .

والله تعالى لايحل إلا مافيه المصلحة العامة ، ولايحرم إلا ماهو محقق الضرر ، وقدجعل

---

(١) سبق الكلام عليه بالتطويل فى المذاهب الأربعة فى الجزء الأول من (المعاملات المادية)

طريق تعامل الناس فى معايشهم باستفادة كل واحد من الآخر بعمل ولم يجعل لأحد منهم حقًّا على آخر بدون عمل ، لأنه باطل لامقابل له ؛ فأحلّ البيع لأنه يلاحظ فيه دائمًا انتفاع المشترى بالسلعة انتفاعاً حقيقيًّا ومقابلة الثمن للمبيع مقابلة مرضية للبائع والمشترى باختيارهما ، فيذهب كل منهما فرحًا بما أخذ ، شاكراً صاحبه الذى أناله مقصده .

وحرّم الربا لأن مايؤخذ فيه من الزيادة لامقابل له من عين ولا عمل ، وهى لاتعطى بالرضا والاختيار بل بالكره والاضطرار. حرم الله الربا لأنه يمنع المرابى عن العمل اعتماداً على ما يكتسبه بنقوده وهو جالس على كرسيه ، ولايتحمل مشقة الاشتغال بمنابع الثروة الأصلية وهى الزراعة والتجارة والصناعة . حرّم الله الربا لأنه يستنزف الثروة إلى أفراد معدودين ، ويقطع صلة التراحم والعطف بين الناس ، فلا يقرض شخص أخاه ، ولا يعطيه ماله بدون زيادة عليه ، فيبغض المحتاجُ الغنى ويناصبه العداوة والشحناء .

ومسألة الربا مسألة كبيرة قديمة اتفقت الأديان على تحريمها واختلفت فيها الأمم .

فاليهود كانوا ولايزالون يرابون ، ولكن مع غيرهم مستحلين الحصول على مال غيرهم .

والنصارى يرابى بعضهم بعضًا كما يرابون سائر الناس .

والمسلمون حفظوا أنفسهم من هذه الرذيلة زمنًا طويلًا ، إلا أنه مع الأسف الشديد من زمن غير بعيد فشت بينهم المرابأة فشواً كاد يقضى على ثروتهم ، على أن الذين يشغلون أموالهم بالربا قليلون .

أما الذين يأخذون ويردون إلى غيرهم النقود مضاعفةً فهم فوق العد والحصر ، حتى إنك لاتجد متمولاً من المصريين سالمًا من الربا إلا نادرًا ، فتضاعفت المصائب مصائب التعامل بالربا ، واستنزاف الأموال إلى الأجانب ، ويا ليتهم أنفقوا كل الأموال التى يأخذونها بالربا فيما يفيدهم ، أو وقفوا عند الضرورة للاستدانة حتى يقال : الضرورات تبيح المحظورات ، ولكنهم من الأسف ينفقونها فى صندوق البذخ والرياء ، ويستدينون لداع ولغير داع حتى ساء الحال ، ووقعوا فى الذل والنكال .

وقد نهى الدين عن الربا وبيّن عقوباته أحسن بيان ، ونص على أن مصير الربا المحقُ

والزوال ، فقال الله تعالى فى كتابه العزيز : (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبٰوا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطٰنُ مِنَ الْمَسِّ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبٰوا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبٰوا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ ، وَمَنْ عَادَ فَأُولٰئِكَ أَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ . يَمْحَقُ اللهُ الرِّبٰوا وَيُرْبِى الصَّدَقٰتِ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) البقرة (٢٧٥ ـ ٢٧٦) .

ومعنى ذلك أن الذين يرابون بأموالهم لايقومون من قبورهم للبعث إلا كما يقوم المصروع الذى مسه الشيطان بقواه السفلية حيران مضطربًا ، ذلك بأنهم قاسوا الربا على البيع ، والحقيقة خلاف ذلك ، فإن الله أحل البيع لكونه قائمًا على قانون عادل ، وحرَّم الربا لما فيه من المضار الاجتماعية والاقتصادية ، فمن بلغه وعظ من ربه فترك المنهى عنه ، فله ما أخذه قبل النهى لايسترد منه ، ومن عاد فله عند ربه عذاب ملازم له جزاء وفاقًا .

والربا أسّ التعامل فى البلاد الأوربية ، ولكن لو علم أحدنا ماجره على الحالة الاجتماعية هنالك من السوء والشؤم ، وبث روح الفوضى فى الطبقات الفقيرة التى تنتظر بالطبقات العالية دوائر البلاء والمحق ، ورأى أن لابد لتلك الحالة من يوم هنالك تشيب له الولدان هَوْلاً وشدة لعلم سرّ قوله تعالى : (يَمْحَقُ اللهُ الرِّبٰوا وَيُرْبِى الصَّدَقٰتِ . وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) .

وقال تعالى : (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبٰوا أَضْعٰفًا مُضٰعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) آل عمران (١٣٠) .

وقد أمر الله تعالى بالتقوى وترك بقايا الربا ، وأنذر الله المرابين بحرب من الله ورسوله بقوله : (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِىَ مِنَ الرِّبٰوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ) البقرة (٢٧٨، ٢٧٩) .

وقال عليه الصلاة والسلام فيما روى عن عائشة رضى الله عنها : « إِذَا بَاعَ الرَّجُلُ الدِّرْهَمَ بِدِرْهَمَيْنِ ، وَالدِّينَارَ بِالدِّينَارَيْنِ فَقَدْ رَابَى ، فَإِذَا عَمِلَ شَيْئًا مِنَ الْحِيلَةِ فَقَدْ رَابَى وَخَادَعَ

اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاتَّخَذَ آيَاتِ اللهِ هُزُوًا » وقال عليه الصلاة والسلام : « أَرْبَعَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ لايُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ وَلا يُذِيقَهُمْ نَعِيمَهَا : مُدْمِنُ الْخَمْرِ ، وَآكِلُ الرِّبَا ، وَآكِلُ مَالِ الْيَتِيمِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَعَاقُّ الْوَالِدَيْنِ » وقال عليه الصلاة والسلام : « إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللهِ » وقال صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ لأَهْلِ الرِّبَا نُورٌ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَلا بَهَاءَ ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِي أَرْزَاقِهِمْ بَرَكَةً ، وَهُمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى أَنْتَنُ مِنَ الْجِيفَةِ وَلَيْسَ فِي النَّارِ أَشَدُّ عَذَابًا مِنْ أَهْلِ الرِّبَا » .

فانظروا رحمكم الله إلى ماورد في كلام الله عز وجل ، وأحاديث نبيه عليه الصلاة والسلام ، وانظروا إلى أغنيائكم تروا أن الغنيَّ لايرأف بالفقير ولا يعرفه ، وإذا دفعه الاحتياج إلى الاقتراض منه قال له : بكم المائة في السنة ؟ فيقول بعشرة أو بعشرين مثلاً .

ولا يدرى الغنيُّ بأن الزيادة التي زيدت على ماله هي الربا بعينه الذي حرمه الله تعالى وأيد تحريمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الشريفة . ولا يدرى الفقير أيضًا أنه مهما كانت درجة احتياجه لايجوز له أن يأخذ نقوداً بالربا لأنه يكون مرابياً أيضاً لاشتراكه مع الأول وعقابهما واحد .

ولو تأمل كل منا في البيوت التي تعامل أهلها بالربا وما آلت إليه من الخراب لكان في ذلك أعظم زاجر ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

أسباب تحريم الربا

أسرار أو أسباب تحريم الربا ما يأتي :

أولا : يترتب على الربا الخراب والدمار ، لأن في التعامل به مخالفةً صريحةً لأوامر الله تعالى وعدم اكتراث بنهيه فقد قال تعالى : (يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَوا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) أي أن الربا يذهب ببركة المال الذي يدخل فيه فيفنى جميعه ويذهب هباءً . وهذا أمر مشاهد فإننا لانكاد نرى أحداً من الناس يتعامل به حتى يصبح فقيراً معدماً لايملك شيئاً . ولهذا

ورد النهي عنه في غير ما آية من القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

والسرُّ في ذلك أن المقترضين يسهل عليهم أخذ المال في غير بدل حاضر ، ويزين لهم الشيطان إنفاقه ، ويغريهم بالاستدانة فيتضاعف الربا ، ولا يزال يزداد حتى يثقل كاهلهم ويستغرق أموالهم . فإذا حل الأجل لم يستطيعوا الوفاء وطلبوا التأجيل ولا يزالون يمطلون ويؤجلون ، والدين يزيد يوماً فيوماً حتى يستولي الدائن قسراً على كل مايملكون فيصبحوا فقراء معدمين ، وهذا هو الدمار بعينه .

ثانياً : أن التعامل بالربا يؤدي إلى العداوة والبغضاء والمشاحنات والخصومات ، إذ أنه ينزع العاطفة من القلوب ، ومن هنا يكون التنافر والتدابر بدل التوادّ والتراحم ، فتضيع المروءة ويذهب المعروف ، ويحل بالقوم الخزي والعذاب في الدنيا والآخرة .

ثالثاً : أنه يقتضي أخذ المرء مال غيره بدون عوض ، وفي هذا ضرب من الظلم ؛ لأن المال حقًّا وحرمةً ، فلا يجوز لغير مالكه الاستيلاء عليه عنوةً أو بطريق غير مشروع .

قال صلى الله عليه وسلم : « حُرْمَةُ مَالِ الإِنْسَانِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ » فلزم ألا يؤخذ بدون عِوَض ، ولا يصح اعتبار القدر الزائد بسبب الربا عوضاً عن بقاء رأس المال في يد المدين زمناً لو كان فيه بيد الدائن لاستطاع الاتجار به والاستفادة منه ، لأن هذا الاتجار ربما لايحصل ، وإن حصل فربما لانحصل الاستفادة ، أما الدرهم الزائد فمتيقن ، ولا يجوز مقابلة الموهوم بالمتيقن .

رابعاً : أنه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب الأصلية الصحيحة كأنواع الحرَف والزراعات والصناعات المار ذكرها ، لأن رب المال إذا تمكن بعقد الربا من زيادة ماله خفّ عليه الكسب وسهلت أسباب المعيشة ، فيألف الكسل ويمقت العمل ، ويوجه همه إلى أخذ الأموال بالباطل ، وتزداد شراهته إلى الاستيلاء على كل مايستطيع ابتزازه من الناس ، ولو كان فيه إرهاق لهم وضياع لحقوقهم ، لأن حب المال قد أعمى بصيرته ، وأصمّ أذنه ، وجعل قلبه حجراً صلداً لايلين ؛ فلا يرأف بفقير لفقره ، ولا يشفق على بائس

لبؤسه ، ولا يرحم مسكيناً لشقوته ؛ بل لو استطاع أن يلتهم مايجده حاضراً لديهم من لقيمات يسيرة ماتردد وما توانى .

وتزيد شراهة المرابين فى تنمية ثروتهم متى حصل قحط فى بلادهم ، لأن الناس يضطرون بسبب ما أصابهم من جوع وفقر إلى الاستدانة من هؤلاء الطغاة القساة الذين لايرقبون فى مؤمن إلاً ولا ذمة ، ولا يعرفون إلا الوسائل الممقوتة التى يستنزفون بها دم الفقير ، ويستأثرون بالبقية الباقية من ماله تنمية لثروتهم بالسحت والباطل .

ولقد أبدع شكسبير (الشاعر الفرنسى الشهير) فى وصف هؤلاء الآثمين ، فصوّرهم تصويراً صادقاً وبيّن طباعهم وأخلاقهم ، وقسوة قلوبهم وغلظة أكبادهم وسوء منقلبهم ، واتخذ (شارلوك) بطلاً فى رواية (تاجر البندقة) ونعته بأقبح ماينعت به مُرْبٍ ظالم ، وجعل عاقبة أمره خسراً .

أدب الإسلام — الجزء الثالث ص ٦١

المرابون يستنزفون الثروة الأهلية

ليس فى دنيا الحياة المصرية بلوى أعم ولا نكبة أشمل ، ولا مصيبة أشد فتكاً بالأموال أموال متوسطى الحال والفقراء من دكاكين الربا المنتشرة فى كل حى من أحياء عاصمة البلاد المصرية (القاهرة) والمتفرقة فى سائر أنحاء القطر ، حتى لاتكاد تخلو منها قرية من القرى ، ولا دسكرة من الدساكر ، وحتى الأسواق الأسبوعية المتنقلة بين بلاد الريف ينتقل معها هذا النوع من المرابين فيعملون عملهم المفنى للثروة الضئيلة المودى بما تملك يد الفقير والفقيرة من عتاد فى غير رحمة ولا رفق ، ولا عدالة ولا إحسان .

وحسبك أن تعلم — إن لم تكن تعلم — أن متوسط الحال الفقير ، بل وأن بعض الأغنياء حين تضطره الحاجة العاجلة الملحة إذا هو راح يسعى إلى دكان من هذه الدكاكين بما فى يده ، وقد يكون هذا الذى فى يده خاتما أو ساعةً أو أية حلية ذهبية أو فضية يرهنه ، فقاضاه صاحب الدكان (فوائد ربوية) قرشين صحيحين عن كل مائة قرش فى الشهر الواحد

وإذا كان العام اثنى عشر شهراً ، فعوائد الجنيه المصرى فى السنة إذن (أربعة وعشرون قرشاً) ومعنى هذا أن أكثر تلك الدكاكين المسماة (بنك تسليف النقود على رهونات) تتقاضى فوائد سنوية أربعة وعشرين فى المائة أو كسور المائة الدانى منها ، فهل سمع بهذا فى أىّ بلد من العالم حضره وبدوه متوحشه ومتمدينه ؟ وبأى قانون أو نظام أو عدالة يستحل هـــذا أولئك المرابون ؟ ومن ذا الذى أطلق أيديهم فاستباحوا أموال الناس يستنزفونها هذا الاستنزاف القاسى فلا يتركون للفقير ، ومن إلى الفقير بعض مايسد به خلته أو يقضى به يوم الضيق حاجته ؟

ولا ريب فى أن هذه الأربعة والعشرين قرشاً التى يفرضها المرابون فرضاً حتمياً لامناقضة فيه ولا شفاعة مرهقة غاية الإرهاق ، وأنها على كل حال ربع المبلغ الذى يقترضه المستدين ، ولعل هذا الربع إذا كان فى يده لم يحتج إلى الدين والاقتراض .

والمدين بطبيعة عجزه مضطر أن يتخلف عن الأوان شهراً بعد شهر ، وعاماً من بعده عام ، وهكذا حتى يغلق الرهن فى يد المرتهن . وما أيسر أن يغلق رهن للدائن وحده تقدير ثمنه ؛ وهو تقدير عليه الجشع ، وحب الإجهاز السريع على الضحية ، وليس للمستدين أن يناقشه مادامت الحاجة تدفعه والضرورة تلجئه ، وهو إن انتقل من دكان المرابى إلى دكان مرابٍ آخر لايجد فى الحالين إلا وكساً ، ولا تزداد سلعته على العرضين إلا بخساً ، وتستفحل الداهية وتعظم إذا كان الرهن ليس ذهباً ولافضةً بل كان نحاساً من آنية البيت ، فإن جشع المرابى يأبى عليه حينئذ أن يقنع بأربعة وعشرين فى المائة ، بل لابد أن ينتهز فرصة هذا الضعف البادى ، ضعف الفقر والحاجة ، فيثقل الكاهل بما ينوء به ، ويقدر وهو هادئ البال مطمئن النفس « ستين فى المائة فوائد » .

إى والله ففائدة الجنيه الواحد شهرياً (إذا كان المرهون نحاساً) خمسة قروش ، وهى إذا ضربتها فى اثنى عشر عدد شهور السنة ، كانت ستين قرشاً ، ثم إن هذه القيمة قد ترتفع إذا كان عقد الرهن مربوطاً على مادون ذلك بأن كانت السلعة فراشاً أو ثياباً أو نحو ذلك .

وبعد فإنك لو كلفت الراهن أن يكتب عن الرهن فقد كلفته شططاً ، إذ هو لايقدم

على تلك التهلكة يرتمى فى أحضانها إلا فراراً من تهلكة أشد و بلاء أوجع ، وما زالت الحاجة فى الناس ، وقد قيل قديما :

« وحاجة من عاش لاتنقضى » . فليس عدلاً ولا معقولاً أن تقول للظامئ المقتول ظما لاترد الماء الآسن ، مادام لايجد سواه ، ومادام لاسبيل إلا أن يرده أو يلقى رواه .

وإنما السبيل المعقولة ، والوسيلة المشروعة المنقذة من الشراهة هى الضرب على أيدى هذه الطائفة من المرابين ، ووضع رقابة حازمة دقيقة على أعمالهم ، وتمكين هذه الرقابة بسن تشريع يحمى الضعفاء من أنياب هؤلاء الذئاب ، والحيلولة بينهم و بين مايرتكبون من أمور دونها بعض مايعاقب عليه القانون .

إن دنيا الطبقات فى الشعوب والأمم هى الحقيقة بالعناية الجديرة بالحياطة والرعاية ، وولاة الأمور مطالبون بتوخى منافعها ، ودفع الضرر عنها .

و إن فى مصر هذا الوباء الفتاك ، و باء الربا الفاحش ، ومع الأسف فإن أحداً لايلتفت إليه ، بل الهم موجه إلى ربا العقارات لتخفيف و يلاته ، وكفكفة شروره وغلوائه ، وهو عمل لاشك مشكور .

فنحن نلفت النظر اليوم إلى هذا الداء المتغلغل فى البلاد ، راجين أن تجتث جرثومته ، وتستأصل شأفته ، فإنه ليحوّل سعادة أسر كثيرة إلى شقاء ، وهناءتها إلى بأساء .

فليتنبه له ولاة أمورنا ، وليستيقظ لذلك نواب الأمة ، فإن من أدق الأمانات فى أعناقهم حياطة حياة هذه الطبقة من الناس إن كانت سواد الشعب وكثرته الغالبة .

أما ترك الحال على ماهى عليه فذلك البوار بعينه . (ناظر)

(عن مجلة الإسلام ، السنة الخامسة ، العدد ٤٠)

خطبة فى الربا

(وأنه مُذهب للمعروف بين الناس)

لفضيلة الأستاذ السيد محمد البيلاوى

الحمد لله الذى أرسل خاتم أنبيائه إلى الناس كافة ، فصدع بأمره ، و بيَّن الحلال والحرام ، فثبتت الحجة لله على خلقه ، ووضح سبيل الهدى لسالكه ، فلم يبق عذرلمعتذر ، ولاحجة لمحتج ؛ وأشهد أن لاإله إلا الله العليم بما نخفى ومانعلن ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ناصر الحق بالحق ، والهادى إلى الصراط المستقيم .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين اهتدوا بهديه ، وتأدبوا بما أدبهم به ، أولئك هم خير البرية ، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن .

قال الله تعالى : (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ . وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ) .

عباد الله : إن المنعم العامّ على جميع الخلائق هو الله سبحانه وتعالى ، فلايليق بعبد أن يخالف أمره ، ويجترئ على مانهاه عنه ؛ وإن القوم الذين يجاهرون بمعاصى ربهم ، ولاينتهون عما نهاهم عنه خليقون بنزول غضب الله وسخطه عليهم ، مستحقون للذل والهوان فى الدنيا والآخرة .

و إن من أكبر المحرمات ، وأشد المنكرات (الربا) فقد أعلن الله فاعله بحرب منه ومن رسوله ، ومن حارب الله ورسوله فهو لاشك مغلوب ومهزوم ، وقد أوعد الله أهل الربا بمحق البركة من رزقهم ، ووعد المتصدقين بمضاعفة الأجر والثواب لهم فقال : (يَمْحَقُ اللهُ الرِّبٰوا وَيُرْبِى الصَّدَقٰتِ) ليرغبنا الله جل جلاله فى بسط اليد ، ومكارم الأخلاق ، و ينفرنا من قبض الأيدى ، وشح النفوس .

وأكبر شاهد على قبح الربا ، ومقت صاحبه ، وسوء عاقبته ، وأن كثيره قليل ،

ماوقع فيه الناس فى هذه الأيام من الضيق والشدة ، التى لو دامت لأدت إلى الفقر المدقع ، والخراب العاجل ، والذل المبين ؛ ولاسبب لهذه الشدة إلا تهالك الناس على أخذ الأموال بالأرباح ليقضوا شهوات نفوسهم ، وماتدعوهم إليه أطماعهم الأشعبية .

ولا أظن هذه الأزمة ينقشع ظلها عن الناس ، وهم على ماهم عليه من الطمع والجشع ، وعدم الخوف من المنتقم الجبار (الذى أحلّ البيع وحرّم الربا) .

وإنى لأعجب من قوم يدّعون العلم والمعرفة ينادون فى الناس بحل الربا وإباحته ، وعدم المنع منه ، والله يقول : (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبٰوا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطٰنُ مِنَ الْمَسِّ) . ويقول : (وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبٰوا) .

وما أشد جرأتهم على كتاب الله المبين ، ولكنهم (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكٰفِرُونَ) .

ياعباد الله : حرّم الله علينا الربا ليرغبنا فى فعل الخير ، ويحضنا على مواساة المحتاجين ، وليأخذ القوىّ منا بيد الضعيف ، حتى يكون الناس كآباء وأبناء تشملهم الرحمة ، وتعمهم الشفقة ، ويكسوهم الوقار . أنريد دليلًا على محق البركة من مال الربا أقوى من حال الناس الآن ؟ أقبلوا على البيع والشراء بأموال بيوت الربا ، حتى أصبح مايساوى عشرة يساوى مائة ، وما يساوى مائة يساوى ألفا ، فضلّ الناس وطاشت العقول ، ولم يحسبوا للخسران حساباً ؛ فأراد الله أن يحقق وعده ، ويمحق البركة من الأموال الربوية ، فانحطت الأسعار انحطاطاً فاحشاً ، ووقف دولاب العمل وقوفاً تامّا ، فركبت الديون الخلائق ، وأصبح الغنى فقيراً ، والفقير عدماً ، وماهذا إلا شؤم الربا ، وسوء مخالفة الله عز وجل .

فياعباد الله : كل معصية تمحوها التوبة والندم ، فتوبوا إلى الله من الربا ، وأخلصوا النية لله فى تركه ، يبارك الله لكم فى رزقكم ، وطهروا نفوسكم من النقائص ، (وذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ) .

الحديث : الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ وَزْناً بِوَزْنٍ مِثْلاً بِمِثْلٍ ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ وَزْناً بِوَزْنٍ مِثْلاً بِمِثْلٍ ، فَمَنْ زَادَ أَوِ اسْتَزَادَ فَهُوَ رِبًا» .

٢ ــ الزنا وحكمة تحريمه

الزنا : هو الفعل الفاحش الفاضح الذى يقع من شابّ أو رجل محرّم لفتاة أو امرأة كرهاً أو طوعاً لهتك عرضها وسلب عفافها وضياع شرفها ومالها .

الزنا : جريمة الجرائم وأصل المفاسد، وهو من الكبائر التى حرّمها الله وعاقب عليها بالجلد أو بالرجم. والحكمة فى تحريمه من عدة وجوه: منها حفظ الأنساب ؛ لأنها إذا ضاعت لم تكن هناك شعوب وقبائل و بطون وأفخاذ وعشائر ، فيفقد التعارف الذى أراده الله تعالى بقوله : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الحجرات ١٣

وفقدت العصبية التى بقوتها يستمد الإنسان قوةً يدرأ بها عنه المضارّ ، وفقد أيضاً التناصر بالأنساب فى كل الأمور ، لأن المرء عادةً إذا دهمه خطب وألمّ ونزل به كرب يحوجه إلى النصرة لا يجد إلا ذوى القربى الذين لهم به اتصال فى النسب والقرابة ، و بذلك يصلح الكون وتتم راحة الإنسان ، و يستتب الأمن فى البلاد بين العباد .

ولأجل المحافظة على الأنساب أباح الشارع للإنسان نفى الولد الذى جاء بعد اللعان إذا تحقق أنه من الزنا حتى لايتصل بنسبه من ليس منه فتضيع الحقوق ، وهذه مفسدة كبرى وضرر عظيم . ومنها صيانة الأعراض عن أن تهتك ، فكم عرض انتهك فأنزل العائلة من أعلى شرفات المجد إلى أسفل دركات الضعة والإذلال وسوء السمعة . ومنها انتظام الحال فى أمور تدبير المنزل ، لأن المرأة إذا رأت زوجها يميل إلى الزنا قلّ ميلها إليه و إلى قضاء حاجاته الداخلية ، وتكون هذه الأفعال مدعاة للبغض والنفور بينهما .

وكذلك الأمر إذا مالت هى للزنا فإنها تكتفى بصاحبها وتفضل مصلحته على مصلحة

الزوج ، وربما أدت الحالة إلى هجرها المنزل وخروجها هائمةً على وجهها فى سبيل حب العشاق؛ وفى هذا مفسدة كبرى وخراب للبيوت . ومنها حفظ النسل . لأن الزانية لا ترغب فى الولد الذى يمنعها عاشقها ، ويكون عائقاً لها عن رغبتها فى اجتماعها بمن تهواه وتحبه ، وإذا قلّ النسل لم يعمر الكون ، ولأن الذين يرغبون فى الزنا يكتفون به عن الزواج فلا يكون لهم نسل يخلفهم لسد الفراغ الذى ينقص حتى يعمر الكون .

ولا يخفى أن بعض الحكومات تجعل عقاباً صارمًا للتى تعطل الحمل عمداً . ومنها منع المرض وكل داء فتاك بالأمة ، لأن الزانية فى الغالب تجهل صحة من يباشرها ويخالطها ، فإذا خالطها ذو مرض انتقل إليها ذلك المرض ، فإذا باشرها غيره انتقل إليه ذلك المرض بالعدوى ، وهكذا يمدى هذا وذاك فيعم الخطب وينتشر البلاء ، ولذا ترى أكثر من يصابون بالزهرى تكون إصابتهم بالعدوى . ومنها منع الوقوع فى شرك الفقر والفاقة ؛ لأن الزانى أو الزانية إذا أحب كل منهما الآخر لا يكون لهم همّ إلا إرضاء المحبوب وبذل ما فى الإمكان من المال فى سبيل إرضائه ، وبذلك ينصرف كلاهما عن حفظ ما فى يده من المال وعن السعى فى سبيل الكسب فيحل الفقر مكان الغنى ، وهذا أمر مشاهد فى عصرنا هذا ؛ ولا يحصى عدًّا لأنا نرى كثيراً من أبناء الأغنياء ، وأصحاب الثروة الطائلة أصبح لا يملك شروى نقير . ومنها الرحمة بالولد ، لأن ولد الزنا إما أن يموت صغيراً لفقد من يعتنى به لامتهانه واحتقاره ، وإما أن يعيش فى حالة مرذولة ممقوتة لفقد التربية لعدم الأب ، وربما صار سفاكاً للدماء مخلا بالأمن العام ، وإذا تعلم وربح الأموال فإنه يعيش بين الناس ذليلاً كاسف البال إذا افتخر الناس بالأنساب والأحساب وشرف الأبوة والخؤولة والعمومة .

وما دام الإنسان كذلك فالحياة مريرة ، وبذا لا يصفو الفكر ولا تتوجه النفس لإصلاح أمرى الدنيا والدين . ولشدة ضرر الزنا وقبحه وعظم مفسدته بالمجتمع الإنسانى حرمه الشارع الحكيم واستقصى أحكامه وهى اثنا عشر حكماً ، ولم يفعل ذلك فى غيره حيث يقول الله تعالى وقوله الحق: (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) الإسراء ٣٢

(وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَعَّفْ لَهُ الْعَذَابُ) الفرقان ٦٨ ، ٦٩

(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . الزَّانِي لاَ يَنْكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنْكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ . وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً . وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ. وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ . وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ) النور ٢ ـ ٩ .

فانظر يارعاك الله إلى هذا التغليظ الذى يدل على جرم هذا الفعل القبيح والذنب العظيم.

(حكمة التشريع وفلسفته)

بعض خطب دينية وعظية لمشاهير الخطباء فى مصر

١ — خطبة فى النهى عن الزنا و بيان آثاره السيئة

الحمد لله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، الحكيم الذى أعزَّ من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى والفجور . لا إله إلا هو له الملك و إليه مرجع الخلق أجمعين ، وأشهد أن لا إله إلا الله هدى من شاء إلى الصراط المستقيم ، وأشهد أن محمداً رسول الله جاء بالحق الواضح والشرع القويم .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

أما بعد : فيأيها المسلمون قال الله تعالى : (وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً) ابن آدم عمرك فى الدنيا و إن طال فأيامه قصيرة ، لذّاتك مهما حلت لك

فى الحال فستورثك فى المآل حسرات كثيرة ، ارتكابك للزنا بلا حياء دليل منك على انطماس البصيرة ، إذ لو كنت من الراشدين ماسلكت مسالك الزناة القاصرين .

وكيف تقرب الزنا وقد أباح الله لك أربعاً من النساء ؟ كيف تتسبب لنفسك فى الذل والمرض وأنواع البلاء ؟ مالك تنفق مالك فيما يغضب ربك ويرضى الشيطان وهو لك عدوّ مبين ؟ الشيطان يزين لك الفحشاء ، ويجرك إلى الأذى والفساد ، والله يدعوك إلى الفلاح والهدى والرشاد ؟

فلماذا تركت الرشاد إلى الفساد ، وهجرت الهدى إلى الضلال المبين ؟ أيليق منك أن تطيع من يدعوك إلى مافيه ضياع المال وخيبة الآمال ، وتعصى من يأمرك بما فيه لك العز فى الحال والسعادة فى المآل ؟ أما تستحى ممن يراك وأنت لاتراه قبل أن تصبح من النادمين ؟ يا هذا كيف تمزق العفاف وتكشف عن عورة أختك المسلمة ؟ كيف تخون أخاك وتعصى مولاك بهذه الجريمة الشنيعة المحرّمة ؟

ويلك أيها الزانى ، فقد تجرأت على هتك الأعراض وكنت من الفاسقين ، ألم تعلم أن الزنا يعود عليك فى الدنيا بالفقر والوبال ، ويوقعك فى الحسرة والندامة يوم لاينفع أهل ولا مال ، ويورث العداوة والبغضاء والتفرق بين المسلمين ؟

أما تدرى أن الله مطلع عليك وأنت على هذه الحالة الشنعاء ؟ أما تخشى أن تنزل عليك وأنت تزنى صاعقة من السماء ؟ أما سمعت قوله تعالى : (وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ).

فالزنا يا قوم عين الهلاك ورأس كل فساد ، ومضيعة الأموال والأعراض والأولاد . فهلا زجرك عنه الحياء إن لم يزجرك عنه باعث الدين ؟ هلا منعك منه شرفك الذى تدّعيه إن لم يمنعك الخوف من رب العالمين ؟ أم رضيت أن تكون فى الدنيا من الفاسقين ، وفى الآخرة من الخاسرين ؟

فالخيبة كل الخيبة لمن استعبدته شهوته لامرأة زانية ، والندامة كل الندامة لمن أضاع نصيبه من الجنة واستبدل به ناراً حامية ، والذل كل الذل لمن جاء يوم القيامة والصديد يسيل من فرجه كما ورد عن سيد المرسلين .

فيأيها المؤمنون اتقوا الله وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم ، راقبوا الله ولا تضيعوا بالزنا أولادكم وأنسابكم ، وتوبوا إلى الله واستغفروه إن ربكم كريم يقبل التائبين .

الحديث : فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لايَزْنِى الزَّانِى حِينَ يَزْنِى وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ » وفى رواية : فإذا فعل ذلك خلع ربقة الإسلام من عنقه ، فإن تاب تاب الله عليه . وروى الترمذى والبيهقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ زَنَا أَوْ شَرِبَ الْخَمْرَ نَزَعَ اللهُ مِنْهُ الإِيمَانَ كَمَا يَخْلَعُ الرَّجُلُ قَمِيصَهُ مِنْ رَأْسِهِ » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يامَعْشَرَ النَّاسِ اتَّقُوا الزِّنَا فَإِنَّهُ فِيهِ سِتُّ خِصَالٍ : ثَلاثٌ فى الدُّنْيَا وَثَلاثٌ فى الآخِرَةِ ؛ أَمَّا الَّتِى فى الدُّنْيَا فَيُذْهِبُ الْبَهَاءَ ، وَيُورِثُ الْفَقْرَ ، وَيَنْقُصُ الْعُمُرَ ، وَأَمَّا الَّتِى فى الآخِرَةِ : فَسُخْطُ اللهِ ، وَسُوءُ الْحِسَابِ ، وَعَذَابُ النَّارِ » .

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ على محفوظ
من هيئة كبار العلماء (رحمه الله)

خطبة أخرى فى أضرار الزنا

الحمد لله يعلم السر وأخفى ، مامن شىء فى السموات والأرض إلا هو به أدرى ، نفذ علمه فى كل شىء ، فتبارك العليم الخبير .

أشهد أن لا إله إلا هو يحاسبكم على ماتسرون وما تعلنون ، ويجازيكم على كل ماتعملون ، فيجزى على الإحسان إحساناً وعلى السوء سوءاً ، والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد ابن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه الذين ساروا فى الناس سيره واتبعوا نهجه وسننه فكانوا أحقاء بالنعيم المقيم .

أما بعد : فقد قال تعالى : (وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً) نهانا العليم الحكيم عن الاقتراب من الزنا فكيف بالوقوع فيه ؟ لم ينهنا عنه عبثاً ؛ ولكن لأنه من أشد القبائح ضرراً ، يبدد الأموال تبديداً ، ويقتل الذرية تقتيلاً ، يجنى على الأعراض أكبر جناية ، وهو للدين أعظم خيانة .

الزنا فتّاك للأخلاق الفاضلة ، وناشر للأمراض الفاتكة ؛ فالتشويش والسيلان والقروح الأكالة والزهرى أثر من آثاره الوخيمة وشر من شروره المستطيرة .

ينعم عليك ربك بالمال الحلال فتنفقه فى مجاهرته بالعصيان .

ألم يكن أولى بمالك نفسك التى بين جنبيك ، وزوجتك وأولادك وقد قبضت عنهم يديك ؟

ألم يكن أولى بمالك أمتك التى أنت بين أحضانها التى عزها إعزازك وسعدها إسعادك؟

تخشى الناس أن يروك مرتكباً لهذا الجرم العظيم أفلا تستحى من الخبير العليم ؟ وهو أقرب إليك من حبل الوريد (أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .

أترضى يامسلم أن ينتهك عِرض أمك أو عِرض أختك أو عِرض زوجتك؟ إذا كنت لاترضى ذلك لنفسك فما بالك ترضاه لغيرك ؟

هل تقطعت الأسباب بين المسلمين وفقدوا الصلة بينهم والإخاء فأصبح المسلم لايحس بألم أخيه ولا يحفظ له من الحقوق مايجب أن يحفظه الناس له ؟ إن ذلك والله لمصاب جليل يامعشر المسلمين .

أليس بحرام أن يزنى الرجل بزوجة الغير فتحمل منه وتلد ، ويربى الأب غير بنيه ، يكدّ يومه ويسهر ليله لينفق على من ظنه له ولداً ، وهو فى الحقيقة ليس له أبا ؟

أما يعتبر ذلك ظلماً للزوج وسرقةً لأمواله وغشًّا له وتلبيساً عليه « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » وهب أنها غير متزوجة وأتت بولد فمن يراعيه ؟ من يربيه ؟ بأى نسب يفتخر ؟ بل إلى من ينتسب ؟

ألم تعلموا أن الإقبال على الزنا كثّر الفتيات غير المتزوجات ، وعرّضهن لارتكاب الفاحشات ، وجعلهن حملاً ثقيلاً على آبائهن وأمهاتهن ، بل أصبحن حملاً ثقيلاً على الأخلاق؟

أليس الإقبال على الزنا أسهرنا الليالى الطوال فتعرضت الصحة لأعظم الأمراض ؟

ألست بإقبالك على الزنا تكون قدوة سيئة لزوجتك وبناتك وأبنائك وأخواتك ؟ تضرب زوجتك أو تقتلها إن بغت وفجرت ، وكانت نفسك بذلك أولى وبعقوبتك أحق وأحرى .

يامسلم : إن الزنى شره مستطير وضرره خطير ، وإن من زنا لاحظّ للإسلام من نفسه وإنه لممقوت ومطرود من رحمة ربه .

فاتق الله فى أعراض الناس ، اتق الله فإن التقوى خير زاد ، اتق الله فإن الله عليك رقيب ، وكل امرئ بما كسب رهين .

روى البخارى ومسلم والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ » .

عن كتاب « إصلاح الوعظ الدينى » لفضيلة الأستاذ
المرحوم الشيخ محمد عبد العزيز الخولى

وما أحسن قول الشاعر التقىّ الأديب فى النهى عن الزنا :

عفوا تعف نساؤكم فى المحرم ... وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
إن الزنا دَين فإن أقرضته ... كان الوفا من أهل بيتك فاعلم
من يزن يزن به ولو بجداره ... إن كنت يا هذا لبيباً فافهم
يا هاتكاً حرم الرجال وقاطعًا ... سبل المودة عشت غير مكرم
لو كنت حرًّا من سلالة طاهر ... ما كنت هتاكا لحرمة مسلم

وفى هذه الأشعار أكبر عظة واعتبار لذوى العقول والأبصار .

خطبة أخرى فى النهى عن الزنا

(لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيرى رحمه الله)

الحمد لله الذى حرّم الفواحش وأحلّ الطيبات ، وأمر عباده بتحصيل الحلال ، ونهاهم عن ارتكاب الموبقات ، إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ، أشهد أن لا إله إلا الله الغَيُورُ عند انتهاك حُرُماتهِ شديدُ البطش الجبار ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله سيد الأبرار .

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً .

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: (وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً).

وقال تعالى : (وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً إِلا مَنْ تَابَ) .

يامعشر المسلمين : هذا قول الله فى النهى عن الزنا ، وهو كما سمعتم غاية فى الشدة ، ونهاية فى الزجر ، تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ، وتهتز له قلوب الذين يحسبون حساب يوم كان شرّه مستطيراً .

فياويل الزناة الذين تدفع بهم شهوتهم إلى اقتراف جريمة الزنا التى توجب سخط الله تعالى وبطشه (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) .

ياويل الزناة الذين يخضعون لشهوة بهيمية ، ويضحون فى سبيلها دينهم وشرفهم وكرامتهم ، فإنهم سيعذبون على ذلك عذاباً أليماً .

ياويل الزناة الذين يسطون على أعراض الناس فيهتكونها ، ويعتدون على حُرُمات الله وحدوده فيتعدونها ، فإنهم سيفتضحون فى يوم يجعل الولدان شيباً .

فيأيها الزانى كيف تسوقك شهواتك الفاسدة إلى ارتكاب الفاحشة ، وخالقك الذى نهاك عنها مطلع عليك لاتخفى عليه خافية من أمرك ؟ ألم تعلم أنك بعملك هذا جَنيت على الأدب والفضيلة ؟ ألم تعلم أنك بذلك جَنيت على العِرض والمروءة ومكارم الأخلاق ؟ ألم تعلم أنك بذلك جنيت على نسلك ، واعتديت على نظام خالقك الذى سنه الله للإنسان ، فإنه سبحانه ماركب فيه الشهوة إلا من أجل التناسل والتعارف فى هذه الحياة .

قال الله تعالى : (يٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) .

فكيف ترضى أيها الخاسر أن تضيع نسلك ، وتقضى على ولدك شر قضاء ؟ كيف ترضى أن ينتسب ابنك إلى غيرك ، أو يصبح ضائعاً لايعرف له أباً أو يخنق فى مهده ،

أو يتدين بدين غير دينك ، وأنت السبب فى كل هذه الجنايات ، فما أتعسك وما أشقاك !

أيها الزانى كيف تسطو على أعراض إخوانك الغافلين فتهتكها ؟ كيف تخون الناس تلك الخيانة العظمى بدون خجل ولا حياء ؟ أليس لك عرض تخاف عليه من اعتداء أمثالك من الفاسقين ، وكما تدين تدان ؟ أليست لك مروءة تحول بينك و بين الاعتداء على عفاف ساقطة تجلب لقومها الفضيحة والعار ؟

ألم تعلم أن الاعتداء على أعراض الناس لن يتركه الله ، بل لابد أن ينتقم لهم فى الدنيا والآخرة ؟ فماذا يكون حالك إذا وقفت بين يدى الله مسئولاً عن جريمتك الشنعاء ، وقد تعلق بك أصحاب الحقوق يريدون القصاص ؟ وماذا أنت صانع أيها المسكين إذ ذاك ؟ هل تنفعك الشهوة ؟ هل تنقذك من عذاب الله تلك اللذة ؟ هل ينجيك إخوان السوء الذين قادوك إلى مواطن الفساد ؟

كلا والله إنه لن يغنى عنك ذلك من عذاب الله شيئًا ، ولن ينفعك إلا أن تتوب من ذنبك توبةً نصوحًا ، وتحسن معاملة من آذيتهم فى أعراضهم وهم غافلون .

يامعشر المسلمين : إن فى الزنا ضرراً عظيماً أخلاقيًّا وصحيًّا فاحذروه . احذروا الزنا فإنه يوجب الفقر وعذاب الله ، كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام : « الزِّنَا يُورِثُ الْفَقْرَ » .
(رواه البيهقى)

وقال صلى الله عليه وسلم : « إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِى قَرْيَةٍ ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللهِ » .

فمن ذا الذى يسمع هذا ولا يتأثر قلبه ؟ ألا يخاف أن تستولى عليه فاجرة تسلبه كل ماله و يصبح فقيراً ؟ ألا يخاف أن يصاب بالأمراض القاتلة ، لأنه يغشى عاهرة لايدرى من كان قبله معها ؟ ألا يخشى أن تزيّن له شهوة الزنا هجر امرأته فيحملها ذلك على الفجور والخنا ؟ و بذلك تفسد أسرته كما أفسد أُسَر الناس ، ولذا قال نبينا عليه الصلاة والسلام :

« عِفُّوا تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ » . (رواه الحاكم)

ألا يخاف أن يفتضح أمره فيقتدي به أهله وعشيرته ، ويصبح أسوأ مثال لهم في الفوضى وفساد الأخلاق ؟ ألا إن ذلك لهو البلاء المبين .

يامعشر المسلمين : إن الله سبحانه وتعالى قد أباح لنا من النساء مافيه الكفاية ، وأحلّ لنا منهن بالعقد مافيه غنى ، فكيف نترك الحلال الطيب ونذهب إلى الحرام الخبيث ؟

كيف نرضى أن نكون كالأنعام الذين لاهمّ لها إلا قضاء شهواتها بدون أن تدرك شيئاً وراء ذلك ؟ فاحذروا الشبهات الفاسدة ، واقنعوا بما أباحه الله لكم منها ، واعملوا بقول الله تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَامَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « المُقِيمُ عَلَى الزِّنَا كَعَابِدِ وَثَنٍ » رواه الخرائطي وغيره .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لاَ تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَالَمْ يَفْشُ فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا ، فَإِذَا فَشَا فِيهِمْ وَلَدُالزِّنَا فَأَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعَذَابٍ » رواه البزار .

يامعشر المسلمين : اتقوا الله وغضوا أبصاركم ، واحفظوا فروجكم ، وراقبوا ربكم ، ولاتضيعوا بالزنا أولادكم وأنسابكم ، وتوبوا إلى الله واستغفروه إن ربكم كريم يقبل التائبين.

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاَيَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ » . وفي رواية : « فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ خَلَعَ رَبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ » .

وروى الترمذي والبيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ زَنَا أَوْ شَرِبَ الْخَمْرَ نَزَعَ اللهُ مِنْهُ الْإِيمَانَ كَمَا يَخْلَعُ الرَّجُلُ قَمِيصَهُ مِنْ رَأْسِهِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يَامَعْشَرَ النَّاسِ اتَّقُوا الزِّنَا فَإِنَّ فِيهِ سِتَّ خِصَالٍ : ثَلَاثٌ فِي الدُّنْيَا وَثَلَاثٌ فِي الْآخِرَةِ ، أَمَّا الَّتِي فِي الدُّنْيَا : فَيُذْهِبُ الْبَهَاءَ ، وَيُورِثُ الْفَقْرَ ، وَيَنْقُصُ الْعُمُرَ ؛ وأَمَّا الَّتِي فِي الْآخِرَةِ : فَسَخَطُ اللهِ ، وَسُوءُ الْحِسَابِ ، وَعَذَابُ النَّارِ » .

حد الزنا

الشريعة الإسلامية السمحة قد جعلت عقوبة الزنا الجلد أو الرجم على مشهد من الناس لقوله تعالى : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ . وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) .

ذلك تشريع الحكيم العليم بمصالح البشر ، الخبير بطبائع النفوس ، وميل الفطر .

ولا غرابة فى ذلك لأن كلا من الزانى والزانية عضو فى المجتمع الإنسانى مصاب بذلك المرض العضال المعدى ، فيخشى من بقائه أن ينتقل هذا الداء منه إلى غيره فيجب بتره (قطعه) إن كان محصنًا (أى كان متزوجا) فيرجم حتى يموت .

ويجب أن يجلد مائة جلدة حتى يرتدع إن كان غير محصن (أى غير متزوج) كما يفعل ذلك فى أعضاء جسم الإنسان ، فإنه إذا ابتلى عضو من أعضائه بداء معدٍ لم يفد فيه علاج يجب طبًّا وشرعًا بتره محافظة على باقى الأعضاء ، وإن أمكن علاجه عولج بما يستأصل هذا الداء .

هكذا وضع الله سبحانه وتعالى الحد الذى فصّله فى كتابه الكريم دواءً لمرض الزنا ، وعقوبةً لجريمة الزنا .

ولنذكر لكم حوادث وقعت فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام من حوادث الزنا وعوقب فيها الزانى بالرجم .

١ — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «أتى رجلٌ وهوَ (ماعز بن مالك الأسلمى) رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهوَ فى المسجد فناداه قائلاً : يارسولَ اللهِ إنى زنيتُ ، فأعرضَ عنه عليه الصلاة والسلام حتى ردّدَ عليهِ أربعَ مرّاتٍ ، فلما شدّد وألحّ دعاهُ النبىُّ صلى الله عليه وسلم فقالَ لهُ : أبِكَ جُنُونٌ ؟ قال : لا ، ليسَ بى جنونٌ . قال صلى الله عليه وسلم : فَهَلْ أَحْصَنْتَ وَتَزَوَّجْتَ ؟ قال : نعم أحصنتُ . فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : أَذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ » .

٢ — وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: أُتِىَ بيهودِىٍّ ويهوديةٍ قدْ زنيا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فانطلقَ إلى يهودىٍّ فقالَ : ماتجدُونَ فى التَّوْرَاةِ عَلَى مَنْ زَنَى ؟ قالوا : نسوِّد وجوههما ونحملهما (نركبهما) على دابتين، ونخالفُ بينَ وُجوههما (أى نجعل وجوههما إلى الخلف) ويطاف بهما فى القرية فضيحة لهما . قال : فاتوا بالتوْرَاةِ إنْ كنتمْ صادقينَ ، فأتوا بها فقرءوها حتى إذا جاءتْ آيةُ الرَّجمِ سترَها الذى يقرأُ بيدِه ، وقرأَ ماقبلها ومابعدَها . فقالَ عبدُ اللهِ ابن سلامٍ وهو مع النبى صلى الله عليه وسلم : مُرْه فليرفعْ يدَه فرفعها فإذا تحتها آيةُ الرَّجمِ ، فأمرَ بهما رسولُ اللهصلى الله عليه وسلم فرُجما. قال ابن عمر : كنتُ فيمنْ رَجمهما ، ورأيتُ الرَّجل يقى المرأةَ منَ الحجارةِ بنفسهِ (أى ينحنى عليها) ليحفظهَا منَ الحجارة لأنها خليلتهُ التى كان يخلو بها .

٣ — روى ابن الجوزى عن طريق مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهم حديثاً طويلاً أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه جلَد ولدَه (أبا شحمة) حتى مات ، وهذه خلاصته: تذاكر الناس فضل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى مجلس ابن عباس فقال : رحم الله رجلاً لم تأخذه فى الله لومة لائم ، أقام الحدود كما أمر ، لم يزدجر عن قريب لقرابته ، ولم يحف على بعيد لبعده ، وقد أقام الحد على ولده حتى قتله .

بينما أنا عنده ذات يوم ونحن بالمسجد ، وإذا بجارية أقبلت تتخطى رقاب المهاجرين والأنصار ومعها ولد تحمله فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين : خذ هذا الولد فأنت أحق به منى . قال عمر : ابن مَن ؟ قالت : هو ابن ولدك (أبى شحمة) وقصت قصته معها ، وقد أتيتك به ، فاحكم بينى و بين ولدك بحكم الله .

فجمع عمر المهاجرين والأنصار ، وأتى بيت أبى شحمة فدخل عليه وقال له : يابنى مالى طاعة ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين لك طاعتان : طاعة الوالد وطاعة الخلافة . فقال : بالله و بحقى عليك هل فعلت كذا ؟ قال : يا أبت قد كان ماحصل منى وأنا تائب . فقال عمر : التوبة رأس مال المذنبين ، وقبض عمر على يده وجره إلى المسجد . فقال : يا أبت لاتفضحنى على رءوس الناس اقتلنى هاهنا .

فقال عمر : أما سمعت قول الله تعالى : (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) .

ثم جاء به إلى المسجد وأمر غلامًا يقال له (أفلح) فقال : انزع ثيابه وافعل ما آمرك به ، اضرب به مائة جلدة ولا تقصر فى ضربه ، فبكى الغلام وضج الناس بالبكاء والنحيب ، ونفذ أمر سيده عمر ، وأخذ يضربه حتى ضعفت قواه وانقطع كلامه ومات .

فجعل عمر رأسه فى حجره وجعل يبكى ويقول : بأبى من قتل فى الحق ، بأبى من لم يرحمه أبوه وأقاربه ، ثم قال فى آخر كلامه : إذا لاقيت ربك فأخبره أن أباك يقيم الحدود ويقرأ القرآن .

(جاء بمجلة هدى الإسلام الصادرة فى ٣ مايو سنة ١٩٤٠ ما يكذب هذه الحادثة ، ويبرئ عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب (الملقب بأبى شحمة) من هذه التهمة الشنيعة . والله أعلم .

وروى النسائى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِقَامَةُ حَدٍّ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ لِأَهْلِهَا مِنْ مَطَرِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً » .

فوالله لو أقيم حد من حدود الله فى أرض لصلح حال العباد فى جميع البلاد ، لأنه علاج حاسم ، وكفيل بعدم العودة إلى الشر والفساد ، واتباع طريق الاستقامة والرشاد .

حد القذف بالزنا للمحصنات

قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

الرمى : الإلقاء والقذف بحجر أو سهم أو نحوهما مما يضر ويؤذى ، واستعير للسب وتوجيه العيوب لما فى كل من الأذى والأضرار ، فجرح اللسان كجرح اليد بل هو أعظم كما قال الشاعر :

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ماجرح اللسان

لما بيّن الله جل شأنه مافى جريمة الزنا من عظم الفحش وكبير الشناعة ، مما لم يجتمع فى جريمة أخرى من كبير الإجرام وشنيع الفعل .

وأمر هذا شأنه يلحق العِرض من الرمى به ماينكس الرأس ويهدم الشرف ، ولما كان من مقاصد الشرع الحكيم حفظ الأعراض وصون الشرف لصاحبه والاحتفاظ بالكرامة وعزة النفس كان من مقتضى حكمته جل شأنه هذا التشريع الزاجر للنفوس الجامحة التى قد يدفعها الغضب إلى أن تصيب الناس فى كرامتهم وتخدش شرفهم ، وهو أعز عزيز لديهم مستهينة بما اقترفت ففرض لها فيما فرض (حد القذف) الزاجر الرادع الكفيل بصيانة الأعراض وحفظ الكرامة والشرف .

وإنما خصّ حد القذف (بالقذف بالزنا) لأن فيه من العار بدناءة النفس وهتك الستر وافتضاح السوءات ، وانتهاك الحرمات والدلالة على فقد الغَيرة الذى هو من سمات أخس الحيوانات ما فارق به كل الموبقات . فإن كان المرمى به امرأة كان فيه من جلب العار على قومها مايؤدى إلى سفك الدماء ، وقلما تغسل ذلك العار .

وإن كان المرمى به رجلاً كان فيه الدلالة على أنه ليس للعرض فى نظره كرامة ، ولا للغَيرة على نفسه سلطان ، وكان أمارة على أنه لو أصيب بما أصاب به الناس لاعتبره أمراً عادياً لاتثور له نفسه ولا يغلى له دمه . ولذلك قيل : « لايزنى الغيور » وكفى بهذا عاراً وعيباً يلحق الأبناء والأحفاد ، وتبقى سيرته طوال الأحقاب .

وقد أجمع الفقهاء على أن المراد بالرمى هنا الرمى بالزنا لعدة قرائن : منها مجىء هذه الآية بعد آية الزنا ، ومنها التعبير بالمحصنات وهن العفائف ، ومنها قوله : (بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ)

ومعلوم أن كون نصاب الشهادة أربعة إنما هو فى الزنا خاصة ، وقد عرفت حكمة تخصيص القذف بالزنا بذلك من بين الرمى بالجرائم الأخرى .

والمحصنات معناه العفيفات اللاتى أحصنّ فروجهنّ ، وقد يأتى الإحصان بمعنى التزوج كما فى قوله تعالى : (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ) فإنه بمعنى المتزوجات وبمعنى الوطء فى زواج

كالإحصان المعتبر فى الرجم فإن معناه ذلك . وليس هذا الإحصان شرطاً فى حد القذف بل من قذف عفيفة سواء أكانت متزوجة أم لا استوجب الحد .

وإنما اشترط الفقهاء فى الإحصان هنا مع العفة الحرية والإسلام والبلوغ والعقل .

هذا ، وقد رتب الشارع على قذف المحصن أوالمحصنة ثلاثة أشياء : الجلد ثمانين جلدة، ورد الشهادة أبداً ، والحكم عليه بالفسق .

فأما الجلد فللزجر ولمقابلة الإيذاء بالإيذاء ، وأما رد الشهادة فهى عقوبة لسانية تشبه قطع يد السارق فكأنه روعى أن جزاء هذا اللسان الذى اقترف ذلك الإثم العظيم أن يهدر ويقطع أثره ، فلا يعتد بما يقوله ويشهد به فيما بين الناس فهو والعدم سواء .

وأما تفسيقه فهو مبالغة فى الزجر ، وإشارة إلى أن مالقى من جزاء فى الدنيا من الحد ورد الشهادة لم يعفه من اعتباره فاسقاً خارجاً عن أمر ربه وطاعة بارئه . وناهيك بهذه الجزاءات دلالةً على عظم الخطب وشدة الخطر ، وإذا كان هذا فى الرمى بالزنا والاتهام به فكيف يكون حال مقترف هذا الجرم الفاحش الشنيع .

فهذا الحكم مع دلالته على ماسبق له يدل دلالةً بالغةً على تفظيع جرم تلك الفاحشة وتشنيع أمرها ، وعناية الشارع بالتنزيه عنها والتنفير منها .

وقد أردف جل شأنه ذلك الجزاء باستثناء التائبين فقال : (إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

عن كتاب « شفاء الصدور بتفسير سورة النور »
لفضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم الجبالى من هيئة كبار العلماء

حد قذف الزوجات (اللعان)

نهى الله تعالى عن قذف الزوجات وشرع له تشريعاً (تشريع اللعان) فقال تعالى : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ

شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ . وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ . وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ) .

التفسير : بعد أن بيَّن الله تعالى مافى جريمة الزنا من الفحش والمقت وسوء السبيل ، وما يستحقه مرتكبها من العذاب والتنكيل ، أردفه بعقوبة من يقع فى سب المحصنات والمحصنين بتلك السيئة الشنيعة كما مرَّ ذكره .

ولما كان الزوج عرضةً لأن يضطر إلى رمى زوجته بهذا الأمر الشنيع والفحش الفظيع صوناً لشرفه واحتفاظاً بنسب أولاده وغَيرةً على كرامته، وقد يكون صادقاً فى رميه إذ يكون قد استيقن ، ولكنه عجز عن إثبات ما رأى بحضور الشهود المطلوبين لإثبات مارمى به ، فإن بين الزوجين من المفاجآت الانفرادية ما لا يكاد يتيسر معه إحضار الشهود فى حال تلك المفاجآت المنكودة ، لطف الله بعباده فشرع لهم المخلص من هذه الداهية الدهياء بهذا الحكم (حكم اللعان) رحمةً منه بالمصاب وإنقاذاً له من هذه المآزق المحرجة ، ولما نزلت هذه الآية على رسول الله ، وسببها مذكور فى كتاب « شفاء الصدور بتفسير سورة النور » قال عليه الصلاة والسلام : « لاَعِنُوا بَيْنَهُمَا » أى بين الزوج هلال وزوجته ، وهو أول لعان فى الإسلام .

ومعنى الآية : أن من رمى زوجته بالزنا فقد قذفها ، فهو بين أن يثبت مارماها به ، فينجو من حد القذف، وألا يثبت فعليه حد القذف ، كالأجنبية ، إذ يلحقها و يلحق قومها من جراء هذا القذف ما لايقلّ عاره ودنسه عن رمى الأجنبى .

ولكن لما كان الزوج من شأنه أن يتصل بزوجته على انفراد و يفاجئها ولا أحد معه ، فيشق عليه الإثبات بالشهادة ، فإن تكلم تكلم بأمر خطير ، وإن سكت سكت على أمر جلل لايطيقه ولايتحمله ، فإنه يلحقه بذلك من تلويث فراشه ، وامتهان كرامته ،

والاعتداء على حقه ، وإلحاق الأجنبي عنه بنسبه يشاركه في ماله بوجوب نفقته عليه ، ويرثه بلا حق ، أو يزاحم ورثته كذلك . كان من لطف الله بعباده أن شرع لهم حكم اللِّعان للتخلص من هذا الحرج ، وأباح للزوج أن يستقل بالإثبات بأن يشهد تلك الشهادات المكررة ، ويردفها باسم الجلالة تهويلاً في الأمر ، ثم يردف الشهادات الأربع باستيجاب اللَّعنة على نفسه ، واستحقاقه البعد عن رحمة ربه إن كان من الكاذبين .

ولما كان مثل هذا العمل يستحيل أن يكون ناشئًا إلا عن ريبة أحسها الزوج ، ولم يصل إلى وقوع تلك الفاحشة ، وتكون نيران الغيرة والحمية قد نفخت في منخره حتى حال التخمين يقيناً ، وقد قالوا : « إن الحريص يسوء الظن » فلو جعلت كلمته ضربةَ لازب على زوجه ، وحرمت من باب تنقذ نفسها منه أن لو كانت في الواقع بريئةً لكان في ذلك إجحاف بحقها شرع لها المخلص الذي يدرأ عنها العذاب ، وهو أن تقابل شهاداته بشهادات أربع مثلها ، وتأتي في الخامسة بما هو أشد من خامسته ، وهو استحقاقها غضب الله إن كان من الصادقين ، والغضب أشد من اللَّعنة ، فإن اللَّعنة هي الطرد والبعد من الرحمة ، وأما الغضب فهو السخط وإنزال المقت والعذاب .

هذا على فرض كذبها ، وعلى فرض كذبه هو يكون الواقع منه سب البريء وهو أهون من ارتكاب فاحشة الزنا ، ولذلك اكتفى منه باستيجاب اللَّعنة على نفسه .

ومتى لاعن الزوج زوجته حرمت عليه وقضى بالتفريق بينهما بأمر القاضي .

وقيل : مجرد اللعان موجب للفرقة وإن لم يصل القاضي فرق بينهما ؛ ثم قيل : إنها محرمة عليه حرمة مؤبدة ، وقيل : كالطلقة البائنة يجوز له أن ينكحها إذا عاد وكذب نفسه وحده .

ومن فضل الله ورحمته بعباده أن أردف حكم اللعان بقوله : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ ومعنى ذلك : ولولا ما خصكم من فضل الله ومزيد إحسانه وأن ذلك مصدره الرحمة الذاتية التي كتبها ربكم على نفسه وأنه يعرضكم للتوبة ويفتح لكم سبلها ويهيئ لكم فرصها ويقبلها منكم ، وأنه يراعي المصالح والحكم في أحكامه ، لولا ذلك كله لكان ما كان مما لا تطيقونه ولا تحتملونه ، ولا تحيط به العبارة ، فقد تفضل عليكم

بفتح المخلص من تلك الورطات الكبرى ، ورطة أن يفاجئ الرجل زوجته بأشد مايكره في أعز مايحتفظ به، فإن قتل مهاجمه قتل به ، وإن سكت سكت على مالا يطيق عليه صبراً، وإن تكلم استوجب حد القذف وردت شهادته بين المسلمين فتفضل الله عليكم بتشريع هذا الحكم المنقذ له رحمةً منه وفضلاً .

ولم يهمل شأن المرأة وقد تكون مظلومة ففتح لها باب المخلص تدفع عن عرضها وشرف قومها فشرع لها اللِّعان ورحمهما معاً بالستر على الكاذب منهما في الدنيا ، وتعريضه للتوبة وربما صدق فيها فأحرز مع ستر الدنيا المغفرة في الآخرة ، فأيّ حكمة ورحمة أوسع من هذا ؟ فهو الحكيم العليم التواب الرحيم .

نسأله تعالى أن يمنّ علينا بالدخول في واسع رحمته ، وأن يجملها بإدراك سر حكمته في شريعته ، فهو الوهاب ، لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

عن كتاب « شفاء الصدور بتفسير سورة النور » باختصار

٣ — كلمة في الخمر ومضارها

الخمر هي أم الخبائث ، وأسّ المصائب والنقائص ؛ ضررها يتناول الروح والجسد والمال والولد والعرض والشرف .

فكم أهلكت نفوساً ، وخرّبت دوراً وأذهبت عقاراً ، وأقامت فتناً وأثارت محناً ، وولدت إحناً ، ونقلت العقل من حالة التفكير والتدبير والحكمة والرشاد إلى الجنون والبغي والفساد .

وكم أحدثت من العداوة والبغضاء بين الأخ وأخيه والابن وأبيه ، وكم فرقت بين الأصدقاء وشتتت شمل الأخلاء .

يشربها الصعلوك فيخيل له أنه السلطان على العرش ، ويشربها الجبان فيرى نفسه فارس بني عبس ، ويشربها الغبيّ فيقول : أنا إياس في الذكاء وأرسطو في الحكمة ، ويشربها الجاهل فينادي أنا عالم الأمة وكاشف الغمة .

الخمر لها من سيئ الآثار، ووخيم العواقب ماتقشعر منه الأبدان وتتفتت له الأكباد، وقد أجمع الأطباء على أن الخمر تؤثر فى الكلى فتتلفها، وفى الكبد فتمزقه، وفى المعدة فتضعفها، لايمرّ على مدمنى الخمر زمن طويل حتى يتسرب إليهم مرض السل فيذهب بأرواحهم.

وقد قيل: إن نصف الوفيات فى أوروبا من هذا الداء الوبيل.

وقال أحد الأطباء بألمانيا: اقفلوا لى نصف الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والسجون.

ومن مضار الخمر فى التعامل وقوع النزاع والخصام بين السكارى بعضهم مع بعض، وبينهم وبين من يعاشرهم ويعاملهم، وهذه من أكبر العلل لتحريمه؛ ومنها إفشاء السر وناهيك بما يتولد عنه من المضرات الكثيرة، لاسيما إذا كان السّر يتعلق بالحكومة أو بالأمور الهامة، ولا شك أن ذلك يكون سبباً لفقد الثقة بالشخص وعدم الاهتمام بأمره، ومنها الاستصغار وذهاب الهيبة والوقار فى أعين الناس، فإن السكران يكون فى هيئته وكلامه وحركاته بحيث يضحك منه ويستهزئ به ويستخفّ به كل من يراه حتى الصبيان لأنه يكون أقل عقلاً منهم؛ ومنها أنها تجرّئ على ارتكاب المعاصى لأنها تخرج الإنسان عن العقل فيفعل فعل البهيم، ولذا سميت أم الخبائث؛ ومنها أنها تذهب بالثروة وتهلك الأموال وتوصل إلى الفقر المدقع والخراب العاجل من أقرب الطرق.

حكمة تحريم الخمر

اعلم أن شارب الخمر إذا تأصلت عادة تعاطيها فى نفسه كان من الصعب جدًّا بل من أصعب الصعاب إقلاعه عنها دفعةً واحدةً، ومن أجل ذلك لما رأى الشارع الحكيم أن المصلحة الدنيوية والأخروية يقضيان ويحتمان بأن يقلع الإنسان عن تعاطى هذا السم القتال جرى معه على قاعدة فى النهى فقال تعالى لنبيه: (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) البقرة ٢١٩ ثم قال: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) المائدة ٩٠،٩١.

فبيَّن لنا سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة أن الخمر رجس : أى قذر تعافه العقول الراقية والنفوس الطاهرة وأنها من عمل الشيطان : أى من تحسينه وتزيينه للإنسان بتعاطيها، ثم أمرنا باجتنابها : أى اتركوا الخمر (لعلكم تفلحون) وتنجون فى الحياة الدنيا والآخرة .

هذه الآية الشريفة صريحة فى تحريم الخمر قطعاً ، وقد نزلت الآية الأولى حينما سأل جماعةٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الميسر واستفتوه فيه ، وفى الخمر الذى وجدوا فيه المضارّ الكثيرة التى أضرت بمصلحتهم المادية والأدبية من سلب أموال وخروج عن حد الأدب فى السكر .

أما المنافع المذكورة فى الآية فهى ما كانوا يجدونه فيها من السرور ، وتسلية النفس فصار قوم يشربونها لهذه المنافع ، وآخرون تركوها لضررها .

وحينما شربها ابن عوف وأناس معه ، ثم قاموا إلى الصلاة فقرأ من أمَّهم : (قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ أَعْبُدُ مَاتَعْبُدُونَ) نزل قوله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لَاتَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَاتَقُولُونَ) فهجرها الكثير منهم حرصاً على تقارب أوقات الصلاة .

وحينما شرب سعد بن أبى وقاص مع جماعة من الأنصار وتناشدوا الأشعار متفاخرين فأنشدهم شعراً فيه ذم الأنصار فضربه أحدهم فشكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « اللَّهم بيّن لنا فى الخمر بياناً شافياً » فنزل قوله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ) الآية الثانية . فقال عمر رضى الله عنه : انتهينا يا رب ، وقال علىّ كرم الله وجهه : لو وقعت قطرة خمر فى بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ، ولو وقعت فى بحر ثم جفّ ونبت فيه الكلأ لم أرعه .

والخلاصة من هذا كله أن الخمر (أم الخبائث) كما قال صلى الله عليه وسلم : « اَلْخَمْرُ أُمُّ الْخَبَائِثِ » لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة التي هي عماد الدين ، وتحجب القلب عن نور الحكمة ، ولأنها من عمل الشيطان توقع الإنسان في المخاطر وتفسد عليه ماله وجسمه ، ولأنها سبب في وقوع العداوة والبغضاء بين الناس ، لأن شارب الخمر يقتل و يسرق و يزني و يبطش بمن هو أكبر منه مقاماً ، والصغير الذي أقل منه قدراً و يفعل كل محظور ومنكر من القول والفعل .

وقد وردت عدة أحاديث في تحريمها قال صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » وقال أيضا : « وَلا يَشْرَبُ اَلْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ » وقال أيضا : « مُدْمِنُ اَلْخَمْرِ إِنْ مَاتَ لَقِيَ اللهَ كَعَابِدِ وَثَنٍ » وقال عليه الصلاة والسلام : « لَعَنَ اللهُ اَلْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَبَائِعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ » .

ألم تكف هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في بيان ضرورة تحريمها ؟

ولقد حرم الخمرَ في الجاهلية أناسٌ على أنفسهم منهم العباس بن مرداس فقيل له : ألا تشرب الخمر ؟ فقال : ما أنا بآخذ جهلي بيدي فأدخله جوفي ، ولا أرضى أن أصبح سيد القوم وأمسي سفيههم ، والكتب مشحونة بأسماء الذين حرموها على أنفسهم قبل التحريم الشرعي الإسلامي .

وقد ذكرنا هذا الموضوع بالتفصيل في كتابنا (الأمراض الاجتماعية) لمن شاء الاطلاع عليه .

وقال الشاعر :

لاتشرب الخمر إن كنت فتى هل يسمى في جنون مَن عقل ؟

خطبة فى التحذير من شرب الخمر

الحمد لله الذى كرّم الإنسان وفضله على جميع الحيوان ، وأكرمه بالعقل والفصاحة والبيان ، و بيّن له السبيل وحكم عليه ، فإما إلى الجنة و إما إلى النار .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، اللّهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه السادة الأبرار .

ياعباد الله قال الله تعالى : (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) .

يا عباد الله : الخمر أم الخبائث ، فهى التى تسهل ارتكاب المحرمات وتذهب بالصحة ، وتورث المرض ، وتجلب السل واحتقان الكبد ، وتجعل الجسم هدفاً للأخطار .

فيا شارب الخمر عرّضت مالك للضياع ، وعقلك للخراب ، ونفسك للذل والاحتقار ، أكرمك الله بالعقل وهو الكنز الثمين ، فأذهبته بشرب الخمر ، وتمايلت فى الطرقات كالمجانين .

أى عاقل يقبل لنفسه أن يكون مجنوناً بفعل يده ؟

أى عاقل لايعلم أن الخمرة تورث الفقر والجنون والخبال ؟

أما ترى الشاربين وقد وقعوا على وجوههم فى الشوارع ، ملوثين تضحك منهم الصبيان ؟ أما تراهم وقد هاجت أمعاؤهم فلبستهم القذارة واشمأزت منهم النفوس ؟

فأى عاقل يرضى لنفسه هذه المزريات المنكرات ؟ أى عاقل يرضى لنفسه أن يصاب بالأمراض المزمنة بشرب هذه السموم القاتلات ؟

يا شارب الخمر أجمع علماء الطب على أن الخمرة تضر بالأبدان كما تضر بالعقول ، فهى تلهب الأمعاء والكبد ، وتحدث الشلل والصرع ، وتضعف البدن ، وتؤثر على عقول الذرية ، فلماذا يشربها الشاربون ؟

يا شارب الخمر ، أما اتعظت بما أعده لك الله — يجاء يوم القيامة بشارب الخمر مسوداً الخد خارجاً لسانه على صدره يتقذره كل من رآه فيصار به إلى جهنم و بئس القرار .

شارب الخمر حين يضع الكأس على فيه يقول الإيمان للكأس : انتظر حتى أخرج من القلب وحلّ أنت فيه ، فإنه لا يجتمع الخمر والإيمان فى قلب مؤمن بلا شك ولا إنكار ، (ولا يشرب الخمر شاربها حين يشرب وهو مؤمن) .

كيف ذلك ؟ وهى الداء المزمن ، وما يعلو وجه شارب الخمر من الكآبة ، واصفرار الوجه والعلل .

ياشارب الخمر لاالدين أبقيتَ ، ولانفسك حفظت ، فارحم نفسك وعقلك ، ولا تظلم جسمك بتعرضه للأمراض .

و يأيها المسلمون لاتجالسوا من يشرب الخمر ، ولاتقرئوه السلام حتى يتوب و يرجع إلى الله ، غافر الذنب شديد العقاب ، ولاتعاملوه حتى يرجع عن غيّه .

لعن الله الخمرة وشاربها وحاملها والمحمولة إليه والبائع لها ، وكل من اشترك فى أمرها ؛ جزاء هؤلاء اللعنة والعذاب الأبدى فى الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشق وهم لايعلمون .

فالعاقل من اتعظ بغيره ، وتاب إلى الله ، ورجع وأناب ،(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ـ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ، وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ).

وأما من غلبه الذنب فشربها منكم فيما سلف ، فليتب إلى الله الآن و يستغفر ربه ، فالتائب من الذنب كمن لاذنب له ، والتوبة تمحو كل المعاصى والذنوب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ خَرَجَ نُورُ الْإِيمَانِ مِنْ جَوْفِهِ » . رواه مسلم والنسائى

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ زَنَى أَوْ شَرِبَ الْخَمْرَ نَزَعَ اللهُ مِنْهُ الْإِيمَانَ كَمَا يَخْلَعُ الْقَمِيصَ مِنْ رَأْسِهِ » .

من خطبة أخرى فى النهى عن شرب الخمر

لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن الجزيرى (رحمه الله)

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ » .

يامعشر المسلمين : قد حرَّم الله علينا الخمر ، ونهانا عن شربها ، وما كان الله لتضره معصية ولا تنفعه طاعة ، وإنما هو ينهانا عما فيه ضررنا وشقاؤنا رحمةً بنا ومحبةً لنا .

فإنه سبحانه يحب عباده المؤمنين فلا يرضى لهم أن يسيئوا إلى أنفسهم باستعمال مايفسد عقولهم ، ويضر أبدانهم ، ويفتح لهم باب الشهوات القاتلة ، واللذات القاضية على الأنفس والأموال والأعراض ؛ فحرام علينا أن نعصى خالقنا ، وهو يريد أن يؤدبنا ويهذبنا أحسن تهذيب ، ويبعدنا عن الشرور والمفاسد لنكون أهلاً لمرضاته ، فنحظى بالسعادة فى الدنيا والآخرة ، ونفوز فوزاً عظيماً .

يامعشر المسلمين : إن الخمر مهلكة للأبدان ، مفسدة للأخلاق ، مضيعة للأعراض ، قاتلة لعاطفة الدين ، ضررها ظاهر محسوس ، وشرّها واضح معروف ؛ فهى مفتاح كل شر ، كما قال عليه الصلاة والسلام ؛ كيف لا وهى تذهب العقل الذى يمتاز به الإنسان عن الحيوان ، ومن ذهب عقله لا يبالى بجريمة ، ولا يخاف من منكر ، فيعمل ما سولت له شهوته ، وحسنت له لذته ، بدون أن يحسب لمجرى الدنيا حساباً ، ولا يدرك أن فى الآخرة عقاباً .

وليس وراء ذلك إلا فساد النفوس ، والقضاء على الأخلاق .

يامعشر المسلمين : قد أجمع علماء الطب على أن الخمر تضر بالأبدان كما تضر بالعقول ، فهى تفضى إلى كثير من الأمراض القاتلة ، فتلتهب الأمعاء والكبد ، وتحدث الشلل

والصرع ، وتضعف البدن عن مقاومة الأمراض الخارجية ، كما أنها تؤثر على عقول الذرية ، وغير ذلك من المضار .

وإذا كانت الخمرة ضارة بالعقول ، ضارة بالأبدان ، ضارة بالأخلاق ، فلماذا يشربها الشاربون ، وكيف يرضى بها المسلمون ؟

لاوالله ، إن المسلم حقًّا لايرضى أن يدنى الخمرة إلى فيه وهو يسمع قول النبى صلى الله عليه وسلم : « مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ خَرَجَ نُورُ الإِيمَانِ مِنْ جَوْفِهِ » . رواه مسلم والنسائى

وقال عليه الصلاة والسلام : « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، وَإِنَّ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الخَمْرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الخَبَالِ » . قالوا يارسولَ اللهِ وماطينةُ الخَبال ؟ قال : « عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ » .

إن المسلم حقًّا يأبى أن يعصى الله ورسوله ، لأنه يعلم أنه مرتحل عن دار الدنيا ، وأنه صائر إلى دار الخلود ، وهناك يلقى جزاءه إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر .

هناك يندم على مافرّط فى جنب الله حين لاينفع الندم ، أو ينعم بما قدمت يداه من صالح العمل . هناك لاتنفعه لذة مضت وانقضت ، ولم يبق سوى وزرها فى عنقه . هناك لاينفعه قرين سوء ولاصاحب ولا نديم . هناك تكون كل نفس بما كسبت رهينة .

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)

يامعشر المسلمين : اتقوا الله فى أنفسكم فانجوا بها من عذاب أليم يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها .

فلا تطيعوا قرناء السوء وإخوان الفساد على تعاطى المسكرات ، فإنهم أعداء لكم فاحذروهم ، إنهم يريدون هلاكم فلا تجيبوهم ؛ وعليكم بمعاشرة الصالحين من إخوانكم الذين يرشدونكم إلى مواطن الخير ، والعمل النافع لدينكم ودنياكم لعلكم ترشدون .

وأنت ياشارب الخمر ما أشقاك ! إن الله لم يجعل لك شهوة طبيعية تدفعك إلى شرابها . فلو أنك ابتعدت عنها ، وعصيت إخوان الفساد لما وجدت داعية لها طول حياتك .

فمالك تطيع الأشرار وفاسدى الأخلاق ، فتحمل نفسك عبئًا ثقيلاً ، ووزرًا كبيرًا ،

وتجنى على عقلك و بدنك وما لك وعرضك ، وتغضب ربك باستعمال شيء ما كان أغناك عن استعماله لو رُبيت تربيةً صالحةً ، وآخيت القوم الصالحين .

يامعشر المسلمين : لاتهملوا تربية أبنائكم ، وابعدوا عنهم إخوان السوء ، وراقبوهم فى نشأتهم ليحفظوا أنفسهم من ذلك البلاء ، واتقوا الله الذى إليه تحشرون .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ زَنَا أَوْشَرِبَ الْخَمْرَ نَزَعَ اللهُ مِنْهُ الْإِيمَانَ كَمَا يَخْلَعُ الْإِنْسَانُ الْقَمِيصَ مِنْ رَأْسِهِ » . رواه مسلم

إقامة الحد الشرعى على شارب الخمر

أخبر سالم بن عبد الله بن عمر قال : شرب (عبد الرحمن بن عمر) وشرب معه (أبومسروعة عقبة بن الحارث) ونحن بمصر فى خلافة عمر بن الخطاب مسكراً ، فلما أفاقا من السكر انطلقا إلى (عمرو بن العاص) وهو أمير مصر فقالا له : طهرنا فإنا سكرنا من شراب شربناه . قال عبد الله بن عمر : ولم أشعر أنهما أتيا عمرو بن العاص . قال : فذكر لى أخى أنه قد سكر . فقلت له : ادخل الدار أطهرك . فأخبرنى أنه حدث الأمير بذلك

قال عبد الله بن عمر : فقلت : والله لاتحلق اليوم على رءوس الناس ادخل أحلقك ، (وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد) فدخل معى الدار فحلقت رأسه بيدى ، ثم جلدهما عمرو ابن العاص . فلما سمع عمر بن الخطاب بذلك كتب إلى عمرو : ابعث إلىّ بعبد الرحمن ابن عمر على قتب (القتب : الرحل ، وهو مايحمل على ظهر البعير كالسرج) ففعل ذلك عمرو بن العاص .

فلما قدم عبد الرحمن على عمر جلده وعاتبه من أجل مكانه منه ، ثم أرسله فلبث شهراً صحيحًا ثم أصابه قدره ، فحسب الناس أنه مات من جلد عمر مع أنه لم يمت من جلده .

وأما كون عمر أعاد الجلد على ولده فليس ذلك حدًّا ، وإنما ضربه غضبًا وتأدبًا ، لأن الحد لا يكرر .

(عن ابن الجوزى باختصار)

٤ — المخدرات ومضارها

أنواع المخدرات كثيرة : منها الحشيش ، والمنزول والأفيون ، والكوكايين ، والهروين وغيرها ؛ وقد انتشرت المواد المخدرة فى جميع بلدان القطر المصرى انتشاراً فظيعًا حتى ضجت الناس ، وانطلقت أقلام الكتاب فى الصحف ، وارتفعت أصوات الشكوى فى البرلمان تطالب حكومتنا السنية بوضع قانون جديد بتشديد العقوبة على المتجرين بها والمهربين لها والذين يتعاطونها .

والحق أقول : إن انتشار هذه السموم القاتلة لما يستفز العواطف ، ويحرك الهمم ، ويستحث أولى الأمر والعزم على مقاومتها واستئصالها رحمةً بالإنسانية المعذبة ، ومحافظةً على الأعراض والأموال ، وصيانة للأخلاق من التدهور والانحطاط .

نقرأ فى كل يوم فى الصحف أخبار صرعى هذه السموم وماضاع من أموالهم وماأصيب به أسرهم ، فنألم أشد الألم لهذه المصائب المتوالية ، ونشفق على هذه الشبيبة الفانية ، ونطلب لها الرحمة والغفران من الملك الديان .

ولو قلبنا فى بطون الصحف والأسفار ، واستقصينا علة هذا الداء الوبيل لرأينا أن أسباب انتشار هذه السموم بإجماع الآراء هى التقليد الأعمى ، والبيئة السيئة ، والاختلاط الشائن ، وكثرة الحانات والقهاوى ، والمراقص والمسارح ، وبيوت الدعارة ، ومزاحمة الدجالين والمتطفلين على صناعة الطب الذين يدّعون علاج رطوبة الظهر وضعف الأعصاب بالمواد المخدرة ، فيعتادها المرضى السذج ويقعون فى شراكها ، وكلها أسباب اجتماعية .

وهناك سبب هامّ ، بل هو أعظم الأسباب لسقوط هؤلاء الشبان فى حمأة الرذيلة ، ألا وهو عدم التربية الخُلُقية ، وعدم الرقابة الأهلية والمدرسية .

ومن أسباب انتشار المخدرات التمدين والترف اللذان جعلا كثيرا من المشتغلين بالفنون الجميلة ، كالشاعر والموسيقى والممثل والمغنّى وغيرهم يسبحون فى عالم الوهم والخيال ، ويختلطون بالطبقة المنغمسة فى الرذائل ، ويدّعون جهلاً أنهم فى جوّ الأنس والطرب .

وهناك أسباب تناسلية ووراثية ، أما التناسلية فهى إفراط بعض الناس فى اللذة وحب الشهوات ، الأمر الذى يدعوهم إلى الاستعانة بأنواع المكيفات .

أما الوراثية فهذه نقطة هامة يجب أن يلاحظها الآباء قبل الأبناء حيث دلت البراهين القاطعة على أن المخدرات التى يصاب بها الآباء تورث الأبناء ضعفاً فى القوى العصبية والعقلية والبدنية .

والدليل على ذلك أننا نرى أبناء السكّيرين كثيراً مايصابون بالبله والجنون ، أوضعف القوى الفكرية ، حتى إنهم لايقدرون على أن يحكموا عواطفهم ولا أخلاقهم ، وكثير منهم مصاب بأمراض عصبية لايبرأ منها .

وسوف يعترف الآباء المنغمسون فى المكيفيات بجنايتهم على أبنائهم ، وأنهم يجرون عليهم كثيراً من المصائب والآلام ؛ وسيعلم الأبناء أنهم بتعاطيهم تلك المخدرات يخسرون الدنيا والآخرة .

فإذاً كان العلاج المطلوب لمنع انتشار المخدرات أنه يسن قانون بتشديد العقوبة ، فالعلاج الثابت المحقق الذى لايحتاج لسن قانون هو القيام على نصرة الأخلاق و بث روح التربية الدينية الصادقة فى نفوس الشبان والرجال معًا .

النهى عن المخدرات

(من خطبة لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الجزيرى رحمه الله)

يامعشر المسلمين : إن من شر الشهوات المفضية إلى هلاك الأبدان (شهوة المخدرات) التى تفشت فى كثير من الناس كالكوكايين وأمثاله ؛ هذه الشهوة من أضرّ الشهوات ، وأرذل الآفات ، فهى داء عضال ، ومرض قتال ، يفتك بالعقول والأرواح ، ويقضى على الأموال والأنفس ؛ داء يقضى على الحياة الأدبية والمادية ، ويخرج من حظيرة الإنسانية إلى أحط من درجة الأنعام ؛ فكم أفقر الكوكايين غنيًّا ، وأضعف قويًّا ، وأذل عزيزاً ، وخرّب بيوتاً عامرةً ، وقضى على شباب غضّ ؛ فياله من شر عظيم ، و بلاء كبير ، آثاره

السيئة لاتقف عند حد ، وهى محسوسة بيننا لاتخفى على أحد حتى البله والصبيان .

يامعشر المسلمين : قد سلط الله علينا عصابة فى صورة إنسان ، ولكنها فى الحقيقة ذئاب ضارية ، ووحوش كاسرة ، تلك العصابة الذميمة التى لاهمّ لها إلا جمع المال الحرام من أى سبيل ، فاستولت على صغار العقول شرار النفوس ، وزينت لهم تعاطى الكوكايين والمخدرات ، فأوقعتهم فى شراكها فريسة لمطامعها ، تمتص دماءهم ، وتسلب أموالهم ، وتبيعهم سمًّا قاتلاً يفتك بهم فتكا ذريعاً ، ويوردهم موارد الهلاك والردى ، فعليها من الله لعنة وغضب ، وجزاؤها على ذلك عذاب السعير

فمن الواجب علينا أن نحارب هذه العصابة الممقوتة بكل قوة و بأس ، وأن نقضى على هذا الوباء الذى يسرى بيننا سريان النار فى الهشيم قبل أن يستفحل شره ، ويتفاقم خطره ، أكثر مما هو عليه ، فيلتهم مَن حولنا من أبنائنا و إخواننا ونحن غافلون .

يامعشر المسلمين : قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تناول مايفضى إلى الهلاك نهياً شديداً ، وحرّمه تحريماً مغلّظاً فقال : « مَنْ تحسَّى سُمًّا فقتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَداً » من حديث رواه البخارى .

ولا شك أن الكوكايين وأمثاله سم قاتل يستحق من يتعاطاه ذلك الجزاء الشديد .

وكذلك قد نهى صلى الله عليه وسلم عن كل مايضر بالعقل . فقال عليه الصلاة والسلام : « كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ » لأن العقل عليه مدار الحياة الإنسانية فى الدنيا والآخرة ، وهو الذى يمتاز به الإنسان عن الحيوان ، فمن اعتدى على العقل فقد ارتكب جريمةً من أكبر الجرائم ، وموبقةً من أشد الموبقات فى نظر الدين .

يامعشر المسلمين قد نهانا الله تعالى عن أن نلقى بأنفسنا إلى التهلكة . فقال تعالى وهو أصدق القائلين : (وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) قد نهانا عن أن نلقى بأنفسنا إلى التهلكة ، رحمةً منه ورأفةً بنا ، وإن الله بعباده لرءوف رحيم .

فحرام علينا أن تسوقنا شهواتنا الدنيئة إلى مواطن الهلاك والردى ، حرام علينا أن

نطيع شيطاننا وهوانا ، ونعصى الله خالقنا ، حرام علينا أن نتبع قرناء السوء ، و إخوان الفساد ، فنلقى بأرواحنا فى طريق الفناء ونحن غافلون ، حرام علينا أن نرضى شهواتنا ، ونغضب الله رب العالمين .

فاتقوا الله واعملوا بأوامره ، واجتنبوا نواهيه تكونوا من الفائزين .

٥ — الميسر « القمار » ومضاره وتحريمه

القمار أن تغالب شخصاً على مال ، فإن غلبته أخذته منه ، و إن غلبك أخذه منك ، وهو محرم حتى لعب الصبيان بالجوز واللوز .

المقامرة على المليم تجرّ إلى المقامرة على الجنيه ، ثم على المئات والألوف ، وعلى مايملكه الإنسان مهما بلغت قيمته .

القمار يورث العداوة والبغضاء بين لاعبيه ، لأن المقامر الذى يضيع ماله يكون غير راض ألبتة على من أخذه منه فيحنق عليه و يجتهد فى فتح باب المنازعة معه .

والغالب أن يمنعه الطمع من أن يرد عليه ما أخذه فتثور الشحناء ، وتربو العداوة والبغضاء وهنالك التخاذل والتخاصم والطامة الكبرى . القمار طريق لأكل أموال الناس بالباطل ، أى بغير عوض حقيقى ، وهو محرم بنص القرآن الكريم : (وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ) النساء ٢٩ .

ماتغلّب القمار على شخص إلا أذاقه ذل الفقر ، وألبسه ثوب الهوان ، إن كسب مرة خسر مرات ، و إن ربح قرشاً أضاع جنيهات ، يطمع الشيطان الخاسر فى تعويض خسارته ، ويغرى الرابح بمضاعفة ربحه ، فيستمر كل فى ميدان اللعب حتى تلصق يده بالتراب . كم خرب القمار من بيوت ، وأوقع ذوى اليسار فى عسر ممقوت ؟ كم أفسد أخلاق الشبان ، وحط منزلة الشيوخ ، وسبب فضيحة البيوت ، وقضى على مستقبل أسر نشأت فى الترف والعز ، وانحصرت ثروتها فى رجال أضاعوها فى ليلة واحدة ، فأصبحت غنية وأمست فقيرة لاقدرة لها على أن تعيش على ماتعودته من الرفاهية ؟

القمار يفسد الأخلاق والتربية ، ويلهى عن العمل للدارين ، لأنه يعوِّد النفس الكسل ، وانتظار الرزق من الطرق الوهمية ، وترك منابع الثروة الحقيقية ، فينسد باب الاكتساب ، ويقف دولاب الأعمال التى عليها مدار حياة الغنى والفقير والعظيم والحقير .

يتوهم المقامر أنه يكسب بقرشه جنيهاً ، ويبنى على وهمه الفاسد بناء شامخاً وأموراً جمة ، فلايلبث أن يستبين له خطؤه حيث يفر منه درهمه وديناره ولايستطيع إلى رده سبيلاً .

منفعة القمار وهمية ، ومضراته حقيقية ، ولايقدم عليه إلا فاسد الرأى ضعيف العقل .

ينتهى الأمر بكثير من المقامرين إلى قتل أنفسهم غمًّا وحزناً ، أو الرضا بعيشة الذل والمهانة .

والخلاصة : أن المقامرة تضيع المال ، وتذهب بالصحة ، وتميت العواطف الشريفة ، وتقود المرء إلى الطمع ، فيعتاد أن لايرى شيئاً فى الدنيا غير المال ، وينسى معنى الفضيلة ، أومعنى الجامعة الوطنية أوالدينية أو العائلية ، ويهون عليه ارتكاب المحرمات والعياذ بالله

أقوال بعض الأدباء والشعراء فى القمار

قال المرحوم السيد مصطفى لطفى المنفلوطى فى نظراته : « عجباً للمقامر يريد أن يغتنى فيمشى فى طريق الفقر ، مع أن طريق الغنى وطريق الفقر واضحان معلومان لاغموض فيهما ، ماجلس المقامر إلى طاولة القمار إلا بعد أن استقر فى نفسه أن الدرهم الذى فى يده سيتحوّل بعد برهة من الزمان إلى دينار يعود به إلى أهله فرحًا مسروراً .

إن كان لاعب القمار يأمل الربح لأنه رأى عن يمينه رجلاً ربح ، فلِمَ لايخاف الخسران ، لأنه رأى عن يساره مائة من الخاسرين ، وإن كان يصلحه منظر الرابح ، لأنه رآه فى بعض مواقفه مبتسماً مغتبطاً فلِمَ لايبكيه منظر أصدقائه ورفقائه الخاسرين ، وهم يتساقطون حوله تساقط جنود الحرب بين يدى القذائف .

ما أشبه المقامر الذى يطلب من الدينار الواحد مائة بالكيماوى الذى يطلب من القصدير فضة ، ومن النحاس ذهباً ، كلاهما يتاجر بالأحلام فى سوق الأوهام فيربح ربحاً

مقلوباً ، ويكسب كسباً معكوساً ، وما أشبههما جميعاً بالرجل الذى علم أن فى صحراء من صحارى أفريقيا كنزاً مدفوناً لاتعرف له بقعة وليس عليه دليل ، فحمل فأسه على كتفه ومشى فى تلك الصحراء يحفر الحفرة التى تستنفد قوّته وتستهلك منته ، وتبلغ من نفسه مالا يبلغ منها كرّ الغداة ومرّ العشى حتى إذا بلغ مستقرها ، وعلم أنه لم يعثر بضالته المنشودة تركها وبدأ يحفر غيرها بجانبها ، فلا يكون نصيبه من الأخرى أوفر من نصيبه من الأولى ، وهكذا حتى أدركه الموت .

واعلم أن المقامر هو فى آن واحد أجشع الناس ، وأزهد الناس ، فلولا حبه المال لما هان عليه أن يبذل راحته وشرفه وحياته فى سبيله ؛ ولولا زهده فى المال لما أقدم باختياره على تبديده على طاولة القمار لالغاية يطلبها ، ولا لمأرب يسعى إليه .

إنى أنصح للذين لم يخطوا خطوةً واحدةً فى هذا الطريق الوعر حتى اليوم بألا يقامروا جدًّا ولا هزلًا ، فإن هزل القمار يجر إلى جده ، وألا يمروا بمحال القمار فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، وألا يصاحبوا المقامرين ، فإنهم لايرضون عنهم حتى يتخذوا ملتهم فإن فعلوا خسروا مالهم وشرفهم وعزيمتهم وحياتهم .

وقال الشاعر الأديب الشيخ نجيب الحداد فى القمار ومضاره :

لكل نقيصة فى الناس عار ... وشر معايب المرء القمار
هو الداء الذى لايرد عنه ... وليس لذنب صاحبه اغتفار
تشاد له المنازل شاهقات ... وفى تشييد ساحتها الدمار
نصيب النازلين بها سهاد ... فإفلاس فيأس فانتحار
قد اقتصروا التجارة من قريب ... فعدم فى الدقيقة أو يسار
وبئس العيش فقر مستديم ... يعارضه يسار مستعار
وبئست خلة الفتيان همّ ... وأتعاب وخسران وعار

وقال الأستاذ محمود أفندى سلامة فى ذم الميسر :

أخسر خلق الله منا صفقةً ... من يطلب اليسر بلعب الميسر

يجنى حراماً إن جنى وقلّما يبلغ إلا حسرات المعسر
فغنمه جُـــرم وأما غرمه ففقد ميســـور وفقر موعسر
كم خرّب الميسر بيتاً عامراً وكم أهان من وجيهٍ وسَرِى
أقـلّ ما فيـه الدمار والبوا ر والشقاء فأسر عنه وسر

حكمة تحريم الميسر وأوراق اليانصيب

حكمة تحريم الميسر ترجع إلى أسباب منها :

أولاً : أنه يصد المقامرين عن الطريق القويم لكسب العيش من وجوهه المشروعة ويميت فى قلوبهم روح العمل الشريف ، ويبعدهم عن جميع الأمور النافعة وعن العناية بالأمور الدينية والشئون العمرانية ، وعن كل مايكون به صلاح معاشهم ومعادهم ، ويستولى الشيطان على نفوسهم الشريرة فيعيشون عيشةً كلها شقاء وتعس ونكد . ذلك لأنهم بانكبابهم على الميسر لايتمكنون من تحصيل ماهو مطلوب مرغوب ، كاكتساب الحلال للنفس والأهل والولد ، وكالصلاة وسائر العبادات التى بها ترقى النفوس ، وتهذب الطباع ، وتصفو العقول .

ناهيك بما يقع بين المقامرين من العداوة والبغضاء ، والجرأة على الكذب والأيمان الباطلة فيصيرون أعداء متخاصمين ، لايتعاونون إلا على الإثم والعدوان .

وقد حرم الله تعالى الميسر و بيّن أضراره فى قوله تعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ، فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ؟) المائدة ٩٠ ، ٩١ .

ثانياً : أن القمار كسائر الشهوات تزداد النفس فيه رغبةً وشراهةً كلما استرسلت فيه وتمادت فى اعتياده ، وهى لاتقنع من شهواتها بالقليل .

فالمشتغل به كلما ربح طمع فى الزيادة ، وكلما خسر طمع فى تعويض الخسارة ، ويستولى

الطمع على النفس فتضعف القوى المدركة فلا تقوى الإرادة على ردع النفس عن ارتكابه ، و يمتنع التخلص منه إلى أن يحيط الفناء بأموال المقامر ، وتسوء عاقبته و يصير فى عسر شديد وخسران مبين .

ثالثاً : مايكون فيه من فساد التربية و إضعاف القوى العقلية ، فإن من اتخذه سبيلاً لتكسّبه ، وجعله وصلته إلى أكل أموال الناس بالباطل من غير أن يبذل عوضاً من عمل أو غيره تعودت نفسه الكسل ، وانتظار الرزق من السبل الوهمية ، والوجوه الخيالية ، فلا يبحث عن عمل مفيد ، ولا يفكر فى كسب يحتاج إلى إعمال الفكر وتزويد الرويّة ، وذلك أدعى إلى فساد التربية وضعف القوى المفكرة ، وأدنى إلى تقويض دعائم العمران .

رابعاً : مافيه من خراب البيوت وتبديد الأسر ، فلقد شاهدنا من آثاره ماتقشعر منه الأبدان وتنقبض له النفوس وتفيض بسببه العيون ، من ذلك أن ينال المرء من أهله تراثاً يسعد به هو وخلَفه من بعده إن أحسن القيام عليه ، فيحيط به الخونة الأثمة و يحسّنون له الميسر و يعدونه وافر الربح إن وثق بهم ووضع قليلاً من أمواله بين أيديهم وما يعدونه إلا غروراً ، ولا يزالون به حتى يغتر بزخرف قولهم وحلو أمانيهم فينقاد إليهم و ينيلهم مطلبهم و يمكنهم من ذلك الميراث فيكسبونه فى أول الأمر مايغمى به طمعه وجشعه ، فإذا آنسوا منه ذلك مالوا عليه بالخسارة ، وهم يعدونه الربح إلى أن يتحول ماله كله إلى خزائن أولئك الفجرة ، ثم ينفضُون منه أيديهم و ينفضُّون من حوله ، ناسبين ما أصابه إلى سوء حظه ونكد طالعه ، وعندئذ يلازمه الشقاء و يذوق ألوان البؤس والفاقة ، وقد ينتحر أو يقبع فى داره إيثاراً للاستخفاء والانزواء .

والمضاربات من أقبح الميامر لأنها تبدد الثروة ، ولا ينال صاحبها ما أمل ، ولا يذوق من جنى عمله إلا صاب الفقر والخسران .

وأوراق النصيب ضرب من الميسر ، لأن المرء يبنى بسببها قصوراً فى الهواء فينفق الكثير من ماله فى شرائها و يدفعه الطمع إلى مواصلة ذلك أملاً فى الربح الوهمى فينصرف

عن العمل الجدىّ المثمر ، ويضرب فى أودية من الخيال والوهم ، ويألف الكسل الذهنى والجسمى ، ويعتمد على مايصوره الوهم والخيال من الأمانى الكاذبة .

خامساً : مافيه من الضرر البليغ الذى ينال المقامر بضياع وقته سدًى من غير فائدة بل بإنفاق زمنه فيما يعود عليه بضرر محقق مالى وأدبى واجتماعى ، لأنه يقضى الساعات الطوال فى الميسر المبغوض المذموم ، وتكون عاقبته المحتومة ضياع المال والجهد والوقت بما يؤذى العقل والجسم والنفس ، ولو أنه صرف كل هذا فى تحصيل علم أوأدب ، أو فى تحسين حالته الاقتصادية والمعيشية ، أو فى أى عمل مفيد له أو لأمته أو للنوع البشرى لكان أجدر وأولى .

سادساً : أن المقامر يتصل بالأشرار ويخالطهم فتسوء حالته النفسية والعقلية والخلقية ويصير شرّيراً مجرماً ، لايبقى على المال ولا يدخر شيئاً للمستقبل فيعيش تعساً منكود الحظ بائساً يائساً . والقمار المعروف عند العرب فى الجاهلية اللعب بالقداح ؛ وصفته أنهم كانوا يشترون جزورا (ناقة) وينحرونها قبل أن ييسروا ويقسمونها أجزاء ، ثم يأتون بعشرة أقداح يقال لها (الأقلام) ، ولها أسماء خاصة سبعة منها ذوات أنصباء وهى : الفذ وله سهم، والتوأم وله سهمان ، والرقيب وله ثلاثة ، والحلس وله أربعة ، والنافس وله خمسة ، والمسبل وله ستة ، والمعلى وهو أعلاها وله سبعة ، وثلاثة أغفال لانصيب لها وهى : الوغد والسفيح ، والمنبح ، وكانوايضعون هذه الأقداح فى داخل جعبة تسمى : (الربابة) ويدخل واحد عدل منهم يده فيها فيخلطها ثم يخرج باسم رجل رجل قِدحاً قِدحاً ، فمن خرج له أحد الأغفال لم يأخذ من الجزور شيئاً ، ومن خرج له واحد من ذوات الأنصبة ربح من الجزور بمقدار سهامه وجعل حظه للفقراء .

وقد حرم الله هذا النوع من الميسر مع مافيه من فضيلة التصدق على المساكين ، لما تضمنه من الرذائل والمفاسد ؛ فكيف يكون بُغض الله لميسر خلا من كل فضيلة ، واشتمل على كل رذيلة ، كميسر زماننا هذا ؟ .

لاريب أن بغض الله له أشد ، وإثم فاعله أعظم وأكبر .

فالعاقل من اتبع أمر الله وانتهى بنهيه ، وابتعد عن القمار بأنواعه كافةً ، وعن مخالطة أولئك الأشرار الذين اتخذوه شركاً يصيدون به أموال الغافلين ، فإنهم لاخلاق لهم فى الدنيا ، وما لهم فى الآخرة من نصيب .

أدب الإسلام — الجزء الثالث

أمثلة

١ — سوء عاقبة القمار إفلاس فانتحار

قصد المسيو (بول أندرية) الحامى إلى (مونت كارلو) وكان يحمل معه مبلغ ٤٠٠٠ أربعة آلاف فرنك قيمة أتعابه فى قضية تولاها . وبعد أن تجرع بضعة كؤوس من الخمر قصد إلى مائدة (الروليت) حيث خسر جزءاً كبيراً من ماله ، ولكن الحظ حالفه فاسترد خسارته وأخذ يربح ويربح حتى وصل مجموع ما معه من مال إلى نصف مليون فرنك ، فلم يقنع (بول) بهذه الثروة المفاجئة ، فاستمر فى اللعب ؛ غير أن الحظ عاكسه فابتدأت خسارته وفقد النصف مليون وما كان معه .

وعندئذ غادر المائدة واليأس يملأ نفسه ، وما كاد يسير بضع خطوات حتى تذكر الديون التى يجب أن يدفعها فى اليوم التالى . ولما كان متأكداً من عدم استطاعته الحصول على المال فى هذا اليوم ، فقد أخرج غدارته من جيبه وأطلق على رأسه عياراً أرداه قتيلاً فى الحال فمات ضحية القمار .

(مجلة نشر الفضائل العدد ٨ — السنة ٥)

٢ — زوجات يشكين أزواجهن إلى البوليس

تلقى مكتب حماية الآداب منذ يومين شكوى بطريق البريد عليها توقيع ٢٥ سيدة بالأحرف الأولى من أسمائهن . وقد جاء فى هذه الشكوى أن أزواج الشاكيات يهجرون منازلهم ويمضون ليلهم فى أندية القمار حيث ينفقون جميع ماتصل إليه أيديهم ، فى حين أن

عائلاتهم فى حاجة شديدة لما يقوم بأودهم، ومن هؤلاء الأزواج من عجزوا عن دفع المصروفات المدرسية لأولادهم ، لأن القمار لايبقى على شىء مما يربحونه .

تحريات البوليس

وكانت هذه الشكوى موضع عناية البكباشى محمود حسين رئيس المكتب ، فعهد إلى اليوز باشيين : عبد السلام مصطفى ، وحسنين سويلم معاونى المكتب تحرى أمرهم ، فتبين أن السيدات اللاتى وقّعن على هذه الشكوى يقطن فى منطقة واحدة ، وأن أزواجهن جميعاً أصدقاء ، وقد اعتادوا التردد على ناد للمقامرة بحى الأزبكية حيث يقضون سهرتهم التى تستغرق أكثر الليل .

مداهمة النادى

وقد استقر الرأى على مداهمة هذا النادى وضبط من فيه ، فانتقل المعاونان إلى داره وداهماه وضبطا من فيه ، وهم أزواج الشاكيات وضبطا غيرهم من اللاعبين ، وصادروا النقود التى وجدت على موائد اللعب ، كما صادروا أدوات اللعب وغيرها ، واقتادا المقبوض عليهم إلى المكتب حيث أخذ البوليس فى التحقيق معهم .

تشكر البوليس

وفى اليوم التالى اتصلت إحدى السيدات تليفونياً بالبكباشى محمود حسين رئيس المكتب وقالت إنها إحدى السيدات صاحبات الشكوى وأنها تشكر البوليس على عنايته بشكواهن ، وعمله على ضبط النادى حيث كان زوجها من بين الذين ضبطوا فى النادى ، وهى تأمل أن يقلع عن المقامرة ويثوب إلى رشده ويعنى بأمر أولاده .

(الأهرام فى ١٣ / ٣ / ١٩٤٠)

العقاب القانونى على ألعاب القمار

والنصيب والبيع والشراء بالنمرة المعروف باللوتيرى

لقد فهمت الحكومات مقدار الضرر الذى ينجم من القمار وأنواعه ، فحذرته ووضعت فى قوانينها عقوبةً لمن يقامر وهى المذكورة فى المادتين الآتيتين :

٣٠٧ — كل من فتح محلاً لألعاب القمار والنصيب وأعده لدخول الناس فيه يعاقب هو وصاحب المحل المذكور بالحبس مدة لاتزيد عن ستة أشهر ، ويدفع غرامة لاتتجاوز خمسين جنيهاً مصرياً أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط . وتضبط أيضا لجانب الحكومة جميع النقود والأمتعة التى توجد فى المحلات الجارى فيها الألعاب المذكورة .

٣٠٨ — ويعاقب بهذه العقوبات أيضاً كل من وضع للبيع شيئاً فى النمرة المعروفة (باللوتيرى) بدون إذن الحكومة ، وتضبط أيضاً لجانب الحكومة جميع النقود والأمتعة الموضوعة فى النمرة .

[حكمت المحكمة على المقامر محمد قاسم محمد بالسجن لمدة عشر سنوات وتركت زوجته وأولاده مشردين] .

جاء بمجلة العقيدة (بالنجف) بالعدد ١٠ ، ١١ السنة الأولى الصادرين فى ٣٠ مايو سنة ١٩٤٩ الموافق ٢ شعبان سنة ١٣٦٨ قصة غريبة مؤلمة مؤثرة قالتها سيدة عن زوجها المقامر تتلخص فيما يأتى :

بدأت المرأة حديثها قائلةً : لم يكن زوجى حين تزوجته بالرجل الطائش المستهتر ، بل كان مثال الزوج العاقل الرزين ، ولم يكن كذلك يتعاطى الخمر أو يستمرئ التدخين أو يميل إلى المقامرة ، فقد كان يكره هذه الأشياء كلها و يستهجن من يزاولها ، كان لايفكر إلا فى عمله ، ولم يكن له أصدقاء ؛ إذ كان غريب الأطوار إذا مشى فى طريق مشى وحده و إن جلس فى مقهى جلس وحده .

و بعد مرور عام و بعض عام على زواجنا رزقنا بولد وتعاونا على العناية بالطفل وتنشئته ومرَّ عام وتبعه آخر ، وثالث ورزقنا بطفلة لم يكن اهتمامنا بها بأقل من اهتمامنا بأخيها ونقل زوجى من قلم الأوراق والمحفوظات إلى أمانة الصندوق فى دائرته وزيد راتبه الشهرى ، وقد مرت شهور و إذا بزوجى يتأخر فى المجىء إلى المنزل فأوجست خيفةً ، وسألته عن سبب تأخره فأجاب : ألم تقولى مراراً اتخذ لك أصدقاء تتسلى معهم ، ولقد فعلت فاتخذت لى أصدقاء من زملائى فى الدائرة .

ومرت أشهر ، وكأن الذى نقل زوجى من وظيفته إلى أمانة الصندوق قد نقله من العفة والرزانة إلى الطيش والاستهتار ؛ فقد تعود على شرب الخمر الذى كان يكرهه وشاربيه ، فو بخته كثيراً واستعطفته أن يقلع عما هو فيه ، ولكن مع الأسف كانت الخمر قد أفقدته رشده فلم يسمع نصحى له وقال لى : لقد كنت مغفلاً ، اسمعى إن المدنية تتطلب أن يشرب الإنسان الخمر وأن يتعلم الرقص وأردف ضاحكاً (وأن يقامر) كذلك ، وأخذت أنظر إليه بدهشة وقد أذهلنى تغيره المفاجئ ، إذ أخذ يشرب فأكثر ثم أسرف ، ولم تفد فيه نصائحى ولم يردعه توبيخى ، فانطويت على نفسى ووجهت اهتمامى إلى طفلتى ، أما هو (زوجى) فقد جره التيار تيار المدنية الزائفة ، واندفع يجارى شاربى الخمر فى شربهم والمقامرين فى قمارهم ، والعابثين المستهترين فى عبثهم واستهتارهم ، وكان يؤتى به إلى البيت فى بعض الليالى محمولاً على أيدى زملائه لفرط سكره ، زملائه الخسرة والفجرة الذين كانوا قد وجدوا فيه الصيد الثمين فراحوا يبتزون نقوده بكل حيلة ، ولم أكن أعلم من أين كان يأتى بكل هذه النقود التى كان يدرّ منها على صحبه ويقامر بها ويصرف على بيته ونفسه منها ، ولما سألته عن مصدر هذه النقود ضحك قائلاً : ليس هذا من شأنك كلى واشربى ولا تسألى من أين لكِ هذا ؟ وحذرته من أن يلوث يديه بنقود تأتيه عن طريق غير شريف ، وقلت له : كن نزيهاً ، فابتسم زوجى ثم ضحك قائلاً : نزاهة ، هذه الكلمة التافهة لاتطعم خبزاً فى هذا البلد العجيب وسار زوجى فى طريقه لا رادع يردعه ، ولا زاجر ولا وازع ، ومرّ عام ، وذات ليلة ظللت ساهرة أنتظر عودته فلم يعد ، وجاء الصباح وأنا قلقة وجلة لا أعرف سبباً لغيبته ، وأخيراً عرفت السبب عندما سمعت طرقاً عنيفاً على الباب ، وفتحته فأرى زوجى مكبلاً بالحديد يحيط به رجال الشرطة الذين دخل فريق منهم وانتشر فى أرجاء المنزل ، وظل فريق يراقب خارج الدار ونظرت إلى زوجى لأعرف السبب ، لكنه كان منكس الرأس لايتفوّه بكلمة فقلت للشرطة ماذا تفعلون ؟ فأجابنى أحدهم نبحث عن نقود زوجك لأنه متهم (باختلاس مبلغ أربعة آلاف دينار) وبحثوا ونقبوا وقلبوا أثاث الدار رأساً على عقب فلم يجدوا شيئاً ، لأن زوجى كان ينفق كل نقوده على صحبه وعلى موائد الخمر والقمار ، واقتيد إلى السجن بتهمة

أشهر ، وكأن الذى نقل زوجى من وظيفته إلى أمانة الصندوق قد نقله من العفة الطيش والاستهتار ؛ فقد تعود على شرب الخمر الذى كان يكرهه وشاربيه ، ثيراً واستعطفته أن يقلع عما هو فيه ، ولكن مع الأسف كانت الخمر قد أفقدته يسمع نصحى له وقال لى : لقد كنت مغفلاً ، اسمعى إن المدنية تتطلب أن يشرب الخمر وأن يتعلم الرقص وأردف ضاحكاً (وأن يقامر) كذلك ، وأخذت أنظر إليه قد أذهلنى تغيره المفاجئ ، إذ أخذ يشرب فأكثر ثم أسرف ، ولم تفد فيه نصائحى توبيخى ، فانطويت على نفسى ووجهت اهتمامى إلى طفلتى ، أما هو (زوجى) فقد ر تيار المدنية الزائفة ، واندفع يجارى شاربى الخمر فى شربهم والمقامرين فى قمارهم ، المستهترين فى عبثهم واستهتارهم ، وكان يؤتى به إلى البيت فى بعض الليالى محمولاً زملائه لفرط سكره ، زملائه الخسرة والفجرة الذين كانوا قد وجدوا فيه الصيد حوا يبتزون نقوده بكل حيلة ، ولم أكن أعلم من أين كان يأتى بكل هذه النقود يدرّ منها على صحبه ويقامر بها ويصرف على بيته ونفسه منها ، ولما سألته عن مصدر ضحك قائلاً : ليس هذا من شأنك كلى واشربى ولا تسألى من أين لكِ هذا ؟ من أن يلوث يديه بنقود تأتيه عن طريق غير شريف ، وقلت له : كن نزيهاً ، وجى ثم ضحك قائلاً : نزاهة، هذه الكلمة التافهة لاتطعم خبزاً فى هذا البلد العجيب وجى فى طريقه لا رادع يردعه، ولازاجر ولا وازع ، ومرّ عام، وذات ليلة ظللت ساهرة عودته فلم يعد ، وجاء الصباح وأنا قلقة وجلة لا أعرف سبباً لغيبته ، وأخيراً عرفت عندما سمعت طرقاً عنيفاً على الباب ، وفتحته فأرى زوجى مكبلاً بالحديد يحيط به لشرطة الذين دخل فريق منهم وانتشر فى أرجاء المنزل ، وظل فريق يراقب خارج نظرت إلى زوجى لأعرف السبب ، لكنه كان منكس الرأس لايتفوّه بكلمة فقلت ماذا تفعلون ؟ فأجابنى أحدهم نبحث عن نقود زوجك لأنه متهم (باختلاس مبلغ آلاف دينار) وبحثوا ونقبوا وقلبوا أثاث الدار رأساً على عقب فلم يجدوا شيئاً ، لأن كان ينفق كل نقوده على صحبه وعلى موائد الخمر والقمار ، واقتيد إلى السجن بتهمة

فكم من مشترٍ لها وهو محتاج للقوت الضرورى ، وكم من مشترٍ لأوراقها خسر فى كل مرة وهو لا يتوب من ذنبه ولا يستغفر .

فلو أنك يا عبد الله ادّخرت ماخسرته من ثمن أوراقها لاستفدت وأفدت ، ومع ذلك فالكسب منها حرام فى حرام ، وسحت يمحقه الله ولا يبقيه ، ولا يبارك فى الرزق الحرام ، والسحت يذهب من حيث أتى .

يا عباد الله : إن الرزق مقسوم فى اللوح كالأجل ، ومقدّر قبل وجود المخلوقات فى الأزل ؛ فلا تنفع فيه الحيلة ، وإنما ينفع فيه أن نكتسب من حلال ، وأن نترك الغش بين مخلوقات الله ، « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » هكذا يقول البشير النذير .

فتباعدوا عن شراء هذه الأوراق وفروا من اللعب بما يسمونه السباق (سباق الخيل بالرهان الحرام) فلا تذهبوا لمشاهدة ذلك ، ولا تشتركوا فى هذه المآثم ، ولا تنخدعوا بما يقال لكم إنها مساعدةً لجمعيات خيرية ، فجمعيات الخير إنما تقوم على تبرعات أهل الخير من الأغنياء ، وعلى الجود والإحسان من أهل الثروة والمال .

ومن يشترى اليانصيب لمساعدة جمعية فقد باء بخزى وغضب ومعصية لأوامر الله ، وتكون نتيجة هذه الجمعية الفناء وعدم النفع بها ؛ لأن الله ما كتب فى شرائعه السماوية للحرام أن يدوم ، بل لابد من زواله على ممر الأيام .

فهل من مدّكر ؟ وهل من مستمع ؟ وهل من واعٍ لأوامر القرآن ؟ وهل من متتبع لشريعة سيد ولد عدنان ، فالدين النصيحة ، وهل تجزون إلا ما كنتم تعملون .

فاتقوا الله وتباعدوا عن هذه الذنوب ، وتقربوا إلى الله بفعل الخير ، وتجنبوا الشر من شراء هذه الأوراق ، والاشتراك فى مضمار السباق باليانصيب ، ذلكم أزكى لكم وأطهر .

قال صلى الله عليه وسلم : « لَنْ تَزُولَ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ بِهِ » ؟

الذى يستحل الحرام لا يؤمن بالقرآن

عن صهيب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ» . أخرجه الترمذى

(الشرح والبيان)

إن الله تعالى فرض للناس فرائض ، وأمرهم باتباعها ، وحدَّ لهم حدوداً ، ونهاهم عن تعدّيها ، وحرَّم عليهم أشياء ، وحذرهم من انتهاكها ؛ ليسير الناس فى حياتهم على منهاج قويم ، ويصلون به إلى سعادة الدنيا والفوز بالنعيم المقيم فى جنات الخلود ، وقد تضمن القرآن الكريم كل ذلك وبينه بأجلى بيان .

ومن يتدبر فيما حرّمه الله تعالى على الناس فى كتابه الكريم ، يعلم حق العلم أنه سبحانه وتعالى حرّم عليهم كل ماهو ضارّ بهم أفراداً وجماعات ؛ فى عقولهم وأرواحهم وأعراضهم وأموالهم وحياتهم ، ليقيهم غوائل الهلاك ، ومصارع الرَّدى ، وليخرجهم من ظلمات أهوائهم ، إلى نور الهداية الرشيدة ، ليتوفروا على القيام بوظيفة الخلافة فى الأرض بكل ما أوتوا من المواهب العقلية ، والقوى الروحية والبدنية .

وليكونوا فى هذا العالم ملائكةً فى أجساد بشرية وصور آدمية ، يستمتعون بما أحلَّ الله لهم من خيرات الأرض ، وما وهبهم الله من أنواع الرزق ، وهم متحابون متآلفون ، ويسمون بأرواحهم فوق حدود المادة ، فيسخّرونها لمصالحهم من غير أن تستعبدهم أو تذلهم ، ويتشبهون بالملائكة الأطهار فى التجافى عن الإثم والفجور .

فالمحرَّمات التى نهى الله الناس عن انتهاكها ليست قيوداً فولاذية كما يظنه المستهترون من أعداء الدين ، وإنما هى وسائل لوقاية الناس من الهلاك الذى يترتب ترتيباً طبيعيًّا على الآثام والمعاصى ؛ وإنك إذا نظرت إلى أى نوع من المحرَّمات بعين التبصر والاعتبار ترى أن ارتكابه يفضى حتماً إلى الضروريات التى لابد منها لحياة الناس وهى : العقل والمال والعرض والجسم والحياة .

بل إن بعض المحرمات قد يتعدى ضرر ارتكابه إلى الهيئة الاجتماعية فيكون شر ماتبتلى به الأمم ، وشر مايعرّضها للبوار والهلاك .

انظر مثلاً إلى جريمة شرب الخمر ، ألست ترى الخمر متلفة المال ، مفسدة للعقل ، مهلكة للجسم ، معطلة لمصالح الإنسان الضرورية ، معرّضة زوجه وأولاده للجوع والعرى والعوز والفاقة التى قد تدفعهم يومًا ما إلى التفريط فى العرض والكرامة ؟

وانظر إلى القمار وما جرّه من الخراب على بيوت عامرة ، ترفرف عليها ألوية السعادة ، ويتلألأ فيها نور السرور ؛ وكم رأينا وسمعنا عن كثير من فجائع الاسر التى انتقلت ثرواتها إلى جيوب المرابين ، لأنهم استدانوا منهم أموالاً طائلةً بددوها على المائدة الخضراء ، أو فى ملاعب السباق والرهان على الخيل .

ولسنا الآن فى معرض بيان الآثار السيئة التى تلحق الأفراد والجماعات من المعاصى والموبقات فإن ذلك يطول شرحه ، وإنما الذى ننبه عليه أن المحرمات التى حظر الله على الناس اقترافها إنما هى سموم مهلكة ، وأوبئة فاتكة ، ومعاول هدم لكيان الأمة التى تنتشر فيها ، وسبب لنقمة الله تعالى وعقابه للمجرمين .

وقد فرض الله تعالى على المسلمين الإيمان بكتابه الذى هو نور الهداية ، ودستور المسلمين فى جميع نظم الحياة .

ومعنى الإيمان به أن تؤمن بأن كل ماجاء به القرآن الكريم جملةً وتفصيلاً حق من عند الله تعالى لاريب فيه ، أنزله ليعمل الناس به ، وأن تتبع الإيمان بالعمل ، لأن العمل هو برهان الإيمان الصادق ، ودليل الاتباع الصحيح لما أنزله الله تعالى فى كتابه المبين .

فإذا آمنت بكتاب الله وعملت بما فيه ، فاتبعت أوامره ، واجتنبت محارمه ، فقد استقمت على المحجة الواضحة ، وفزت بالسعادة الخالدة .

أما من ادعى أنه مؤمن به ، ولم يجتنب محارمه ، فهو أحد رجلين : إما كاذب فى دعواه ، وإما مشلول الإيمان ، لأن الإيمان الذى لايبعث على العمل ، كالجسم المشلول لايبعث على الحركة ؛ وكيف يكون صادق الإيمان بالقرآن من يظلم الناس بغير الحق ، وهو

يقرأ قوله تعالى : (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) .

ومن يبغى الفساد فى الأرض وهو يتلو قوله جل ذكره : (إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) .

ليس الإيمان بالقرآن لفظاً ينطق به اللسان ، ولكنه اعتقاد ينبعث عنه العمل ، وتترتب عليه التقوى ، فإن لم يصدّق العمل دعوى اللسان كانت دعوى كاذبة لاقيمة لها عند الله تعالى .

فمن استحل محارم الله تعالى واستخف بها، لا يكون صادق الإيمان بالقرآن ، بل يكون إيمانه مجرد دعوى باللسان ، وأمره موكول إلى الملك الديان ؛ وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم أحرص الناس على إتباع الإيمان بالعمل خصوصاً فيما حرّمه الله تعالى ، حتى إنهم لما نزل قوله تعالى فى تحريم الخمر (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)

قالوا : انتهينا يارب ، ثم أخذوا يريقون زقاق الخمر فى سكك المدينة حتى صارت كأنها نهر ، وما شربها أحد بعد ذلك .

هكذا يكون الإيمان الصادق ، وهكذا يكون الاتباع الكامل لما أنزل الله تعالى .

فيامعشر المؤمنين بالقرآن ، حققوا صدق إيمانكم بحسن اتباعكم ، واجتنبوا ماحرّم الله عليكم ، واحذروا من بأس الله أن يحل بكم كما حلّ بمن قبلكم من المسرفين على أنفسهم ، المعتدين على حدود الله .

واعلموا أن الله تعالى ماحرّم عليكم إلا الخبائث ليقيكم من الهلاك والدمار. واعلموا أن سنة الله تعالى فى الأمم التى تصرّ على اقتراف المحرمات أن ينتابها بعقاب من عنده حتى ترعوى وتفىء إلى رشدها ، واتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون .

وفقنا الله وإياكم للخير ، وهدانا وإياكم إلى سواء السبيل .

حسين سامى (رحمه الله)

مدرس بمعهد القاهرة الثانوى

(مجلة نشر الفضائل العدد ٣١ السنة السادسة)

١٥ يناير سنة ١٩٣٩

المحرمات المنهى عنها شرعاً

الصادرة عن القلب والأذن والعين واللسان

هذه المحرمات هى سوء الظن بالناس ، والتجسس عليهم ، وذكرهم فى غيبتهم بما يكرهونه ، والسعى بالوشاية والنميمة فى حقهم لإفساد مقاصدهم ، وهى مذكورة فى قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ . وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) . (الحجرات ١٢)

وفى قوله تعالى : (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ . هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ . مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ) (القلم ١٠ ، ١١ ، ١٢) .

ملحوظة : وهذه المحرمات مذكورة ومشروحة فى كتابنا المعاملات الأدبية ، وتقويم الأخلاق ، فلا حاجة لتكرارها هنا ؛ ومن شاء فليطلع عليها فى الكتابين المذكورين .

خاتمة

(وصية المصطفى صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه)

قال علىّ : دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلوت معه فى منزله فقال :

« يَا عَلِيُّ أَنْتَ مِنِّى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى عليهما الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِى ؛ إِنِّى أُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَهَا عِشْتَ حَمِيدًا وَمُتَّ شَهِيدًا ، وَيَبْعَثُكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقِيهًا عَالِمًا . يَا عَلِيُّ : مَنْ أَكَلَ الْحَلَالَ صَفَا وَنَبَهَ ، وَرَقَّ قَلْبُهُ وَلَمْ يَكُنْ لِدَعْوَتِهِ حِجَابٌ . يَا عَلِيُّ : مَنْ أَكَلَ الشُّبُهَاتِ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ دِينُهُ ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُ ، وَمَنْ أَكَلَ الْحَرَامَ مَاتَ قَلْبُهُ وَخَفَّ دِينُهُ ، وَضَعُفَ يَقِينُهُ ، وَحَجَبَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ ، وَقَلَّتْ عِبَادَتُهُ . يَا عَلِيُّ : إِذَا غَضِبَ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ رَزَقَهُ مَالًا حَرَامًا ، فَإِذَا اشْتَدَّ غَضَبُهُ

عَلَيْهِ وَكَّلَ بِهِ شَيْطَاناً يُبَارِكُ لَهُ فِيهِ وَيَصْحَبُهُ وَيَشْغَلُهُ بِالدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ ، وَيُسَهِّلُ لَهُ أُمُورَ دُنْيَاهُ ، وَيَقُولُ لَهُ : اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . يَا عَلِيُّ : مَا سَافَرَ أَحَدٌ طَالِباً الْحَرَامَ مَاشِياً إِلاَّ كَانَ الشَّيْطَانُ قَرِينَهُ ، وَلاَ رَاكِباً إِلاَّ كَانَ رَدِيفَهُ ، وَلاَ جَمَعَ أَحَدٌ مَالاً حَرَاماً إِلاَّ أَكَلَهُ الشَّيْطَانُ ، وَلاَ نَسِيَ أَحَدٌ اسْمَ اللهِ تَعَالَى عِنْدَ الْجِمَاعِ إِلاَّ شَارَكَهُ الشَّيْطَانُ فِي وَلَدِهِ ، وَذٰلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: (وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلاَدِ وَعِدْهُمْ . يَا عَلِيُّ لاَ يَقْبَلُ اللهُ تَعَالَى صَلاَةً بِلاَ صَدَقَةٍ ، وَلاَ صَدَقَةً مِنَ الْحَرَامِ . يَا عَلِيُّ : لاَ يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي زِيَادَةٍ مِنْ دِينِهِ مَالَمْ يَأْكُلِ الْحَرَامَ ، وَمَنْ فَارَقَ الْعُلَمَاءَ مَاتَ قَلْبُهُ وَعَمِيَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى . يَا عَلِيُّ : مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يُحِلَّ حَلاَلَهُ ، وَلَمْ يُحَرِّمْ حَرَامَهُ كَانَ مِنَ الَّذِينَ نَبَذُوا كِتَابَ اللهِ وَرَسُولَهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ » .

نبذة

فى حكم الشريعة الغراء

فى المحرمات على النساء

١ — تحريم النظر إلى الرجال الأجانب والنهى عنه .

٢ — تحريم التبرج والزينة والنهى عنهما .

قال الله تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ . وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ . ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ . إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ . وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) . النور ٣٠، ٣١

أنزل الله هذه الآيات للنصح والتحذير ، فأمر الرجال بغض الأبصار وبحفظ الفروج ، وأمر النساء بذلك أيضاً كما أمرهن بستر الزينة .

وفى هذه الآيات الكريمة حكم من أحكام صيانة الأعراض ، وحفظ الأنساب ، وحياطة أواصر الأسرة من أن تلعب بها الأهواء ، وإحكام الروابط حتى لاتعبث بها يد الفساد .

وقال عليه الصلاة والسلام : « النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ ، فَمَنْ تَرَكَهَا خَوْفًا مِنَ اللهِ تَعَالَى أَعْطَاهُ اللهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلاَوَتَهُ فِي قَلْبِهِ » .

أجل : فالنظر سهم مسموم من سهام إبليس ، وهو رسول الشهوة ، وبريد الزنا ،

وراثد الفجور والفتنة ، وفيه من المضارّ الدينية والدنيوية ، مالايخفى على ذوى العقول السليمة ، والأفكار الراجحة ؛ وربَّ نظرة جلبت حسرة ، وكانت بذرة لأخبث شجرة ، وربَّ شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً .

وقال ابن الفارض رضى الله عنه :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها فى أعين الغيد موقوف على الخطر
كم نظرةٍ فعلت فى قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسرُّ ناظرَه ماضرّ خاطرَه لا مرحباً بسرور جاء بالضرر

وقال المرحوم شوقى بك أمير الشعراء : نظرة فابتسامة فكلام فموعد فلقاء .

فالنظرة فاتحة الفتنة ، وتجر إلى اختلاط الرجال بالنساء المنهى عنه شرعاً لسوء عاقبته ، وسيأتى الكلام عليه ؛ وهذا هو السرُّ فى أن الشارع الحكيم نهى عن النظر إلى الرجال الأجانب ، وأمر النساء والرجال بغض النظر كما هو ظاهر فى الآية الأولى والثانية ؛ وأما باقى الآيات فواردة فى النهى عن التبرج والزينة، وسيأتى الكلام عليهما .

التبرج والزينة

التبرج: هو إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال الأجانب ، وهو من أقبح البدع التى ستذهب بالقومية المصرية إن لم يتداركها الله بالغيورين العاملين .

التبرج والزينة يعميان البصيرة ، ويفسدان الأخلاق الكريمة ، ويحرمان الأجسام لذة الصحة والمنام ، ويزرعان فى قلوب النساء بذور الغرور وحب الظهور .

وحب التبرج والزينة آفتان يتبعهما آفات ، فهما علة الإسراف والتبذير ، وطريق الحسد والكبرياء والخلاعة ، وحب الذات ، وعدم الشفقة على البائس الفقير ، فضلاً عما فيهما من ضياع الوقت الثمين فى سبيل الزينة الزائلة ، والزخرف الباطل .

إن الولع بحب التبرج والزينة يكاد يكون عادة طبيعية فى النساء ، وملكة راسخة

فى نفوسهن ، فطالما استعملن من القدم أنواع الزخرف والتزين ، وذهبن فيها كل مذهب حتى صارت الحلى والحلل موضوع حديثهن فى مجتمعاتهن ، وحجر عثرة فى سبيل تقدمهن .

وقد نهى الشرع الشريف عن التبرج والزينة . قال تعالى : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) .

وقوله تعالى : (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن) فى ذلك بيان لمن لا يحل له إبداء الزينة ومن يحل له .

وقوله تعالى : (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) فكانت المرأة تضرب الأرض بإحدى رجليها ليعرف الناس أنها ذات خلخال وجمال ، وهذا أبلغ فى النهى عن إظهار الزينة ، وأدل على المنع من رفع الصوت .

وقالت إحدى السيدات نصيحةً للأمهات :

إن حب الزينة من العيوب التى تخلّ بآداب المرأة ويصعب التغلب عليها ، فكم من العذارى الطاهرات السيرة ، المتحليات بجواهر الآداب ، المشهورات بالعفة والصيانة ، المتسربلات بحلل الكمال والفضل ، قضى عليهن حب الحلى والحلل مع أنه من الأباطيل الفاسدة ، وجرّهن إلى الإسراف والتبذير وضياع الثروة ، والوقوع فى أسر الفاقة والعوز ؛ كما أن المرأة المتبرجة تسوّد وجهها بتبرجها ، وتفقد بهجة محاسنها الطبيعية ، وتدل به على صغر عقلها ، وتعرض نفسها للاحتقار ، هذا إذا كانت جميلة أما إذا كانت دميمة الخلقة لا محاسن فيها ، فأقل مايقال فيها إذا تبرجت :

* وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر *

وقال أحد الأدباء : زينة البنت الأدب لا بحلى وذهب

كل حلىّ ذاهب مثل تذهيب اللبب

ولنذكر فى هذا المقام فتوى حضرة صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر ، الصادرة فى مجلة الأزهر بالعدد ٤٤ الصادر فى ٢٥ ذى الحجة سنة ١٣٤٣ — الموافق ١٧ يونيو سنة ١٩٢٥ بشأن تبرج النساء والتمثيل ففيها عظة واعتبار لذوى العقول والأبصار وهى :

سأل سائل ماحكم الشرع الشريف فى المرأة المتبرجة والمتبهرجة ، وفى مسئولية أبيها وزوجها أو أخيها ، وفى المرأة المسلمة التى تظهر على مسارح التمثيل ؛ فنقول وبالله التوفيق والهداية إلى أقوم طريق .

الفتوى الشرعية

التبرج قد نهى الله عنه بقوله سبحانه وتعالى : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) الخطاب فى هذه الآية الشريفة موجه إلى نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكن الحكم عام ، ومعناه : هو المشى بتبختر وتكسر ، أو أن تُلْقِىَ المرأة خمارها على رأسها ولا تشده فيوارى قلائدها وقرطها وعنقها ، ويبدو كل ذلك منها ، أو أن تبدى محاسنها من وجهها وجسدها ، أو أن تظهر من محاسنها ما تستدعى به شهوة الرجال من النظر إليها ، فما يشاهد الآن من كشف المرأة عن ساقيها وذراعيها وصدرها ووجهها وما تتكلفه من زينة تكشف عنها ، وما تفعله فى غدوّها ورواحها من تبختر فى مشيتها ، وتكسر فى قولها ، وتخلع يستلفت الأنظار ، ويقوى ميل الأشرار ، تبرُّجٌ منهى عنه بالإجماع ، لاتقره الشريعة الإسلامية ، ولا يتفق مع الفقه والآداب ، لما يؤدى إليه من إثارة الشهوات ، وتلويث النفوس وإفساد الأخلاق ، وإطماع ذوى النفوس المريضة .

وكثيراً ماجرّ ذلك إلى شر الجنايات على الشرف والعفة والاستقامة حتى اشتد الكرب وعمّ الخطب ، وأصبحت البلاد ترزح تحت آثاره الضارة ، ونتائجه السيئة ، ولا حول ولاقوة إلا بالله .

وقد أدب الله تعالى النساء بقوله : (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) . وسبق الكلام على هذه الآيات .

أما اشتغال المرأة بمهنة التمثيل فأولى بالحرمة من التبرج ، لأن التمثيل تبرُّج وتهتك ، بل حضور النساء مسارح التمثيل والرقص والحفلات التى من شأنها أن يختلط فيها الرجال بالنساء ، وهذا تحرمه الشريعة الغراء سدًّا للذريعة .

وحيث كان الأمر ماذكر ، فالواجب على زوج المرأة وأولياء أمرها منعها من ذلك ، ويجب أيضاً على كل مسلم قدر على هذا ؛ وقد آن للناس أن يتداركوا أمر الأخلاق ، فقد أوشك صرحها أن ينهار ، وأن يقوّموا ما اعوجّ ، ويجددوا مادرس من قبل أن تصبح أثراً بعد عين ، والله ولى التوفيق .

حول التبرج والزينة

لقد سرت عدوى التبرج بين النساء فى هذا العصر فى مصر ، وتفشت تفشياً مخزياً محزناً ، وأصبحنا (ويالالأسف) أمام حالة مؤسفة لاندرى مغبتها ، ولا ندرى أى طريق تسوقنا إليه ؟ ففى الطرقات والمحالّ التجارية والمتنزهات والمحافل والأندية والمسارح نرى من ضروب التبرج والزينة مايحمرّ له وجه الحياء خجلاً ، ويملأ القلب حسرةً وأسفاً وندماً على ضياع شرف أمة عريقة فى المجـد ، تمتهن كرامتها إلى هذا الحد الذى لايطاق ، وتحارب فيه الفضيلة ، وتتدهور الأخلاق ؟ ولهذا أصبحت المرأة والرجل دائماً فى شقاق ، وعلى غير وفاق .

نعم ، لقد تناست السيدات والفتيات المتبرجات كل معنى للحياء والوقار ، وغضضن النظر عن الشرف والـكرامة ، والعفة والأمانة ، وذهبن فى تبرجهن كل مذهب ، بغير حسيب ولا رقيب من أنفسهن ولامن أزواجهن ولامن أولياء أمورهن .

فالويل كل الويل لأمة تصل فيها الحالة الخلقية إلى مثل هذا التدهور والانحطاط ، فبشرها بالخراب والدمار وسوء الحال . ولاشك أننا أصبحنا أمام داء عضال فتّاك كاد يستعصى علينا علاجه ، ثم لانلبث أن نقع فى ورطة لاتفجو البلاد والعباد من آثارها السيئة والعياذ بالله .

ومن العجب العاجب أننا نقرأ كل يوم على صفحات الجرائد والمجلات تذمر بعض النساء والفتيات من تعرض الشبان لهن فى الطرقات ، والاستغاثة أحياناً ببوليس الآداب لحمايتهن وإنقاذهن من شرورهم ، ولو أنصفت هذه الفئة من الصاخبات المستغيثات لرحمن أنفسهن بعدم التبرج والخروج فى أزيائهن الفتانة الخارجة عن الحد المألوف حد الحشمة والوقار

نعم ، إن تعرض أهل القحة من الشبان والرجال لهن جريمة لاتغتفر ، فيجب محاربتها ومنعهم عن هذا الخزى الشائن والتحدى المذموم ؛ ولـكن اللّوم كل اللوم واقع على رؤوس المتبرجات من النساء والفتيات اللاتى يظهرن فى الطرقات وغيرها بمناسبة وغـير مناسبة ، بداع أو بغير داع ، اللّهم إلا للتعرض لأنظار هؤلاء الفساق ، الذين لادين لهم ولا خلاق ، ولايردعهم عن ذلك غير رجوع السيدات والفتيات إلى الحشمة والوقار والحياء ، والتزام طريق الاعتدال والـكمال فى سيرهن ، وفى أمورهن ، بعد أن تبين لهن أن التبرج والزينة عادة ممقوتة وليست محمودة العاقبة ، بل هى السبب الوحيد فى جلب الضرر إليهن والإساءة لهن ، وهذا مادفعنى للبحث فى هذا الموضوع الخطير وكتابة عدة مقالات نشرت بالجرائد والمجلات للعظة والاعتبار ، والله الموفق بما فيه رضاه .

على فـكرى

الأمين الأول لدار الـكتب سابقاً

حول تبرج المرأة أيضاً

قال الأستاذ محمد فريد وجدى بك الـكاتب الاجتماعى والفيلسوف العظيم فى دائرة معارف القرن العشرين من تأليفه: تبرج المرأة حرام فى الإسلام لقوله تعالى: (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) ثم هو فى ذاته عيب يقدح فى حمية الرجال ويطعن فى غيرتهم ؛ والأمم إذا فقدت غيرتها على حريمها ، فقد فقدت أكرم خصال الحياة وأخص صفات الآداب الحافظة لـكيان الاجتماع .

عمّ حب الزينة الرجال والنساء ، فصار الرجل يعنى بملابسه ووجهه أكثر مما يعنى بصحته وسلامة روحه باذلاً فى هـذا السبيل ما لا غنى له عنه فى تقويم نفسه ومجتمعه ، وجرت النساء على هذه الخطة ذاتها .

والجميع إنما يتكلف الظهور بهذه المظاهر خارج البيوت لاداخلها ، وكلنا نعلم أن الغرض من هذا التكلف استعداد كل من الجنسين للمنازلة فى ميدان الأهواء السافلة ، وما الرجال إلا أهلنا وأصحابنا ، ولا النساء إلا قريباتنا وإخواننا ؛ ولـكنا رغماً عن هـذا العلم الثابت ،

والحق المقرر نسمح به ولا نجد فى آدابنا حرجاً منه ، وإن كانت ضمائرنا تتألم له شعوراً بإثمه وإحساساً بفداحة جرمه .

يحاول أنصار هذه المدنية أن يستروا هذه المخازى تحت اسم « الحرية الشخصية وحقوق المرأة » يقولون : أليس لكل فرد فى الهيئة الاجتماعية الحق فى أن يلبس مايشاء ويتكلف من صنوف الزينة ما أراد ؟ فبأى سلطان تحرِّم علينا التزين وقد نص الكتاب على القدح فيمن حرمها فقال تعالى : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ) . الأعراف ٣٢

إننا لانجادل فى الحق الذى لكل فرد أن يلبس مايشاء وأن يتكلف ما أراد ، ولكننا ننعى على أهل هذه المدنية تمالؤهم على البهتان ، وتجارؤهم على الزعم بأن هذه الأحوال الهوائية من الكمالات الإنسانية ، ننعى عليهم تواطؤهم على إعطاء الزينة ، وتظاهرهم على قدح أنف الحمية .

لماذا يكون من احترام الحرية الشخصية أن نسمح للرجال والنساء أن يتجاذبن الأهواء من خلال هذه الأستار، ولا يكون من الحرية الشخصية أن نأذن لهم بالمشى عراة الأجساد؟

نحن لانحارب مبدأ الحرية الشخصية وإنما نحارب مبدأ التمويه والتدليس ، نحارب الرياء الكاذب ، والتظاهر الباطل ، نحارب أصحاب الأهواء الذين حدّوا حدود الآداب على قدر مايسمح لهم بانتهاك الأعراض لاعلى قدر مايحميها من عدوان العادين وغارات المغيرين.

إن مبادئ هذه المدنية من هذه الوجهة لاتستمد وجودها من أصل الحرية الشخصية المقدس ، بل من أصل الإباحة الحيوانية الصرفة فنريد أن تكون الآداب بحيث تحمى الأعراض من الانتهاك وتنقذ النفوس من العناء .

يقولون حقوق المرأة ، نعم إن حقوق المرأة يجب أن تصان عن الهضم ، ولكن هل يعنون بحقوقها أن تخوض فى حمأة الأهواء وتتلطخ بأقذار الشهوات ؟!.

إن تبرج النساء الذى دفعهن فيه الرجال اتباعاً لأهوائهم ، ومرضاةً لشهواتهم قد عرف سوء أثره عند أبناء المدنية أنفسهم ، فقد جاء فى دائرة معارف القرن العشرين مانصه :

إنا لسنا أول من لاحظ هذا الأثر السيئ الذى يحدثه حب النساء للزينة يوماً فيوماً على

أخلاقنا ؛ فإن أشهر كتابنا لم يهملوا الاشتغال بهذا الموضوع الكبير ، وكثير من أقاصيصنا التى قوبلت بالاستحسان العام قد وصفت بطريقة مؤثرة الخرابَ الذى يجرّ على العائلات الشغف الجنونى بالتزين والتبرج فكمنت النجاة من هذا الداء الذى يقوّض مدنيتنا الحالية ويهددها بسقوط سريع جدًّا ، وإن شئت فقل بانحطاط لادواء له .

هذا هو أثر تبرج النساء وتلاقى هذه المدنية جزاءها العادل من إباحته إن لم تتداركه بحكمة وروية ، وقد لاقت جزاءها العادل ودمّر الله بلادها تدميراً فى الحرب الحاضرة ، كما اعترف « بيتان » فى إحدى خطبه إلى أن قال :

اللّهم إن كانت المدنية العصرية ستقضى على المرأة المسلمة بأن تخرج من خدرها بعد أن تستهتر فى تبرجها (فاللّهم حوالينا ولا علينا) .

أما نحن فلا نعنى بحقوق المرأة إلا حفظ عرضها موفوراً ، وإيتائها كل وسائل السعادة البيتية والاعتراف لها بالسلطة المطلقة فى مملكتها المنزلية ووضعها من أفئدتنا فى المكانة التى لها بالفطرة ، أما ماعدا هذا من إغرائها على التبرج فى الطرقات والرقص فى السهرات ، ومزاولة الأعمال فى الفابريكات (المصانع) والاختلاط بالرجال فى المعاملات فتعد من مدنسات شرفها ومن مسقطات كرامتها ، وبين أيدينا العلم والعقل ، والله يهدى من يشاء إلى سواء الصراط .

هذا خلاصة ما قاله الأستاذ فريد وجدى بك ، فهل بعد ذلك يسمح المرأة تحت ستار الحرية الشخصية أن تخرج إلى الشوارع والطرقات والمتاجر والمتنزهات، والصالات والمراقص متبرجةً عاريةً إلا من ثوب الحياء ، وسيأتى الكلام على الصور العارية .

نسألك اللّهم أن تحمى نساءنا من الوقوع فى هذه الرذائل ، وأن تهدى رجالنا إلى اتباع الحق والفضيلة ، وأن تهدينا بفضلك إلى سواء السبيل .

على فكرى

لمن تتجمل المرأة ؟

بقلم الصحفية الفرنسية (شارلوت تيرى)

لاشك فى أن الرجل يستعذب صورة المرأة الجميلة ؛ ولكنه يحب متى كانت هذه المرأة زوجته أن يكون جمالها لرجلها لا لكل غريب ، والواقع أن معظم النساء المصريات يسرفن فى التبرج إسرافاً يشعر الزوج أنهنّ لا يتجملن من أجله ، بل من أجل كل من تقع عيونهنّ عليه .

والحقيقة أن المرأة المتزوجة متى أسرفت فى التجمل فذلك لأغراض ثلاثة :

الأول : أن تتفوق على أترابها من النساء وتزهو عليهن وتكيد لهنّ .

والثانى : أن تصادف حظوةً لدى الشبان والرجال الذين ينظرون إليها .

والثالث الأخير : لن تكون محبوبة من زوجها حتى تحتفظ على الدوام بحبه لها .

فالمرأة المتزوجة تريد والحالة هذه أن تفوز بكل شىء : إعجاب النساء وإعجاب الرجال وإعجاب الزوج ، ولكن هل فى وسع أية امرأة أن تظفر بهذه الأغراض الثلاثة دون أن تحدث الشقاء لنفسها والشقاء لزوجها ؟ مما لايقبل الريب أن ظفرها بإعجاب صديقاتها وقد تصحبه نشوة تفقدها التوازن فتزداد رغبتها فى الظفر بإعجاب الرجال أيضاً ، وعندئذ يتحول ميلها لمرضاة زوجها إلى نوع من التبرم به ، والتعالى عليه لابد أن يفضى إلى شر الأخطار والمفاسد .

وهناك مسألة أخرى من الأهمية بمكان عظيم وهى : أن المرأة الكلفة بالتبرج الولوع بفنون الزينة هى امرأة تكره الاقتصاد ، وتحب العطل والكسل ؛ وحياة النعومة والرخاوة والتواكل والهمود ، وهذه جميعها هى أبواب الرذيلة .

فمجرد التبرج لايخيف الرجل ؛ ولكن الذى يخيفه هو تلك العوامل الفاسدة الكامنة خلف التبرج والتى تغرى وتدفع إليه .

ولربّ سيدة من القارئات تعترض علىّ وتقول : ولكنى كيف أستطيع الاحتفاظ بحب زوجى لى إن أنا أهملت زينتى وتعطلت من كل حلية وجمال صناعى ؟.

وأنا أجيب على هذا الكلام بأن الجمال الحقيقى هو البساطة ، وأن البساطة المقرونة بالفضيلة أحب إلى الزوج العاقل من كل جمال صناعى مجلوب من الخارج ؛ ثم إنى لا أطلب إلى السيدات المتزوجات أن يهملن كل زينة ، ولكن أطلب إليهن أن يحذقن فن التجمل لأزواجهنّ فقط لا للأغراب ، عملاً بقوله تعالى : (وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ) إلى آخر الآية .

وليس من شك فى أن الزوج مدفوع بطبيعته ومركزه الزوجى إلى الارتياب فى كل جمال صناعى تسرف فيه زوجته وتنقطع له وتتهالك عليه .

ولذلك وجب على الزوجة أن تتوسط وتعتدل فتفهم أنها أخذت بمبدإ البساطة وذلك خير لها وأفضل فى إحكام روابط العطف والحب بينها و بين قرينها .

النهضة النسائية — العدد الحادى عشر — نوفمبر من السنة الثالثة عشرة

نصيحة أدبية للسيدات

التبرج والزينـــة

تقضى الشريعة الغراء ، ويأمر الواجب ، بأن تتجمل السيدة لزوجها لا لمن تريد أن يعجبوا بزينتها وزيها فى الطرق العمومية .

وكما أن الشريعة قضت بالتجمل قضت أيضاً بألا يتجاوز الانفاق فيه الحد الذى يؤثر على الضروريات و إلا كان بذاته حراماً .

ولقد تجاوزت المرأة المسلمة على العموم ، والمصرية على الخصوص ، حد الاعتدال ، وأخذت تجارى الغربية فى مضمار الأزياء الحديثة أى (المودة) فلا همّ لها إلا اقتناء أدوات الزينة التى تجعل التكلف ظاهراً فى جمالها ، ويا ليتها تكتفى برضا الزوج عن هذا التكلف ، بل كثيراً ماتبالغ فيه حتى ينتهى الأمر إلى هلاك الأسرة بوقوع الخراب بينها و بينه لعجزه عن أداء النفقات اللازمة التى هى عين الإسراف المذموم .

ولتعلم السيدات العاقلات أن الجمال الذى يحل من قلب الرجل المحل الأسمى إنما هو الجمال الطبيعى الذى يزين حسنها ماتمتاز به المرأة عن الرجل فى اللباس والتجمل بالحلى ، وإلا كان الجمال الصناعى جمالاً عاديًا مزيفاً بل غشًّا واضحاً فاضحاً .

انظر آداب الفتاة ص ٥٣ و ٥٤ من تقويم المؤيد سنة ١٣١٨

التجمل بالأزياء (والمودات)

والمساحيق والأصباغ الضارة بصحة السيدات

أصبح ولله الحمد فى بلادنا كثير من السيدات الراقيات المثقفات يعرفن مضار الأصباغ والمساحيق الكيمائية والأزياء (والمودات) المبتذلة ، وضررها ليس فقط من الوجهة الصحية فحسب ، بل من الوجهة الأدبية ، ولذا فقد نبذن ذلك حتى أصبحنا الآن نعرف السيدة المهذبة بكمال زيها ، وتجملها الطبيعى ، ونشاط مشيتها ، واعتدال حركاتها .

على أن أجمل مظهر تبدو فيه السيدة هو مايدل على كمال صحتها وتمام عافيتها وقوة عضلاتها واعتدال قوامها ؛ وأما الهزيلة الباهتة اللون المصابة بفقر الدم فهذه مهما بالغت فى ستر هذه المظاهر بالألوان والأصباغ والمساحيق العديدة فلن يتأتى لها ذلك ، وخير لها استشارة الأطباء عوضاً عن سكوتها على فتك الأمراض بجسمها .

ولا حاجة بى لأن أؤكد لحضرات السيدات أن تلك الأصباغ فضلاً عن أنها لاتداوى أىّ عيب مرضى ، أو تشويه بالخلقة فإنها تزيد التشويه وتظهر العيوب بجلاء ، إذ تتصور أن سيدة مّا كانت شفتاها منضمتين أفلا يزيد صبغهما (بالأحمر) شناعةً منظرها ؟ أو سيدة كانت بارزة الخدين أفلا يزيد الأحمر بهما ظهور البروز عن ذى قبل ؟ أو إذا كانت الجفون متورمة ، ألا يزيدها الكحل وضوحًا فى الورم * ليس التكحل فى العينين كالكحل * كما قال الشاعر ، أو كانت أخرى محدودبة الظهر أفلايزيد الكورسيات منظرها احديداباً؟.

على أنى لا أريد بذكر هذه الأمثلة أن أيئس أى سيدة كان عندها أىّ تشويه طفيف بإمكان علاجها بالطرق المعقولة ، إلا أننى أريد فقط أن أظهر أن علاج التشويه أو اصفرار

الوجه أو تغير لون الشفتين أو رمد العينين بهذه الوسائط التى ذكرناها لايزيد النظر غير شناعةً و بشاعةً ، هذا فضلاً عن مضارّها الصحية العديدة .

المضارّ الناتجة عن التجمل الصناعى هى المتسببة عن المساحيق والأصباغ والألوان المستعملة للوجه :

إن أول أضرار هذه الموادّ المستعملة فى طلاء الوجه هى : سد مسام البشرة التى ينتج عنها منع إفراز الغدد الجلدية فتضعف بذلك قوة الجلد الحيوية وتمتنع وظيفة المسامّ الفسيولوجية ، وكثيراً ماينشأ من ذلك بثور وحبيبات وضمور البشرة السطحية ، فيؤدى هذا الضمور إلى تجعد الجلد قبل أوانه . كذلك هذا الطلاء يمنع تأكسد الجلد من أوكسيجين الهواء ، ويحجب عن البشرة الحقيقية فوائد أشعة الضوء ، خصوصاً أشعة العرق البنفسجية فتكون نتيجة كل ذلك أن تفقد بشرة الوجه لونها الطبيعى وتصبغ بلون أزرق أو سنجابى كما يشاهد كثيراً فى السيدات المستعملات لهذه المساحيق باستمرار و بكثرة .

وكذلك يفقد الجلد لمعته الطبيعية ، وتضمر الأوعية الشعرية التى تحت سطح البشرة مباشرةً فتفقد الحمرة الطبيعية واللمعة الشفافة التى تشاهد فى الوجوه النضرة الصبيحة التى لم تلامسها تلك المساحيق والصبغات .

تلك بإجمال هى مضارّ المساحيق والصبغات والألوان المستعملة فى تزييف الوجوه بفكرة أن هذه الموادّ خالية من كل العناصر السامة التى يجوز امتصاصها من الجلد إلى دورة الدم .

على أن صانع هذه المساحيق والأصباغ لايهمه فى انتقاء هذه المواد حسن تلوينها للجلد وملاصقتها له غير ناظرين من الوجهة الصحية إلى أضرار هذه المواد طالما هو يجنى من أرباحه ، لذا يعمد إلى صنعها من أى صنف كان ما دام يأتى بالغرض المقصود فيستعمل (أوكسيد الزنك وكربونات الرصاص والكائولين والتالك وأصباغ الكرمين العديدة) .

وغير خاف أن امتصاص مثل هذه المركبات ينفذ من الجلد ومسامّه الدقيقة إلى الأوعية الشعرية ، ثم إلى الدورة الدموية ، ويكون تأثيرها السامّ حسب ائتلاف تركيبها ، وحسب المداومة على امتصاصها ؛ وإن ضررها ليس فقط على الجلد كما ذكرنا ، بل أيضاً على عموم الجسم .

من ذلك أن سيدة كانت دائماً تشكو من تلوين بولها بلون برتقالى أحمر غامق ، وقد حللته فى معامل عديدة لمعرفة السبب ، ولكن بغير جدوى .

واتضح أخيراً أن السبب كان لداعٍ وهو صبغ شفتيها (بالكارمين) و بلع هذه المادة مع اللعاب فتفرزه الكلى ، و بالتالى يظهر بالبول ، وقد عاد البول للونه الطبيعى بعد الامتناع عن استعمال صبغ شفتيها .

ومن يدرينا لعل البحث العلمى والإحصاء الصحى يدلنا فى المستقبل على أن نسبة الإصابة بالزلال والالتهابات الكلوية وكثرة الإجهاض ، وتشنجات الحمل هى أكثر فى السيدات المستعملات لهذه السموم ؟

أما (الكورسيت) مشد الصدر : ونحمد الله على قلة استعماله الآن عن ذى قبل ، سواء هنا أو بأور بافإن أضراره الصحية لاتقل عن أضرار استعمال المساحيق والأصباغ التى ذكرناها فإن أول أضراره هى وقوف نموّ عظام الصدر و بعض فقرات العمود الفقرى ، فينشأ عن ذلك ضيق فى تجويف الصدر واختلاف فى المواضع الطبيعية لبعض الأعضاء ؛ ولا يخفى ماينتج عن ذلك من إعاقة وظائف هذه الأعضاء .

وقد جاء بعدد ٢٣ مايو سنة ١٩٢٥ من المجلة البريطانية الطبية بحث الدكتور (باركس) وترجمته مجلة الشرق الطبية فى عدد يونيه سنة ١٩٢٥ تحت عنوان : (مرضان متسببان عن (مودة) اللبس أنيميا الخلوروز ، واحمرار قشرة الساقين ، حيث جاء بهذا المقال أن سبب أنيميا الخلوروز هو لبس الكورسيت ، وأول من اكتشف هذا السبب هو الدكتور (يوسنى) عام ١٨٩٥ ، ثم أيده أخيراً فى جنيف الدكتور (بيكل) وفى ألمانيا الدكتور (دنك) وهؤلاء أيدوا نظرياتهم بإحصاءات دقيقة وخبرة علمية ، لاحاجة هنا لذكرها بتمامها خشية التطويل بغير داع إلى ذلك ، فقد نقول : إن مرض الخلوروز هو نوع من فقر الدم يظهر فى البنات قبل سن البلوغ ، فيشاهد عندهن زرقة واصفرار بالوجه ، وتغيير فى شكلهن ، وعدد كريات الدم الحمراء ، وهزال وضعف ، وفقد شهية ، إلى غير ذلك من أعراض فقر الدم .

ثم جاء فى نفس المقال أن سبب الاحمرار أو (ارثيما) الساقين المزمنة فى بعض السيدات هو لبس الجوارب الشفافة الرقيقة التى يتسبب عنها تعرض الساقين للبرد ، وبذلك تتغير الحالة الطبيعية لدورة الدم الشعرية والأنسجة التى تحت بشرة الساقين ولذا يحدث المرض .

أما الأحذية ذات الكعب العالى الضيقة فهى أيضاً غير صحية ، لأن ثقل الجسم كله يكون حمله على مشط القدم ، وبذا نشاهد أن المشية تتغير طبيعتها ، وثقل الجسم لا يرمى على عقب القدم ، ولا يكون فى خط عمودى مع سائر الجسم ، ولذا يكون حمل الجسم مضاعفاً ، ومجهود المشى يصبح شاقاً ، تتجلى هذه الحالة بمشاهدة سيدة بدينة تلبس حذاء ذا كعب عالٍ ، فيلاحظ إذن أن جسمها يترهل يميناً وشمالاً فى حالة أقرب للعرج ، ومثل هذه يكون أول ماتصنعه عند ماتصل إلى بيتها هو خلع حذائها اللعين ، وأول ماتشعر بتعب ففى ساقيها ، وقد شاهدنا كثيرات من السيدات يأخذن معهن أحذية بغير كعب (شباشب أوصنادل) حينما يعمدن إلى قطع مسافات بعيدة .

و بالإجمال فأحذية السيدات الحديثة ضارة بالصحة لأنها تعصر الأقدام وتغير شكلها الطبيعى ، وتضاعف مجهود المشى ، وتسبب ارتخاء البطن ، وتغير قوام الجسم .

هذا ماعنّ لى كتابته الآن فى مجلة النهضة النسائية الزاهرة لأول مرة ؛ وأرجو أن تسنح لى فرصة أخرى أكتب فيها شيئاً عن العلاج الحقيقى لبعض تشويهات الخلقة ، والطرق الصحية للتجمل ، لتظهر السيدة فى أحسن شكل وأكمل مظهر .

الدكتور حسن كامل

النهضة النسائية ، العدد ٥٠ من السنة الخامسة

فبراير سنة ١٩٢٧

نصيحة صحية

ذكرنا فى كتابنا : [آداب الفتاة] المطبوع فى سنة ١٩٠٠ مايأتى :

لايجب استعمال المساحيق (البودرا) وغيرها ، والمراهم ، والموادّ المحسنة للوجه ، فليس فيها فائدة حقيقية ، بل بالعكس تسبب خشونة الوجه وتشوهه ، فيكفى غسل الوجه مرةً

أومرتين فى النهار بالماء البارد المرشح مع استعمال صابون الجليسرين أو زيت اللوز ، وكذا يحسن استعمال النشا ومركب (جالينوس) المركب من الزيت والليمون ، واستعمال ماء (الكولونيا) مخلوطاً بالماء للاستحمام ، لأنه يقوى الجلد و ينبه وظيفته ، ولا بأس من استعمال الكحل الأزرق العادى لأنه نافع للعينين .

أما استعمال المساحيق والدهانات (الأصباغ) فمضرّ لأنها تدخل فى مسام الجلد وتلتصق به ، وعند ما تسقط تترك مكانها ثقوباً صغيرة فى الجلد تشوّه الوجه ، وتذهب بحسنه ، و إذا دخل فيها غبار أصبحت سوداء قبيحة .

فلتجتنب الفتيات العاقلات استعمال هذه المواد .

و يجب على الفتاة استعمال الملابس المتسعة ، والاحتراس من الملابس الضيقة خصوصاً «مشد الصدر (والكورسيه)» المستعمل عند كثير من النساء الشرقيات ، و يعتبرنه كمحسن للقدّ ، مع أنه يغير شكل الصدر و يضغط الأحشاء ، فتنشأ عنه أمراض خطرة ، وهى التى أشار إليها الدكتور حسن كامل فى مقاله السابق .

أما الأحذية ذات الكعب العالى فلم تكن مستعملة فى العهد الماضى ، بل هى من (المودة) الحديثة ، و يكفى فى إثبات ضررها ماذكره الدكتور فى مقاله ، وسيأتى الكلام على ملابس النساء وأزيائهن .

ثالثاً : ملابس النساء وأزيائهن

من تأمل بعين البصيرة إلى ملابس النساء وأزيائهن فى هذا العصر فى مصر لوجد أنها خرجت عن الحد المألوف ، وأن المرأة خرجت بالثوب الخفيف المكشوف ، وأصبحت فى هذه الحالة المخجلة خارجة على الفضيلة والشرع المنيف المعروف ، وصار السكوت عليها خيانةً لشرفنا وآدابنا وتقاليدنا وعاداتنا التى كان يضرب بها المثل الأعلى بين الشعوب والأمم الراقية ، من كان يصدق أن ملابس نسائنا الظاهرة التى كانت موضع اعتبار واحترام بين الشرقيين عامةً والأوربيين خاصةً تصير قذًى فى عين العفة والصيانة ، ودملاً ينضح صديداً فى قلب الفضيلة والإنسانية ؟ وعاراً وشناراً على الأمة المصرية العريقة فى المجد والشرف ؟

من كان يصدق أنه بمثل هذه الملابس ـ ملابس الخلاعة والزينة ـ يكثر الفحش ، ويزيد الفجور؟ ولو قارنا بين ملابس النساء الأفرنجيات وملابس المصريات اللاتى يزعمن أنهن يقلدن الأفرنجيات فى ملابسهن لوجدنا فرقاً هائلاً وبوناً شاسعاً بين اللباسين .

انظر إلى السيدات الأفرنجيات تر أنه يحوم فوق ملابسهن الوقار والجلال ، ويخيم على رءوسهن الحشمة والكمال ، أجسامهن مستورة لاعارية ، ووجوههن عليها غطاء رقيق من النسيج (الفللو) وأيديهن مغطاة بالكفوف (الجوانتيات) ويسرن فى طريقهن معتدلات القامة ، فلايتحركن ذات اليمين أوذات الشمال ، ولايلتفتن لمن بجوارهن أوخلفهن من الرجال ، بل يغضضن من أبصارهن ، ولاينظرن إلا من طرف خفى .

أما نساؤنا فمع الأسف الشديد لايميزن بين ملابس الحشمة والكمال ، وبين ملابس الخلاعة والدلال ، ويمشين فى طريقهن معوجات متسكعات ، يملن مع الهواء حيث مال ، ويجذبن إليهن الشبان والرجال بالإغراء والتفنن فى الجمال .

ولو سأل سائل كيف العمل الآن فى هذه الحالة المضطربة ، وهذه الفوضى المتناهية فى ملابس النساء وأزيائهن وعدم تحجبهن ؟ وهل فى الإمكان الرجوع بهن إلى ما كان ؟

فالجواب على هذا السؤال وإن كان صعباً فى ظاهره ، ولكنه فى الحقيقة سهل المنال ، نعم هو صعب ومشكل ، لأن التغيير والتبديل فى العادات حتى البسيط فيها يظهر للكثير منا أنه محال وصعب الانتقال حتى ولو كانت العادات المطلوب تغييرها فى مصلحتنا ورفعة شئوننا ؛ وبرهانهم على ذلك أن العادة متى رسخت وتأسست لايمكن تغييرها بسهولة وفى زمن قصير ، خصوصاً إذا كان السواد الأعظم من الأمة جاهلاً ومتعنتاً .

على أن برهانهم هذا ساقط من نفسه ، بدليل أن المرأة التى خرجت من قيود الحجاب ودخلت فى حرية السفور ، وخلعت ملابس الحشمة والكمال ، ولبست لباس الخلاعة والدلال ، وانتقلت من حال إلى حال ، بمجرد أن ألقيت عليها أفكار سحرية ، وآراء شيطانية ، آمنت بها ونشرت فى الكتب والصحف والمجلات ، فلا يصعب على الفتاة أن تخرج ثانية من قيود السفور الساحر ، وتخلع ملابس الخلاعة والابتذال ، وتعود إلى الحجاب

ولبس ملابس الحشمة والكمال بفضل هداية المرشدين ، ووعظ العلماء الصالحين المتقين ، وتقليد نساء الأمم الشرقية الراقية (كنساء الآستانة مثلاً) ونساء الأمم الغربية المحتشمة ، وما ذلك عليها بعزيز ، لأنها قادرة على التقليد والمخترعات ، والله قادر على أن ينقلها من هذا الحال إلى أحسن حال . و بعضهم يقول : إن الملابس والأزياء بأنواعها وأشكالها لاسلطان للأديان عليها ، ولا هى تابعة لدين من الأديان ، وكلها من مخترعات الإنسان (والأصح أنها من مخترعات النساء) .

و بما أنه ظاهر للعيان أن أزياء النساء الحالية داعية للانتقاد ، لأنها جالبة للفساد ، وخادشة للشرف والناموس ، و بما أنه من الواجب عدم السكوت وعدم ترك هذه الحالة حفظاً لحياتنا الأدبية وعاداتنا القومية .

لذلك وجب التفكير بإمعان وروية فيما يلزم عمله للتخلص من هذه الحالة المزرية ، وللوصول إلى نتيجة مرضية شريفة ، تطمئن لها النفوس ، وترتاح لها الضمائر .

وأظن أن الطريقة الحسنة التى تؤدى إلى النتيجة المطلوبة هى : أن بناتنا اللواتى يتعلمن الآن فى المدارس و يلبسن الملابس المحتشمة فى ذهابهن ورجوعهن يحافظن عليها ، ولا يخلفنها أو يستبدلنها بغيرها بعد إتمام دروسهن ، أو عند انقطاعهن عن الدراسة ، كما يفعلن الآن ، ولا حرج ولا لوم عليهن فى ذلك . اللهم إلا إذا استبدلنها بغيرها مما تناسب حالة المنزل فى الداخل ؛ ولقد شاهدنا وشاهد كل إنسان حر ، أبىّ النفس ، نقىّ الضمير أنها ملابس تليق بأهل الحشمة والكمال والأدب الصحيح ، لأن أكمامها طويلة إلى المعصم ، ومغطاة على الصدر والرقبة ، وهى ليست بالقصيرة ، بل هى مدلاة إلى ماتحت الساقين مغطاة لهما ، و بقية أجزائها تدل على الاحتشام والاحترام .

و يجب أن يحافظن عليها مدة الدراسة و بعدها ، لأنها فى مجموع شكلها تدل على الاستقامة ، وترد فى الغالب النظر السيئ عنهن ، خلافاً لتلك الملابس التى يلبسنها الدالة على الرقة والخلاعة ، فإنها تزيد فى رغبة الناظرين فى الافتتان بهن ، وتتبع خطواتهن .

و باتباع هذه الطريقة و بعد زمن قليل نرى البنات سيدات كاملات ، وهن بهذه

الملابس المحتشمة التي يألفنها ويعتدن عليها ، وتختفي ملابس الخلاعة المنتقدة .

هذا من جهة البنات ـ أمهات المستقبل ـ أما من جهة السيدات الآن ، فالأليق بهنّ أن يقلدن نساء الآستانة التركيات في ملابسهنّ ، وقد أشارت المرحومة (باحثة البادية) كريمة المرحوم حفني ناصف بك إلى ذلك في كتابها . قالت رحمها الله :

أرى أن أوفق لباس للخارج هو تغطية الرأس بخمار ، وسدل رداء أشبه (بالبلطو) على الجسم إلى الكعب ، ويكون طويل الكمين إلى المعصمين ، وهذا اللباس يستعمل في الآستانة في الخلوات والمتنزهات ، هذا من جهة ؛ ومن جهة أخرى يمكن أن يقلدن نساء العراق أونساء الحجاز ، أوالنساء السوريات المحتشمات في ملابسهنّ ، أو يستعملن ملابس النساء في(أندونسيا) الوارد ذكرها في مجلة الشبان المسلمين ، الصادرة في ٣١ مارس سنة ١٩٤٤ وهي تنحصر فيما يأتي :

« كفى المرأة المسلمة (الأندوسية) أن تتبع تربية الزعيمة (رحمة البوسى) وبالأخص في أزيائها التي تحرص على الاعتدال والتوسط فيها كما جاء في القرآن الكريم (وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَاظَهَرَ مِنْهَا) فترونها ترتدي فستاناً طويلاً ذا كمّ يصل إلى الكعب ، ثم (نقاباً) مشبوكاً في رأسها ومسدولاً على كتفيها . هذا النقاب يختلف تمام الاختلاف عن الملاءة التي يلبسها بعض النساء المصريات ، حيث إن هذه الملاءة تجعل المرأة مدثرة بالاستمرار صيفاً وشتاءً .

والخلاصة : أن ملابس المرأة المسلمة (الأندونسية) تستر رأسها وذراعيها وأطرافها ولكنها لاتعرقلها عن المشي والعمل .

وكما : أن الأزياء المحتشمة كثيرة ، وفي حد الأدب والكمال ، وواجب الإنسانية والصيانة والعفة يلزمنا أن نختار منها مايليق بكرامة نسائنا المسلمات وشرف عنصرهن ، وأن نتغلب بما فينا من شهامة وغيرة ومضاء عزيمة على مكافحة الزيّ الحالي الممقوت وإبطاله بل وإعدامه من الوجود حفظاً لحياتنا الأدبية والاجتماعية بين الأمم .

وقال الشاعر الأديب (رمزى أفندى نظيم) فى وصف المرأة المتبرّجة ، ولبسها لابس الخلاعة :

إنّ فوضى الأزياء بين النساء ... جعلتهن ضحكةً للرائى
كل يوم تبدو بشكل جديد ... من خليع الأثواب والأزياء
أين زىُّ البلاد يا بنت مصر ؟ ... أين زى الأجداد والآباء
ما لتلك الزنود والصدر يبدو ... عارياً فى العواصف الهوجاء
ولكعب الحذاء قد طال حتى ... رُحتِ تمشين فيه كالعرجاء
اتق الله فى الحياء قليلاً ... أىّ شعب يسمو بغير حياء
قد جذبت العيون نحوكِ لكن ... باحتقار لما ترى وازدراء
لا تقولى فى مصر سفهاء ... ذلك الزى موجد السفهاء
فى وقار السفور ما هو خير ... من حجاب الخليعة الحمقاء
إن أخلاق مصر فى أنواء ... فانقذيها من هذه الأنواء
لا تكونى على بلادك حرباً ... ومُعيناً فى الشرّ للأعداء
واتركى خدعة الغرور بعيش ... طائش لا يليق بالأحياء
أنت آمالنا وأمّ بنينا ... فاستحى واحرصى على الأبناء
واحجبى الصدر والزند احتشاماً ... عن عيون الورى و برد الشتاء

فسألك اللهم أن توفق الرجال والنساء إلى مافيه صلاح الحال فى الحال والاستقبال ؟

على فكرى

(النهضة النسائية ، السنة الخامسة ، العدد ٤ ص ١٢٨)

حول أزياء النساء

قرأت فى جريدة الأهرام الصادرة فى ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٢ الاقتراح المقدم بقانون من حضرة محمد قرنى بك النائب المحترم بشأن الأزياء التى تلبسها السيدات المصريات فى الطرق والأماكن العامة والشواطئ، وما دار حوله من المناقشات الطويلة بمجلس النواب التى انتهت بتحويل الاقتراح إلى لجنة الشئون التشريعية لدرسه وتقديم التقرير اللازم عنه. وأرجو أن توفق هذه اللجنة للوصول إلى نتيجة مرضية حاسمة ترضى بها الأمة، وتخدم بها الدين، وتصون بها شرف النساء وكرامتهن، بل وشرف الأسر المصرية، وشرف الأمة جميعها.

وبقدر ارتياحى وسرورى لهذا الاقتراح، الذى قوبل من رجال الدين وعقلاء الأمة بالسرور والارتياح، كان أسفى ودهشتى من قول بعضهم: إنه يتعارض مع الحرية الشخصية المكفولة فى المادة الرابعة من الدستور، ولا يتمشى مع الروح الاجتماعية الحديثة، والاكتفاء بما ورد فى القانون العام من نصوص تكفل صيانة الآداب العامة! وإن تعجب فعجب قولهم هذا، وتحكّمهم إلى الدستور الذى هو من وضع البشر، ولا يتحكمون إلى دستور الدساتير وهو القرآن الكريم (تنزيل من رب العالمين وأحكم الحاكمين وسنة سيد المرسلين) وفاتهم أن الدستور يقرر (أن دين الدولة هو الإسلام) فالواجب العمل به واتباع دين الإسلام وأحكامه فى هذه المادة.

لهذا أخذتنى الغيرة الدينية، ودفعتنى الحمية الإسلامية لأن أكتب ماوصل إليه علمى بشأن ملابس النساء وخروجهن عن حد الحشمة والأدب والوقار فأقول:

قد أمر الله النساء بلبس الملابس التى تغطى أجسامهن، وتحفظهن من أنظار الفساق، فلا يتعرّضون لهن ولا يؤذونهن. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا). الأحزاب ٥٩

الجلابيب جمع جلباب : وهو ماتلبسه المرأة فوق الخمار ، والقميص يستر البدن كله ، ويسمى فى مصرنا (بالقطريحة وبالملاءة والبالطو) .

ومعنى الآية : قل يامحمد للمؤمنات يرخين على وجوههن الجلباب إلا عيونهن للإبصار يبصرن بها إذا خرجن لحاجة ليعرفن أنهن حرائر فلا يتعرّض لهن المنافقون الذين كانوا يتعرّضون للإماء ، فهذا حكم من الله تعالى بستر المرأة جميع بدنها ، وتعميم هذا الحكم على جميع النساء فى جميع الأوقات .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : « لما نزلت هذه الآية (يدنين عليهن من جلابيبهن) خرَج نِساء الأنصارِ كأنَّ عَلَى رُؤُوسِهِنَّ الْغِرْبَانَ مِنَ الأكسيةِ » . رواه أبو داود عن عائشة ، أى خرجت النساء ملفوفات بجلابيبهن طاعةً لأمر الله تعالى .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : « إنَّ أَسمَاءَ بِنْتَ أَبِى بَكْرٍ رَضِىَ اللهُ عنهما دَخَلَتْ عَلَى النبىِّ صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ رِقَاقٌ فَأَعْرَضَ عَنهَا وَقَالَ : يَا أَسْمَاءُ إِنَّ المَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتْ المَحِيضَ (أى سن البلوغ) لَمْ يَصْلُحْ لَهَا أَنْ يُرَى مِنْهَا إِلاَّ هٰذَا وَهٰذَا » وأشار إلى وجهه وكفيه : أى إذا كانت المرأة فى سن البلوغ لايصح أن يرى منها إلاَّ الوجه والكفين .

ففى هذه الآية الكريمة والحديث الشريف مايدل على أن المرأة يجب عليها ستر جميع بدنها لأنه عورة إلا الوجه والكفين فلا يجب سترهما ، ويجوز للأجنبى أن ينظرهما إذا أمنت الفتنة ، وهذا مذهب المالكية وقول الشافعية . وهناك قول آخر يحرّم النظر إليهما لأنه مظنة الفتنة ، وهو الراجح للاحتياط .

هذا وإن كانت حرارة الصيف تدعو النساء لاستعمال الملابس الخفيفة فلا تدعوهن لاستعمال ملابس الخلاعة والتبرج والزينة التى تظهر منها أجسامهن ؛ فقبيح بالمرأة العاقلة أن ترى عارية الذراعين ، مكشوفة الصدر والظهر والساقين ، إلى غير ذلك مما هو خارج عن حد الحشمة والأدب والوقار .

فلتحذر النساء من التشبه ببعض نساء الإفرنج اللواتى يكشفن صدورهن وأذرعهن

وأرجلهن ، فإن عوائدهن تسمح لهن بذلك ، ويجب عليهن الاتباع لأمر الدين وشريعة سيد المرسلين .

ومع هذا فلنقص عليكم بعض حوادث وقعت من النساء الأفرنجيات ، ومافعله رجال الدين المسيحى معهن بسبب أزيائهن :

١ — احتفل بتكليل عروسين فى إحدى الكنائس فأضيئت الشموع واستعد القسس والكهنة لاستقبال العروسين ، فلما وصل موكبهما تطاولت إليه الأعناق ولكن لم تبلغ العروس المكان المعين لصلاة الإكليل حتى رأى الكاهن أن ثوبها رقيق جدًّا يشف عما تحته ولم تتوفر فيه أسباب الحشمة والحياء ، فأمر بإطفاء الشموع والمصابيح الكهربائية وقال للعروس : عودى إلى بيتك واخلعى هذا الثوب الرقيق والبسى ثوباً لائقاً محتشماً وعودى إلى الإكليل ، فاضطرت إلى الإذعان والخضوع لأمره وأصلحت حالها وغيرت ثيابها ثم عادت إلى الكنيسة وعقد عليها ، وأصدر رئيس الأساقفة أمراً عُلِّق على مدخل الكنائس نهى فيه النساء اللاتى يلبسن ثياباً لاتطابق قواعد الحشمة والوقار ، وأمر الخدم بمنعهن من دخول الكنائس حتى لاتسرى العدوى منهن إلى غيرهن المحتشمات .

فلماذا أطفئوا الشموع والمصابيح الكهربائية ؟ ولماذا أمر الكاهن العروس بالعودة إلى منزلها لتغيير ثيابها ولتلبس ثوباً لائقاً ؟ ولماذا أمر رئيس الأساقفة بمنع دخول النساء غير المحتشمات إلى الكنيسة ؟

أليس للدين دخل فى ذلك ؟ أو ليس فى النهى عن هذا التبرج دفع للرذيلة ومقاومة للفتنة ؟

أمّا فى مصرنا فمن لنا بمن يطفئ شمس النهار، ومصابيح الليل حتى لاترى الأعين النساء المتبرجات المتهتكات ؟ ومن لنا بمن يأمرهن بالعودة إلى منازلهن لتغيير أزيائهن ، حتى إذا خرجن إلى قضاء حاجاتهن حافظن على الحياء والحشمة والوقار ؟.

٢ — رأت الملكة (مارى) عقيلة ملك الإنجليز التبذير والإسراف اللذين تمادت فيهما الفتيات الإنجليزيات فى شراء ملابس الخلاعة والبهرجة والزينة ، فأرادت أن تعلمهن الاقتصاد وأن تكون قدوة لهن فى ذلك ، فأصدرت أمرها بألا يدخل إلى بلاطها إلا

السيدات المحتشمات المعتدلات فى طلب الملبوسات ، ثم أصدرت أمراً آخر قالت فيه : إنها لاتأذن فى الدخول إلى بلاطها لسيدة ترتدى ثوباً ضيق الأطراف والحواشى يكشف فيه قسم كبير من أعلى الصدر والظهر حول العنق ، وتضع على رأسها قبعة كبيرة ، وأنها تستاء من كل سيدة لاتدل ملابسها على الحشمة والاقتصاد ، ثم إنها ظهرت بثوب بسيط جدًّا لتكون قدوةً للفتيات الإنجليزيات .

ثم حظرت الدخول إلى بلاطها على كل سيدة تدهن وجهها أو شفتيها أو تصبغ شعرها أو تزجج حاجبيها ، وصرحت أنها لا تريد أن ترى بقربها سيدةً تدخل بهذه الحالة ، وقد وافقها الملك على كل ماتقدم .

٣ — يحدثنا التاريخ بأن مطران (قادس بأسبانيا) أصدر أمراً حظر فيه دخول الكنيسة على النساء المتبرجات العاريات النحور المكشوفات الأذرع ، واللائى يكنّ لابسات فساتين قصيرة أو جوارب شفيفة (النهضة النسائية يوليو سنة ١٩٢٤) .

٤ — وأصدر المجلس المحلى لولاية (بلاتين بسويسرا) الأوامر الآتية نقلاً عن الأهرام الصادر فى ١٩٣٢/٥/٢٢ :

١) يجب على جميع الأهالى رجالاً ونساءً من الوطنيين والأجانب والسياح أن يرتدوا ملابس محتشمة ومطابقة للآداب فى أثناء سيرهم فى الشوارع .

٢) الملابس المحتشمة معناها أن تستر الصدر والساعدين والفخذين ستراً كاملاً .

٣) يجب ألا تكون فساتين السيدات أقصر من الركبتين .

٤) كل من تخالف هذه الأوامر يحكم عليها بغرامة تتفاوت بين ٥ فرنكات و ٢٠ فرنكاً ويضاعف هذا المبلغ كل مرة تجددت فيها المخالفة .

٥ — وقال الأستاذ جلال حسين النائب المحترم : إن هذا التشريع (أى التشريع المطلوب إصداره) ليس بدعة ، ففى البرتغال قانون صدر سنة ١٩٣٩ خاص بأزياء السيدات وهو أشد من قانون (قرنى بك) وفى فرنسا الدولة العظيمة رأى حاكمها العظيم أن من أسباب نكبتها النساء فقال : عودوا بالنساء إلى الدور ، وفى ألمانيا قوانين صارمة .

فانظروا ـ رحمكم الله ـ إلى مافعله رجال الدين المسيحى فى مقاومة التبرج والتفنن فى الأزياء فى بلاد تمتعت بالحرية الشخصية (التى يقول بعضهم : إنها مكفولة فى المادة الرابعة من الدستور) وكيف أن رجال الكنيسة هم من أقوى العوامل فى المحافظة على الحشمة والآداب ؟ وكيف أن الديانة الإسلامية والنصرانية متفقتان على النهى عن التبرج والزينة ولبس الملابس القصيرة الشفيفة كبحاً للرذيلة ومقاومة للفتنة ، وصيانةً للأعراض والآداب .

وأذكر حادثة حصلت فى عهد المرحوم الشيخ حسونه النواوى حينما كان مفتياً لعموم الديار المصرية وشيخاً للأزهر الشريف أنه استصدر أمراً من الحكومة بمنع خروج النساء المتبرجات ، وضبط كل امرأة متبرجة وحبسها وتغريم زوجها أو ولىّ أمرها ، وقد قام بتنفيذ هذا الأمر المرحوم محمد ماهر باشا محافظ العاصمة فلم تخرج امرأة متبرجة من بيتها ، وكان لهذا الأمر تأثيره الحسن فى نفوس كثير من السيدات ، وكان أكبر رادع وزاجر للنساء المستهترات ، وحقًّا ماقيل : إن الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن ...

وختامًا نرجو من حضرات علماء الدين القيام بحركة فى هذا السبيل تدل على غَيرتهم على الشريعة ومحافظتهم على الآداب الإسلامية .

ونرجو أن توفق لجنة الشئون التشريعية بمجلس النواب لسنّ لائحة تقضى على هذه البدع وتحفظ البلاد من هذا الفساد .

ولتعلم الفتيات والسيدات بأن الجمال الذى يحل من قلب الرجل المحل الأسمى إنما هو الجمال الطبيعى الذى يزيده حسناً نبالةُ الأخلاق وطهارة القلوب ؛ وأما الجمال الصناعى المزيف فجمال كاذب وغش زائل لايخفى على عقلاء الرجال وما أصدق قول الشاعر :

ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمال العلم والأدب

نسأل الله صلاح الحال و إصلاح النساء والرجال فى الحال والاستقبال إنه سميع مجيب .

على فكرى

النساء العاريات وتصويرهن !

من الفضائح المخزية المنتشرة فى مصر فى هذا العصر أن بعض الجرائد والمجلات الخليعة الساقطة تنشر من وقت لآخر صور النساء وهنّ عاريات الصدور والظهور والأطراف ، و بعضهن لابسات فقط مايسمونه (بالميو) وهو لباس رقيق يغطى العورة الكبرى ، و بهذا الزى المخجل يجلسن على شواطئ البحار فى الإسكندرية ورأس البر وغيرها للاستحمام والسباحة ، والكثير منهن يجالسن الشبان والرجال بزيهن العارى المشين ، و يستمتعن بهم و يداعبنهم بلا خجل ولا حياء ، فيا للفضيحة ويا للعار !

ثم تأتى بعد ذلك بعض الصحف والمجلات الهزلية (نظير دراهم معدودات) تنشر صور تلك النساء الخليعات وتعرضها لأنظار الفساق والعشاق ، ولم تكتف بذلك بل تنشر أيضا أسماءهن وأسماء أزواجهن ، أفلم يكن فى نشر هذه الصور دعاية مخزية فاضحة للنساء وتحريض للشبان على الفسق والفجور ؟.

و يسرنا أن نذكر هنا أن لجنة حماية الآداب بوزارة الشئون الاجتماعية رأت أخيراً وجوب استصدار أمر عسكرى ، وسن تشريع بمنع نشر الصور العارية أو الخليعة فى أية مناسبة سواء كانت على الشواطئ أم فى مكان آخر ، وألا يرخص إلا بنشر الصور التى تتسم بطابع الاحتشام كما جاء بالعدد الصادر فى غرة شعبان سنة ١٣٦١ ـ ١٣ / ٨ / ١٩٤٢ من جريدة الأهرام .

و ياليتها تستصدر أمراً بمنع نشر صور النساء على الإطلاق وعرضها على أنظار الفساق فإنها بدعة منكرة ؟ وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم حالة النساء العاريات وأنذرهنّ بعدم دخول الجنة وأنهنّ من أهل النار ، فقال صلى الله عليه وسلم : « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا بَعْدُ : قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ عَلَى مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا » رواه أحمد عن أبى هريرة .

فقوله صلى الله عليه وسلم : « قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس » هم القوم الظلمة المستبدّون الذين يضربون الناس بالكرابيج المصنوعة من أذناب البقر .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « نساء كاسيات عاريات » أى كاسيات أجسامهن بالثياب الرقيقة وهنّ عاريات فى الحقيقة لعدم ستر الثياب لهنّ ، إذ هى شفافة لاتحجب ما وراءها (وهى التى سبق ذكرها فى لباس النساء) وقيل : إنهنّ كاسيات بالأثواب عاريات من لباس التقوى والصلاح .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « مائلات مميلات » أى مائلات بأجسامهنّ متبخترات فى مِشيتهنّ ، وقيل : يُملن قلوب الرجال والشبان ، مميلات غيرهنّ إلى الفساد .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « رؤوسهنّ كأسنمة البخت المائلة » الأسنمة : جمع سنام وهو ماعلا على ظهر الجمل ، والبخت : جمال خاصة ؛ والمعنى : أنهنّ يضعن على رؤوسهنّ لفائف كالعمائم حتى تصير كأسنمة الجمال المائلة (كما هو مشاهد الآن) .

ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنهنّ لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » يريد أنها توجد من مسافة بعيدة ، فهل بعد هذا الإنذار الشديد والوعيد زجر أو تهديد ؟

فأىّ مسلم غيور لايتكدر ؟ بل أى حر شريف لايتحسر عند رؤية النساء العاريات فى حالة يحمر لها وجه الحياء خجلاً ، وتذوب لها قلوب الأحياء أسفاً وحزناً ! حتى أصبح الرجل الحر الغيور يفضل عدم الخروج من منزله ، لكيلا يرى هذه المناظر المخزية المكدرة والفضائح المنكرة التى لايبيحها الشرع وتأباها الإنسانية الحقة ، ولا يحبذها ويميل إليها ويدافع عنها إلا كل شاب غِرّ ، ورجل مفتون مخبول لايهمه ضياع وقته وحياته وماله فى سبيل شهواته ، وماذا ينتظر الرجال الأحرار بعد هذا العار وسوء الحال وهتك العرض وضياع المال ؟

هذا هو حكم الشرع فى النساء العاريات ؛ أما القانون فقد نهى أيضاً عن ذلك وعن الوجود بحالة منافية للحياء ، فقد جاء بالمادة ٣٣٨ من قانون العقوبات الأهلى ما يأتى :

يجازى بغرامة لاتتجاوز جنيهاً مصرياً أو بالحبس مدة لاتزيد عن أسبوع .

أولاً : من اغتسل فى المدن أو القرى بحالة منافية للحياء ، أو وجد فى طريق عمومى وهو بهذه الحالة .

لهذا يشكو المصلحون والمفكرون فى مصر فى هذا العصر من خروج النساء الكاسيات العاريات ، ومن تصويرهن وهن عاريات ومن قص شعورهن ، وسيأتى الكلام على قص الشعر .

وبالجملة فقد تدهورت أخلاقهن واحتار الناس فى تعليل ذلك ، وفى التماس الدواء الناجع لعلاجه ، ولو بحثوا مليًا فى سبب انتشار هذه الأدواء بين النساء لوجدوا أن العلة والسبب الوحيد هو فقد الحياء والعفة من النساء ، وضياع الغيرة من الرجال .

وقد جاء فى الحكم : إذا فقد الحياء من النساء ، والغيرة من الرجال فقل على العالم السلام.

والله الموفق لما فيه صلاح حال النساء والرجال .

على فكرى

نشر بمجلة نشر الفضائل الإسلامية
السنة العاشرة ـ العدد ١٦ الصادر فى ٢٠ رمضان
سنة ١٣٦١ ـ أول أكتوبر سنة ١٩٤٢

قص الشعر للنساء

هذه البدعة الحديثة الشائنة مما رمتنا به المدنية الأوربية الحديثة ، وسبق كتبت عنها ضمن آفات التمدن الحديث ، ونشرت بمجلة النهضة النسائية بالعدد السادس من السنة الخامسة الصادر فى يونيو سنة ١٩٣٧ وأكتفى هنا بذكر خلاصتها :

لقد ذاعت هذه البدعة الحديثة بين السيدات المتمدينات (المودة) وهى قص الشعر للرأس مثل الفتى وحلق القسم الخلفى (بالموسى) وتقصيره إلى درجة كبيرة بحيث أصبحت المرأة تشبه الرجل أو الشاب فى شعر الرأس ، فضلاً عن أنها فقدت شعورها أيضاً ، إذ أى شعور للسيدة التى تسمح لنفسها بالجلوس فى غرفة (صالة) الحلاقة وتستسلم للرجل العامل

ليجرى لها عملية القص والتسريح بعد أن كانت تقعد أمام (الماشطة) البلانة لتسرح لها شعرها وتضفره ، ولا تسل عما يدور بينها و بين هذا العامل من الكلام الظريف الجذاب الخاص بالجنس اللطيف ! فتعساً ثم تعساً لتلك السيدات والبنات ! وأسفاً ثم أسفاً على حالتهن التي وصلن إليها !

وقد وصفها حضرة صاحب السعادة السيد شكرى باشا فى كتابه « المنظومة الشكرية» بقوله :

فى عصرنا خرج النساء بلا حياء	يبدين ما أمر الله بخفيته
متبرنطات عاريات قلدت	ذات الخنا فى قبحه وشناعته
قص النساء شعورهن مثل الفتى	عمل يشين جمالهن فى هيئته
فالشعر شطر جمالها بل إنه	كل الجمال بطوله وغزارته
ومن النقيصة أن يقص شعورها	رجل فأين شعورها من يقظته
أين الرجال وأين غَيرتهم لقد	باء الغيور على النساء بحسرته
بدع حرام أغضبت رب الورى	وقضت علينا بالشقاء وذلته
ما أقبح البدع التى قد شوهت	حسن النساء بوشمها و بوحمته
ظهر الفساد وعم أمة ديننا	من هجرهم شرع النبى بحكمته
من خالف الشرع الشريف أصابه	طعن يشين بعِرضه و بسمعته

محاورة بين فتاة وأمها بشأن قص الشعر

الفتاة : ما أجملكِ ياأماه وأنت تكللين رأسك بهذا التاج الطبيعى ، هديةً من الله لنساء البشر لم يرفضها (لأن الشعر تاج المرأة) .

الأم : ماذا تقصدين ؟ وما الهدية التى منّ الله علينا بها ؟، وكل ما أعطانا هدايا ونعم .

الفتاة : حقًّا ماتقولين يا أمى ، كل ماأعطانا الله نعمة ، ولكننا نتعامى عنها وحتى نعتدى على خلق الله ونتمرد على جميل صنعه (فنقص شعرنا) . .

الأم : يقولون إن هذا من مقتضيات المدنية الحديثة و إن خطيبك يريد ذلك .

الفتاة : ماهذه المدنية يا أماه التى تعتدى على الجمال الطبيعى وتقلبه وقاحةً وشناعةً .

الأم : إنى شخصيًّا يا ابنتى لا أقبل هذا ، فأنا دائمًا أبدًا أسمع من جدتك أن نساء العصر يسمون ذلك بالتجديد ، مع أن الجمال كل الجمال أن يسدل الشعر فتبين الفتاة فيه بوجه كالبدر فى الليلة الظلماء ، وعند الكبر فهو التاج البديع يكللها الوقار .

الفتاة : أنا لا أرضى بهذا الخطيب الذى يحب التقليد الأعمى ، ولا أرضى عن هذه (المودة) الخرقاء ، ولأربى شعرى من الآن .

الأم : نعم يا ابنتى فلنحترم كلام أولئك النقاد الذين ينصحوننا بترك هذا التفرنج الذى لا يوافق ديننا ونحترم قوميتنا وعاداتنا قبل كل شىء .

النهضة النسائية

السنة الخامسة العدد ٥٩ أغسطس سنة ١٩٢٧

صور النساء العاريات

بينما كنت أطالع فى إحدى المجلات الشهيرة الذائعة الصيت ، وجدت صورةً جميلةً لامرأة عارية لا يسترها إلا حجاب شفاف يستر العورة فقط ، فاستأت لهذا المنظر وتألمت كثيراً وقلت فى نفسى ياضيعة الأخلاق ! وكتبت لأحد المحررين بجريدة الأهرام (وكنت أظن فيه خيراً) خطاباً خلاصته ما يأتى :

ماقولكم دام فضلكم فى الصورة الجميلة المرفقة بهذا ، التى تحرك أعصاب الشيوخ والشبان ، هل يصح عرضها على الأنظار ؟ ألم يكن نشرها بمجلة مخلاً بالآداب ، وتحريضًا على ارتكاب جريمة البغاء ؟ التى قررت الحكومة من عهد قريب إلغاءها ؟

أفلم يكن من الواجب محاربة الأسباب الداعية إليه والمحرضة عليه بمنع نشر مثل هذه الصورة فى المجلات ؟ أفلم تكن هذه الصورة من الصور المفسدة للأخلاق التى يحرم القانون نشرها ؟ و يظهر أن هذا الخطاب المرسل فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٩ إما أنه لم يصل لصاحبنا

أو وصله وأهله مجاملةً لصاحب المجلة التي نشرت فيها هذه الصورة في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٤٩ ولم يكتب كلمةً عنها .

والحمدلله الذي لاتخفى عليه خافية ، قد أظهر الحق و بين صحة ماقلته في خطابي المذكور على لسان حضرة صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر ، فقام بحملة عنيفة على نشر الصور الخليعة وعرضها ، وكتب مقالاً ضافياً نشر بالأهرام في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤٩ وكذا حضرة صاحب السمو الأمير محمد علي توفيق باشا كتب لرفعة رئيس الوزراء خطاباً حماسيًّا يطلب فيه منع الصور العارية حمايةً للنشء من التردي في مهاوي الفساد .

ورد عليه رفعة رئيس الوزراء ردًّا جميلاً شاكراً له حسن غَيرته على الدين ، وصون الأخلاق والآداب ونشر بالأهرام في ٥ ديسمبر سنة ١٩٤٩ .

كما أن غبطة بطريرك الأقباط كتب لرفعة رئيس الوزراء في هذا الصدد أيضاً يطلب منه علاجًا حاسماً .

و بناء عليه كتب رفعة رئيس الوزراء لإدارة المطبوعات بعمل منشور لحضرات رؤساء الصحف والمجلات لإلفات نظرهم إلى ماينشر في بعض الجرائد والمجلات من صور ورسوم عارية أو شبه عارية ، فقامت بهذا الأمر فوراً وأرسلت هذا المنشور وطلب إلى حضراتهم الكشف عن نشر تلك الصور ، وقد نشر هذا المنشور بالأهرام في ٦ ديسمبر سنة ١٩٤٩ .

وإليكم جميع مانشر بجريدة الأهرام في هذا الموضوع من ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤٩ إلى الآن .

ويليه صورة من الموصل حول الصور الخليعة ، وكلمة من مفتي الموصل يشكر شيخ الجامع ، وشكر من الاتحاد النسائي .

أرجو أن يكون من وراء ذلك مانبغيه من الإصلاح لنسائنا والمحافظة على الأخلاق والدين وصوناً للآداب ، والله الموفق لما فيه الخير والصواب .

١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٩ — علي فكري

حملة عنيفة على نشر الصور الخليعة وعرضها

من شيخ الأزهر ورئيس الشبان المسلمين إلى رئيس الوزراء

كان فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر قد تلقى رسائل كثيرة من أهل الرأى فى البلاد يشكون فيها مما تتعرض له أخلاق الناشئة فى مصر من مواظبة بعض الصحف والمجلات على نشر صور خليعة مزرية ، ودأب بعض دور السينما على عرض مثل هذه الصور مما يثير أحط الغرائز ، ويضعف فى نفوس الشعب فضيلة الحياء ويطالبون باتخاذ تدابير حاسمة لمنع هذا العبث الخطير .

وقد عُنى فضيلة الأستاذ الأكبر أعظم العناية بهذا الموضوع ، وكان من أثر عنايته به أن أرسل إلى صاحب المقام الرفيع حسين سرى باشا رئيس الوزراء الكتاب الآتى نصه :

بعد الديباجة : « إن عهدنا وعهد البلاد بكم أنكم شديدو الحرص على النظام العام والاستمساك بعروة الدين الوثقى ، والمحافظة على صون المجتمع المصرى الإسلامى من كل عوامل الشر والفساد التى تجتاح الشعوب وتفسد أخلاق ناشئها وتعرضهم للانحلال الخلقى والتدهور الاجتماعى والتردى فى الرذيلة فتتصدع قوميتهم ، وتنهار مقومات حضارتهم وتضيع معالم تقاليدهم الإنسانية السامية دون أن يدركوا سوء ماينقادون إليه من مغريات ويندفعون فيه من ملذات آخرها الشقاء لهم ولأوطانهم .

ولما كنا أحرص مانكون على أن ننبه إلى مواطن الزلل فى مجتمعنا المصرى لنمكن لأمثال رفعتكم من القادة والمصلحين من الحس فيها بمضاء ، وتخليص البلاد من أثرها وعواقبها الوخيمة ، وكنا نعلم فى رفعتكم الغَيرة الدينية والحرص الشديد على مصالح البلاد القومية رأينا أن نضع بين يدى رفعتكم بعض ما استرعى النظر من مظاهر لها خطرها على كياننا القومى ، وكرامة بلادنا الدينية وإن بدت فى مظهرها تافهة عديمة القيمة إلا أنها كالمرض العضال ينخر فى عظام الأمة ويهدد كيانها الاجتماعى والدينى والخلقى ، ويتركها منهوكة القوى محطمة الروح المعنوية لا وازع لها من دين أو خلق ، ولا حافز لها من تقاليد

سامية أو مبادئ إنسانية ، تلك المظاهر الخطرة هى ما دأبت عليه بعض الصحف والمجلات وأصحاب دور السينما أخيراً من الإكثار من نشر الصور العارية الفاضحة فى أوضاع تثير أحط الغرائز البهيمية وتصرف الناس عن التفكير فى عظائم الأمور وتدفعهم إلى التردى فى مهاوى الرذيلة ؛ ولو اقتصر تأثير هذه الصور الخليعة على الكبار لهان الخطب ولكنها يا صاحب المقام الرفيع تصل السيدات والبنات فى خدورهن ، و إلى الشباب والأولاد من أبناء هذه الأمة فى مدارسهم وملاعبهم و بيوتهم وهم مايزالون فى دور المراهقة لما تنضج أحلامهم ، وتقوى مداركهم على التمييز الصحيح بين ماهو خير وما هو شر ؛ وأشد البلية أن الذين ينفثون هذه الدعايات الفاضحة الهدامة يغرون بها عقول الناشئة ويزيفون عليهم الحقائق حين يلبسون دعوتهم الباطلة ثوب المدنية الحديثة ، و يخلعون عليها زوراً و بهتاناً اسم التقدم الاجتماعى والنهضة الغربية ؛ والشباب بطبعه فى هذه السن الباكرة ثائر منقاد إلى الملذات والمغريات مالم يعصمه وازع قوى ، وما لم تأخذه يدحازمة فتمنعه من التأثر بهذه الفتنة الضالة المضلة حتى تكمل أدوات تفكيره و ينضج حسُّه الدينى والقومى ، وعندئذ يستطيع أن يميز بين الخير والشر .

تلك صيحة مخلصة يا صاحب المقام الرفيع أردنا بها أن ننبه إلى مكمن الخطر ومنبت الشر قبل أن يستفحل و يعز على العلاج ، مؤملين أن نجد من رفعتكم وأنتم خير من يرجى فى العمل لمجد مصر والمحافظة على كرامتها وتقاليدها قبولاً حسناً يصحبه كالعهد برفعتكم المبادرة الحازمة إلى تخليص البلاد من الاتجاهات الضارة ، وتوجيهها إلى الغايات السامية والمثل الرفيعة التى تحقق مجد الوطن وعزة البلاد فى ظل « جلالة مولانا الفاروق المعظم حفظه الله وأدامه » . الأهرام فى ١١/٣٠ سنة ١٩٤٩

من رئيس الشبان المسلمين إلى رئيس الوزراء

هذا ، وكنا قد أشرنا من قبل إلى اهتمام صاحب السمو الملكى الأمير الجليل محمد على بموضوع نشر الصور العارية والخليعة فى بعض الصحف والمجلات ، وخطر ذلك على الأخلاق

العامة ، ودعوته لسعادة صالح حرب باشا للتحدث إليه فى هذا الأمر بوصف كونه رئيس أكبر جمعية دينية فى البلاد .

ونذكر اليوم أن سعادة صالح حرب باشا وجه كتاباً فى هذا الشأن إلى رفعة رئيس الوزراء هذا نصه :

تعلمون رفعتكم أن مقومات الأمة أخلاقها وأنه بقدر تمسكها بأهداب الفضيلة ومجافاتها مواطن الرذيلة تكون مرتبتها بين سائر الأمم ، وقد أخذت مصر فى عهد الفاروق العظيم مكانها من الصدارة الدولية ، ونالت على يديه مالم تنله أمة ناهضة فتية ، فكان لزاماً على حكامها وقادتها وزعمائها والمصلحين من رجالاتها والعاملين فى أحزابها وهيئاتها وجماعاتها أن يتفقوا على أمر واحد مهما اختلفوا على غيره من الأمور ، وأن يجمعوا على غاية واحدة مهما تفرقوا على سواها من الغايات ، وهذه الغاية التى يجب أن يهدفوا إليها جميعاً هى حماية الأخلاق فى وطننا العزيز .

وإنما الأمم الأخلاق مابقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولكننا للأسف الشديد نشاهد فى مصر معاول الهدم الخلقى تعمل فى كل مكان ؛ فالمجلات الخليعة ، وما أكثرها ـ تنشر تحت ستار الفن الرفيع صوراً يندى لها وجه الحياء لتستثير فى شباب الأمة وشاباتها غرائز الحيوان ، وتنزل بالمستوى الروحى إلى مهاوى الذل والهوان .

ودور السينما تعرض أفلاماً لاهم لها إلا استعراض النساء استعراضاً يكشف عن مفاتن الجسد ويغرى بالإثم والعدوان ، وهذه الإباحة كما لايخفى على رفعتكم تهدم كيان الأسرة ومقومات الأخلاق .

والمسارح الوضيعة بما يعرض فيها على جمهور الشعب من رقص خليع وغناء ماثع وموسيقى متخاذلة ، إنما تقتل الرجولة وتقضى على الهمم .

أما ميادين السباق فقد أحرزت قصب السبق فى دفع هذا الشعب المسكين إلى مهاوى الفقر والدمار ، وإن الكثير من أفراد الشعب ممن تبهرهم هذه المفاتن يدفعون من ثمن قوتهم

ثمن الصور العارية والمقالات الإباحية الداعرة ، ويراهنون بما يملكون من قروش قليلة في ميادين السباق . ولا يخفى على رفعتكم أن كثيراً من أخلاط الأمم قد أدخلت في عهد الاحتلال البغيض على هذا البلد باسم الفنون والآداب ضروب الرذائل وأفانين المجون ، وهي أمراض وبائية خطيرة تسري في جسم الأمة سريان السرطان والطاعون ، وإن مصر لترجو من مقامكم الرفيع في هـذه الفترة الخطيرة من تاريخ نهضتها أن تأخذوا بما عرفتم به من صلابة في الحق بأسباب الشدة مايكفل حمايتها من هذه الفوضى الأخلاقية التي تفتك في كيانها وتهدم من بنيانها بأبلغ مما يفتك الفقر والجهل والمرض ، ولن ترضوا رفعتكم بما يصيب الأسرة المصرية من تفكك وانحلال بسبب مايعرض عليها ، وما ينشر من فن رخيص يهدف أصحابه إلى جمع المال بأيسر الوسائل وأرذلها .

وإذا كانت وزارة الشئون الاجتماعية تقف مكتوفة الأيدي أمام هذا الأمر الخطير بسبب مانعلم وما لانعلم من عراقيل هذا البلد الظاهرة والخفية ، فإن رفعتكم على رأس وزارة من رجال التشريع وجهابذة القانون تملكون أسباب القضاء على هذا الخطر الداهم قضاء الحازم الحكيم .

ولنا في وطنيتكم الصادقة وخلقكم العالي الكريم رجاء وأمل لن يخيب ، وفق الله رفعتكم في ظل الفاروق العظيم لخدمة وطننا العزيز إنه سميع مجيب .

الأهرام في ١٢/٤ نوفمبر سنة ١٩٤٩

الأمير محمد علي يكتب لرئيس الوزراء

للعمل على منع نشر الصورة الخليعة والعارية حماية للنشء من التردي في مهاوي الفساد كان صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي قد تحدث إلى سعادة اللواء محمد صالح حرب باشا ، الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين ، كما تحدث إلى شخصية رسمية كبيرة ، في شأن الصور العارية التي تنشر في بعض الصحف ، وأثر ذلك في الأخلاق العامة على مارويناه منذ أيام .

وقد تفضل سموه الملكى على أثر اطلاعه على الكتابين اللذين أرسلهما فى ذلك إلى رفعة رئيس الوزراء كل من فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وسعادة اللواء صالح حرب باشا ، فأرسل إلى رفعته الكتاب الذى ننشره فيما بعد معرباً عن اغتباطه بما جاء فيهما ، مهيباً برفعة رئيس الوزراء أن يبادر بما عهد فيه من الحكمة والحزم إلى وقف هذه الموجة الجائحة بالوسائل التشريعية والتهذيبية .

و بعد ظهر أمس توجه إلى دار الرياسة صاحب العزة أحمد مختار بك السكرتير الخاص لسمو الأمير وسلم كتاب سموه الملكى إلى رفعة حسين سرى باشا فتلقاه بالشكر ، ووعد بالعمل العاجل على تنفيذ ما اشتمل عليه من كريم التوجيه

وهذا نص كتاب الأمير الجليل :

حضرة صاحب المقام الرفيع حسين سرى باشا رئيس مجلس الوزراء .

السلام عليكم ورحمة الله ، و بعد : فقد طالعتنا بعض صحف الصباح والمساء يوم ٣٠ نوفمبر بخطاب كبير من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى مقامكم الرفيع يعقبه خطاب آخر إليكم من سعادة صالح حرب باشا باسان جمعية الشبان المسلمين بارك الله فيهم ، يتفقان معنًى وغايةً فى الشكوى الصارخة من المبالغة فى عرض صور نسائية عارية أو شبه عارية ، والافتنان فى تصوير الخلاعة البذيئة .

ولقد اغتبطت نفسى بمقاصد الخطابين ، وما توجها به إلى شخصكم من وطيد الأمل فى تحقيق مايرجوانه ، لما ألمسه وأعتقده فى جملة صفاتكم النبيلة من غَيرة على الكرامة الإنسانية والفضيلة بين أبناء هذا الوطن العزيز عليكم .

و إنى أنتهز هذه المناسبة لأضم صوتى لفضيلة شيخ الجامع الأزهر وسائر الهيئات التى تشكو مما تنشره بعض الجرائد والمجلات المصرية من صور تكاد توحى بمذهب العراء الذى لايستسيغه إلا طائفة من أهل الشذوذ الخلقى والنفسى ، وتبدع فى الإغراء والتشويق بالرموز والرسوم إلى إثارة الغرائز الجنسية فتعوم بالنشء فى دور التكوين حول ذلك الحمى وأوشكوا أن يقعوا فيه و يتردوا فى مهاوى الفساد .

قد يرى بعض رجال الصحف والمجلات أن هذه وسيلة من وسائل الرواج تأتى بالربح فى ميدان التسابق الصحفى والكسب المادى ، وتلك ـ للأسف ـ معذرة أنكى فى الاستهتار بمقوّمات الأخلاق ونبذ الدستور القائل : « الحياء من الإيمان » مما أر بأ بوطنيتهم وكرامتهم عن أن يستبيحها إذا ما قارنوا بين عَرَض زائل من ربح مادى ، و بين خسارة تدنس قدس الأخلاق .

ولديهم من وسائل الفن الصحفى مايغنيهم عن ذلك ، فهناك جرائد ومجلات لم تأخذ بتلك الوسائل نالت من الشهرة وسعة الانتشار مكانةً عظمى بما تقدمه من عرض للمكتشفات العلمية والفنية والصناعية ، ومن الصور الجغرافية والتاريخية وغير ذلك كثير من نبذ عن الرياضة والثقافة وأحوال العالم التى تشرق كل يوم بجديد ، من شتى أخبار الحوادث والسياسات فى هذا العصر عصر النهضة والتطور السريع .

إن التوجه منهم بالشكوى إليكم فى هذا الصدد أستشعر منه معنى الاستغاثة وصداها عن لسان الآباء والأمهات ، وعن كل حريص على النشء البرىء الذى عليه اعتمادنا فى تكوين هذه الأمة ومستقبلها قوةً وعزةً ومجداً ، وها أنتم أولاء القائمون على شئونها ، المضطلعون بالمسئولية العظمى أمام ضميركم وأمام الله . فلاشك أنكم لاتألون جهداً فى النهوض بالخير من جميع الوجوه لأبناء هذا الوطن الذى أنتم فيه ـ مع هذه المسئولية العامة ـ أب لعائلة ، ورأس فروع لها عديدة ، ينالها مايناال تلك الأمة ، وستعملون على ترقية العقلية الأدبية ، كما تحرصون على حماية الفضيلة الأخلاقية فى ربوع هذا الوطن ، مما يشيع الطمأنينة على تكوين جيل ينشأ على أسس سليمة ، فهاهوذا دستور الحياء مقرراً فى دين الإسلام ؛ كما أنه من روح الأديان السماوية الأخرى . وفى طرح الحياء فقدان لجماع أصوله وشعبه من نخوة وشهامة ومروءة وغَيرة على العرض والقومية ، فهو من بواعث العزة والكرامة الآدمية .

وفى انتظار ماترونه من الحكمة والحزم فى إجراء وقف هذه الموجة الجائحة بالوسائل التشريعية والتهذيبية ، أرجو لكم التوفيق ، والسداد والمثوبة من الله ولىّ التوفيق .

القاهرة فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٤٩ — محمد على توفيق

مذكرة من جمعية الشبان المسلمين

هذا ، وقد أعدت جمعية الشبان المسلمين مذكرة جديدة طالبت فيها بمنع نشر الصور العارية ، وتقرر أن يتوجه إلى دار الرياسة اليوم وفد منها مؤلف من حضرات : صالح حرب باشا ، والدكتور منصور فهمى باشا ، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، لتقديم هذه المذكرة باسم الجمعية إلى رفعة رئيس الوزراء .

رئيس الوزراء يتخذ العلاج الحاسم لنشر الصور الخليعة

كتاب من رفعته إلى سمو الأمير محمد على

نشرنا أمس الكتاب الذى أرسله صاحب السمو الملكى الأمير الجليل محمد على إلى صاحب المقام الرفيع حسين سرى باشا فى شأن العمل على منع نشر الصور الخليعة العارية فى الصحف والمجلات .

وقد عنى رفعة سرّى باشا ببحث هذا الموضوع عنايةً خاصةً ، وطلب إلى بعض كبار المسئولين فى وزارة الداخلية أن يعرضوا عليه نماذج من الصور التى نشرت من هذا القبيل فى الصحف المحلية والأجنبية ، فلما اطلع على هذه النماذج ، رأى وجوب مصادرة هذه الصور ومعاقبة ناشريها بمقتضى المواد الخاصة بحماية الآداب العامة فى قانون العقوبات ، ثم أعد رفعته الكتاب التالى ، ردًّا على كتاب سمو الأمير ، وأرسله إلى سموه أمس مع أحد كبار موظفى رياسة الوزراء .

« حضرة صاحب السمو الملكى الأمير الجليل محمد على

تشرفت بتسلم كتابكم الكريم المؤرخ ٢ ديسمبر سنة ١٩٤٩ ، وهو ينطق بأفصح بيان عما استفاضت به الشكوى هذه الأيام من إسراف بعض الجرائد والمجلات فى نشر الصور الخليعة بشتى الأشكال والألوان والأوضاع مما تتقزز له الفضيلة والمروءة ، ولا تستسيغه الأخلاق والكرامة ، ولا يطيقه الذوق السليم ، ولا عهد لمصر فى تاريخها الطويل بمثل هذا

الفساد الذى أشارك سموكم كل المشاركة فى استنكاره والسخط عليه ، والشعور بضرورة وضع حدّ له .

ولا شك عندى فى أن انغماس بعض الصحف والمجلات فى هـذه الهاوية المرذولة ، واسترسالها فى هذا النوع من الفجور ، إنمـا يرجع فى الواقع إلى شعور أصحابها ومحرريها بكساد بضاعتهم العلمية والفنية ، ورغبتهم فى بيع وريقاتهم بأية وسيلة مهما يكن فيها من مجافاة لعادات البلاد وتقاليد أهلها ، ومهما يكن من أخطارها فى استثارة الغرائز والأضرار بأخلاق شباب الجيل وسمعة البلاد .

لهذا ترانى ـ ياسمو الأمير ـ معنياً كل العناية بدرس أوجه العلاج الحاسم الرادع لهذا المرض الخلقى الذى يتجر به ، ويتنافس فيه بعض المفسدين من الصحفيين .

وأرجو أن أوفق قريباً إلى وضع حد لهذا الفساد الذى استشرى ، إنقاذاً لأخلاق الشباب ، ومنعاً لانتشار تجارة صحفية بائرة على حساب الفضيلة والذوق السليم .

وإنى مع تكرار الشكر لسموكم على غيرتكم السليمة الكريمة ، وتفضلكم بالكتابة إلىّ أرفع إلى سموكم احترامى وإجلالى » .

رئيس مجلس الوزراء

حسين سرى

الأهرام فى ١٩٤٩/١٢/٥

من بطريرك الأقباط لرئيس الوزراء

بعث غبطة الأنبا يوساب الثانى بابا الاسكندرية ، وبطريرك الكرازة المرقسية بالكتاب التالى إلى رفعة رئيس الوزراء ، وقد استهله بتحية الرئيس والدعاء له ، ثم قال :

« فى هذا العهد الذى يقتضى من رجال الدين والتربية والتعليم بذل الجهود العظيمة فى حماية الأخلاق ، ورفع منار الفضيلة فى سائر الآفاق ، دأب بعض الصحف ودور السينما وناشرو الإعلانات على نشر صور فاضحة خليعة ، بعيدة عن الحشمة والوقار ، تثير مكامن الغرائز الدنيئة ، ولا يسع كل حريص على أخلاق الشباب أن يغفل التأثير السيئ الذى يحدثه هذا النشر فى الناشئة ، مما يؤدى إلى إشاعة الفساد فى كل مكان ، ثم إضعاف روابط

العائلات ، و إلى تقويض دعائم الفضيلة ، والقضاء على رسالة التعليم والتهذيب ؛ فضلاً عن أن نشر هذه الصور ، بما انطوت عليه من أوضاع نابية كثيرة الغواية ، تنتهى إلى صرف الناس عن الاهتمام بالقيم السامية العليا التى يدعو إليها رجال الدين والتربية ، و يعملون على إشاعتها بين الناس .

وقد كانت هذه الحال المؤسفة باعثاً على القلق الشديد من جهة الأخلاق التى هى أعز ماتباهى به الأمم ، وكانت مدعاة للخشية من أن يستعصى الداء على العلاج ، و ينحرف الشباب عن جادة الصواب ، و يستمرئوا حياة العبث واللهو والاستهتار .

ولما نعهده فى رفعتكم من الاستقامة والجد والجرأة ، والحرص على الخلق الكريم ، نتقدم إليكم مرددين أصوات حضرات رجال الدين ، طالبين أن تتفضلوا فتتخذوا من الإجراءات الحاسمة ما يكفل للوالدين اطمئناناً على سلامة خلق أبنائهم ، ومايطهر البلاد من مفاسد بعيدة الأثر .

و إن الأمر ليحتاج إلى تعاون المسئولين على درء الأخطار عن الجيل الحديث ، و إذا كان على المعلمين والوعاظ والمرشدين واجب النصح والإرشاد . فعلى أولياء الأمر أن يعملوا من جانبهم فى سبيل الحد من تلك النشرات المغرية على الرذيلة حرصاً على سلامة الشباب وسمعة الوطن العزيز .

والله المسئول أن يكافئ رفعتكم عن الحسنى بخير الجزاء ، وأن يحفظ للبلاد عاهلها العظيم ، وربان سفينتها الحكيم (جلالة مولانا فاروق الأول) أعز الله به الأمة ، وثبت قوائم عرشه بالعدل والحكمة .

الصور المخلة بالآداب

المطبوعات تطلب الكف عن نشرها

وجهت إدارة المطبوعات فى وزارة الداخلية أمس كتاباً إلى رؤساء تحرير الصحف والمجلات قالت فيه : إنه قد لفت الأنظار فى الفترة الأخيرة ماتنشره بعض الجرائد والمجلات

من صور ورسوم عارية أوشبه عارية ، وما تكتبه أحياناً من تعليقات مسيئة للآداب عن تلك الصور والرسوم ، وذكرت أن الشكوى قد تعددت من أن الإسراف فى نشر هذه الصور والرسوم يهدد أخلاق النشء والشباب ، ونوّهت بما فى قانونى المطبوعات والعقوبات من نصوص وأحكام كفيلة بحماية الآداب العامة ، وبما فى قانون نقابة الصحفيين من قواعد كفيلة بحماية مهنة الصحافة مما يحط من شأنها ، ثم قالت: إن إدارة المطبوعات ـ رغبةً منها فى التعاون مع الجرائد والمجلات على تأدية رسالة الصحافة على الوجه الأمثل وفى حدود حرية النشر ـ رأت أن توجه نظر حضرات رؤساء التحرير إلى الكفّ عن نشر الصور والرسوم المخلة بالآداب ، والتى لاتتفق مع تقاليدنا وعاداتنا المصرية ، وإن الأمل كبير فى أنهم سيحققون هذه الرغبة التى تهدف لخير الوطن .

وقد تلقينا من فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى ، عميد كلية اللغة العربية ، صورة البرقية التى أرسلها أمس إلى رفعة رئيس الوزراء يشكر فيها لرفعته باسم الكلية أساتذة وطلاباً وعدَه باتخاذ الإجراءات الحاسمة السريعة لمنع نشر الصور الخليعة ، حمايةً للأخلاق والفضيلة ، ويشاطر رفعته فى أن الجرى وراء الكسب المادى يجب ألا يكون سبباً للخروج على تقاليد الأمة ، ومعولاً تهدم به الأعراض والكرامات .

الأهرام فى ١٩٤٩/١٢/٦

وقد تلقينا صورة برقية أرسلها سعادة اللواء محمد صالح حرب باشا إلى صاحب السمو الملكى الأمير محمد على لمناسبة كتاب سموّه إلى رفعة رئيس الوزراء هذا نصها :

« شكر الله سعيكم ، وحيتكم ملائكة السماء ، وأثنى عليكم كل مؤمن ، ودعا بطول بقائكم .

وإنى باسم المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ، أتقدم إلى مقام سموكم الكريم بأبلغ الحمد والشكر على هذا التوفيق العظيم فى سبيل الله والوطن ، ولن يغمد سيف جردتموه لحماية الأخلاق ، وإنقاذ البلاد حتى ينتصر » .

كذلك تلقينا من سعادته صورة برقية أخرى أرسلها إلى رفعة رئيس الوزراء هذا نصها :

« خطابكم لحضرة صاحب السمو الملكى الأمير الجليل محمد على أثلج صدور المؤمنين ،

حياكم الله ، وحيا فى شخصكم الحزم والبأس الشديد فى سبيل حماية الأخلاق ، فباسم المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ، أقدم لرفعتكم وافر الحمد والشكر على الموقف الحاسم ، فإلى الأمام حتى تنقذوا الوطن من أعدائه الأقربين (ويزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .

صوت من الموصل

حول الصور الخليعة

تلقى صاحب السموّ الملكى الأمير محمد على ، من السيد حبيب السعيدى مفتى الموصل ، البرقية الآتية :

« إلحاقاً ببرقية كانون الحالى أشكر لصاحب الجلالة الملك ، ولسموّ ولى العهد ولرفعة رئيس الوزراء ، ولبعض الجهابذة والعباقرة من علماء الكنانة وأدبائها ، أشكر باسم العروبة والإسلام لجميع هذه النخبة الصالحة العناية بوجوب تنزيه الصحف والكتب والمجلات عما يخلّ بالآداب الإسلامية الموسومة بالعزة والكرامة والتقاليد العربية المعروفة بالغيرة والشهامة ، فالأقلام مرآة العصر ، للحكومات والشعوب ، حسناً أو قبحاً ، ومحور التوجيه استقامة أو عوجاً ، وإنما ينجح الشرق بتقليد الغرب فى فضائله لا رذائله ، وإن أول من يسأل عن أمر الأمة أمراؤها وعلماؤها ، والأمل بالشقيقة الكبرى أن تكون خير قدوة ، وإن العالمين الإسلامى والعربى لذلك منتظران . فطوبى للعاملين وبشرى للمخلصين ! »

تلقى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر برقية من سماحة مفتى الموصل يشكر لفضيلته فيها محاربته لنشر الصور المخلة بالآداب ، أو عرضها فى السينما ، وحرصه على الآداب الدينية والأخلاق الفاضلة ، ويرجو له التوفيق فى هذا السعى الحميد .

شكر الاتحاد النسائى لفضيلة شيخ الجامع الأزهر

وقابلت فضيلة الأستاذ الأكبر أمس السيدة (سيزا نبراوى) سكرتيرة الاتحاد النسائى المصرى ، حيث قدمت الشكر إلى فضيلته باسم الاتحاد على عنايته بالمحافظة على الأخلاق

العامة ، كما قدمت إلى فضيلته نسخة من البيان الذى أعده الاتحاد وقدمه إلى مختلف الأحزاب فى هذا الشأن .

الأهرام فى ١٩٤٩/١٢/١٦

وبهذه المناسبة نذكر ماجاء بمجلة البريد الإسلامى الصادرة فى ديسمبر سنة ١٩٤٩ وهو : إن الحكومة التشيكية تنقد نشر الصور شبه العارية على الجدران ، وقد عاقبت إحدى فرق الجيش التى علقت هذه الصور فى الثكنات ، وأما فى مصر فقد درجت صحفها على نشر هذه الصور ، وضج العلماء ، واحتجت الجماعات الإسلامية ، وسمو ولى العهد المعظم ، وللآن لم يتخذ إجراء ضد هذه الحالة المزرية .

من المنتظر أن تتخذ الحكومة المصرية إجراء سريعاً لمنع نشر الصور المثيرة بالصحف (وقد فعلت) والمرجو أن يمتنع هذا أيضاً على شاشة السينما حفظاً لأخلاق الشعب ، وإبقاء على سلامته ، وصونا لتقاليده ودينه .

وبعد الصور العارية ...

ماحكم الفضيلة والشرع فى الأجساد العارية ؟

الصحافة النظيفة ترحب بهذا القرار الذى اتخذ أخيراً بحظر نشر الصور العارية التى تثير الغرائز وتغرى الشباب الغائر ، وتحرج الفضيلة وتجرح مكارم الأخلاق .

والصحافة القوية بموادها وتحريرها ترحب بقرار الحظر المذكور ، لأن لها فى قوتها مايضمن لها الذيوع وسمة الانتشار ، ويغنيها عن الاتجار بالصور العارية واستجداء قروش الشباب المحروم !

ولكن ـ وهذا رأى متواضع أبديه ، ولا ألح كثيراً فى طلب الجواب لكى لا أحرج طائفة ممن تتقدم أسماءهم ألقاب أصحاب ... وأصحاب ... وأصحاب ... وعلى رأسهم أصحاب الفضيلة حماة الدين الحنيف !

ولكن يحسن بولاة الأمور أن ينشروا على الناس مذكرة تفسيرية لقرار الحظر المذكور ...

مثلاً : هل الحظر مقصور على الصور العارية لكواكب السينما الأجنبيات ومن فى حكمهن ؟ والصور العارية لنساء وفتيات غير معروفات بالاسم واللقب ؟ والصور العارية المرسومة من الخيال لا نقلاً عن الحقيقة ؟

هل قرار الحظر المذكور مقصور على هذه الأنواع من الصور العارية ... أو أن حكمه يشمل الصور العارية لبعض سيداتنا وآنساتنا المصريات، فى الولائم والحفلات مما تنشره الصحف والمجلات ... ؟

ثم ماهو المقصود تماماً وعلى وجه التحديد من كلمة (الصور العارية) ؟

هل يجب أن تكون صاحبة الصورة عاريةً تماماً لكى ينطبق قرار الحظر ؟ أم يكفى مثلاً أن تكون الصورة لسيدة قد عرّت ظهرها وصدرها ونحرها نزولاً على حكم آخر (مودةً) جاءتنا من باريس مع هؤلاء (المانكان) اللاتى تعلن الصحف عن زيارتهن لمصر فى موسمى الشتاء والربيع ، وتزدحم قاعات فنادق القاهرة الكبرى بفضليات السيدات والآنسات المصريات لمشاهدتهن وهن يعرضن آخر الأزياء ؟

هـذا ثوب للسهرة يكشف عن الصدر ، ولا يخفى النهدين إلا بالقدر الذى يغرى ولا يشفى ... أو بالقدر الذى يثير الغرائز أو يثير الفضول ؟

وهذا ثوب يكشف عن الظهر كله والصدر كله... وقد شد نصفه الأدنى إلى الكتفين بشرائط أدق من الصراط المستقيم !

هل نشر صور سيدات مصر وآنساتها فى حفلة ما وهنّ فى هذه الثياب . . . يعتبر نشراً لصور عارية مما ينطبق عليه قرار الحظر ؟

الجواب : نعم إن كان قرار الحظر المذكور قد صدر لحماية الشباب من الفتنة والإغراء.. وأخلِقْ بالشباب أن يزداد فتنةً و إغراءً بهذا الجمال العارى لسيدات وآنسات مصريات يعرفن بالاسم واللقب ..: من الجمال العارى لأناث لايعرف عنهن شيئاً !

فهل لولاة الأمور وأصحاب الفضيلة حماة الدين الحنيف أن يعلنوا رأيهم الصريح و يقولوا إن الحظر يشمل نشر صور الحفلات الساهرة التى تقام فى مواسم القاهرة والإسكندرية ،

والتى تستعرض فيها طائفة من سيدات وآنسات مصر مفاتن ومحاسن أجسادهن البديعة المغرية ؟ أو أن ولاة الأمور وحماة الدين يؤثرون هنا السكوت ... حتى لايحرجوا سادتنا من رجال الدولة وكبار الأغنياء الذين يشتركون فى هذه الحفلات هم وزوجاتهم و بناتهم و يتبادلون فيها بينهم التهانى والإعجاب بهذه الفتنة وهذا الجمال !

إن قرار الحظر المذكور قد صدر نزولاً على حكم الفضيلة، والفضيلة فيما يظهر معنى نسبى يختلف باختلاف البيئة والزمن والظروف ، فما كانت تأباه الفضيلة منذ أربعين عاماً مثلاً أصبحت تقره فى هذه الأيام ! مثال ذلك ... الحفلات التى أشرت إليها ورقص المسلمات من ربات الخدور .

الفضيلة تقره لأن أصحاب الفضيلة حماة الدين فى هذا البلد لم يقولوا كلمة ولم يفتحوا فَمَ التُّقى والورع باعتراض واحتجاج .

ولكن إذا كان حظر نشر الصور العارية قد صدر نزولاً على حكم الفضيلة التى هى معنى نسبى ، فإن هناك مائة قرار يجب أن تصدر نزولاً على حكم الدين! والدين أوسع حكما وأحكامه أدق معنى من أحكام الفضيلة ومكارم الأخلاق ...

ومن واجب حماة الدين من أصحاب الفضيلة أن يصارحوا الناس بحكم الدين فى كذا وكذا وكيت وكيت مما أشرت إلى طرف منه ، فهل يفعلون ؟

كلا لن يفعلوا ! لأن حماة الدين فى هذا البلد يذكرون الدنيا دائماً أبداً ، ولا يذكرون الدين إلا فى أيام الجمع والأعياد !

هذه كلمة عرضت فيها لنوع من الأجساد العارية ! الأجساد العارية برضى صاحباتها وكل أنثى منهن حريصة على إثارة إعجاب الذكر ، ولكنّ هناك نوعًا آخر من الأجساد العارية ! العارية لاعن رضى واختيار ، وإنما عن فقر وعوز ! العارية لأن أحداً من حماة الدين فى هذا البلد لم يجد حتى اليوم فى أحكام الدين وأحكام الفضيلة نصًّا شريفاً أو معنى كريماً يوحى إليه بنداء للناس أن ترفقوا بهذه الأجساد العارية واستروها يستركم الله !

الفضيلة تتأذى من هذه الصور العارية ... أما طفولة مصر العارية من بنين و بنات التي تفترش (الأسفلت) وتحت (البواكى) فأمر لاشى فيه .

حماة الدين ! انسوا الدنيا ولو ساعةً واحدةً تذكرون فيها الدين ويوم الدين . . . جعلكم الله فى زمرة المصطفين من عباده الذين نزههم عن الرياء والنفاق ! (التابعى)

قرأت بإمعان المقال الممتع الذى كتبه الأستاذ الفاضل محمد التابعى الصحفى المشهور فى مجلة آخر ساعة بشأن الصور العارية وأنواعها طالباً من ولاة الأمور عمل مذكرة تفسيرية لقرار الحظر الذى وجهته إدارة المطبوعات إلى حضرات رؤساء تحرير الصحف والمجلات بالكف عن نشر الصور العارية المخلة بالآداب ، وهذا القرار ظاهر لايحتاج إلى تفسير لأنه يعبر عن الصور العارية التى تنشر بالصحف والمجلات على العموم .

أما من جهة اعتراضه على الأجساد العارية لبعض السيدات والآنسات المصريات فى الولائم والأفراح والحفلات مما تنشره الصحف والمجلات ، فهذا له الحق فيه لأنها فى الحقيقة مزرية مخلة بالشرف والأدب ، والذى يدعو النساء إلى هذا هو التفنن فى ملابسهن وأزيائهن لتكون طبقاً (للمودة) الحديثة التى جاءتنا بها المدنية الغربية، ودخلت فى بيوتنا وقلبت عوائدنا وتقاليدنا رأساً على عقب .

وقد كتبت عدة مقالات فى مجلة نشر الفضائل الإسلامية ومجلة هدى الإسلام ومجلة النهضة النسائية من عهد بعيد مشيراً إلى ملابس النساء وأزيائهن وما يدور حولها وخروجهن بهذه الملابس عن حد الحشمة والوقار والكمال ، بل وذكرت ذلك أيضاً منذ خمسين سنة فى كتابى « آداب الفتاة » فى باب « آداب اللبس » موجهاً نظر الفتيات إلى عدم استعمال ملابس الخلاعة التى تظهر منها أجسامهن معلناً أنه قبيح بالمرأة الكاملة الغيورة أن تُرى عارية الذراعين مكشوفة الصدر والنهدين والساقين إلى غير ذلك مما هو خارج عن حد الحشمة واللياقة محذراً الفتاةَ من التشبه ببعض الأفرنجيات اللواتى يكشفن صدورهن وأذرعتهن ، فإن عوائدهن تسمح لهن بذلك بخلاف العوائد الشرقية التى لاتبيح هذا الكشف ، بل تطلب التحجب والتستر محافظة على الأخلاق والدين .

فياحبذا لو وجهت إدارة المطبوعات قراراً آخر يشمل الحظر من نشر صور الحفلات الساهرة التى تقام فى مواسم القاهرة والإسكندرية ، والتى تستعرض فيها طائفة من سيدات وآنسات مصر مفاتن ومحاسن أجسادهن البديعة المغرية ، كما أشار الأستاذ التابعى فى مقاله البديع الصريح ونزولاً على حكم الفضيلة والشرع الشريف .

نسألك اللهم أن توفق ولاة أمورنا ورجال حكومتنا وحماة الدين الحنيف للعمل إلى مافيه نشر الفضائل واجتناب الرذائل محافظةً على الأخلاق والدين ، إنك السميع المجيب .

٥ ربيع الأول سنة ١٣٦٩ ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٩ على فكرى

---

٧ ـ اختلاط الجنسين مجلبة للعار والشين

اختلاط الرجل بالمرأة هو من أعظم الأمور خطراً ، وأكثرها ضرراً ، وأكبرها إثماً ؛ لأنه بسببه هتكت الأعراض ، وفجرت البنات قبل النساء ، وعمّ الفساد بين العباد فى جميع البلاد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، لقد انتشرت فى هذا العصر فى مصر بدعة جديدة ، بل فتنة شديدة على الدين وأهله ، جرّها إلينا التمدن الأوروبى الحديث ، ألا وهى كثرة اختلاط الرجال بالنساء ، حتى أصبحت العادة المتبعة فى الزيارات أن يزور الصديق صديقه ومعه زوجته وابنته وأخته ، وشاعت هذه العادة فى العائلات خصوصاً بين طبقة المتعلمين من الأمة المصرية تعليماً أفرنجيًّا فى المدارس الأفرنجية (كالفرير والجزويت) وغيرها ، وفضلاً عن ذلك صار الرجل يخرج إلى الأسواق والمتنزهات والمجتمعات والاحتفالات متأبطاً ذراع زوجته ، سافرة الوجه ، محمرة الخدين والشفتين ، بارزة النهدين ، عارية الذراعين والساقين ، وهو لا يرى فى ذلك حُرمةً ولا عيباً أو ضرراً ، ولا يغار عليها من نظر فاسق أو كلمة فاجر ، بل ربما وجد فى هذا التبذل والاستهتار شرفاً وفخراً ، وسروراً وحبوراً ؛ تقليداً للأفرنج فى عاداتهم وتمسكاً بمدنيتهم ، ونبذاً لدينه وعوائد بلده وتقاليد أهله .

على أن نساء الأفرنج يخرجن مع أزواجهن وأولادهن فى حالة الحشمة والوقار ، ونحن نساؤنا يخرجن فى حالة ليس بعدها عار وأىّ عار !

حقًّا لقد سلبتنا تلك المدنية الكاذبة والعادات الخاطئة صفة الشهامة العربية والغيرة الدينية ، وأضعفت قوة التمييز والإدراك فجعلتنا نسوّى بين الأجنبى من المرأة و بين محرمها فنبيح للأول الاختلاط بها والمحادثة معها بل ومرافقتها .

وفضلاً عن ذلك نختار لخدمة منازلنا من الشبان والرجال من هو جميل الصورة ، مفتول الساعد ، معتدل القامة ، ونسمح لهم بأن يدخلوا بيوتنا ونساؤنا أمامهم سافرات حاسرات ، وربما كنّ بملابس النوم الشفافة وربما كنّ فى مضاجعهن .

والمصيبة العظمى والطامة الكبرى أن نسلم لهؤلاء الأتباع بأيدينا نساءنا و بناتنا تسلم المتاع ليذهبوا بهن فى العربات والسيارات فى الحدائق والمتنزهات لكى يتريضن ويستنشقن الهواء ، ويمروا بهن على قصور مشيدة وفنادق متسعة أعدت ويا للأسف للرقص الأفرنجى فيرقصن مع الرجال والشبان ، ويسمعن فيها من الأغانى الغرامية والهزلية المنحطة مايحمر له وجه الحياء .

وهناك فى عرف أهل هذا الفن يباح الرقص رقص الرجل مع امرأة أجنبية منه ولو بدون سابقة تعارف بينهما ، وهذا مايسمونه عندهم (بالتعارف العائلى) المطلوب ، تنشده الحياة الاجتماعية الحاضرة ، وهناك لاتسل عما يجرى بين الرجال والنساء مما لايصح ذكره مراعاةً للأدب والحياء .

و بعد هذا كله يرجع بهن الخادم والسوّاق بعد مضىّ شطر كبير من الليل ، و بعولتهن أو أولياء أمورهن فى البيوت نائمون ، وإن شئت قل بمحلات اللهو والطرب يتمتعون ويلهون .

وأكبر دليل على ذلك مانقرؤه يوميًّا على صفحات الجرائد ، ونسمعه من ألسنة الناس من تزوج بعض فتيات العائلات الكبيرة والوسطى من سائقى السيارات والعربات و بعض الخدم ، خروجًا على إرادة أسرهن ، وجلبًا للعار لها ، وتدنيساً لشرفها وسمعتها ؛ كما أن اختلاط السيدات الأجانب فى السهرات والاحتفالات أدى لخروج النساء وهروبهن مع الرجال الأجانب إلى بلادهم والتزوج بهم زواجاً عرفياً لازواجا شرعياً كما حصل لبعض النساء من العائلات

الكبيرة المشهورة ، ويا للأسف قد كثر فى هذه السنوات الأخيرة تزوج الشبان المسلمين بالأجنبيات بأوربا وأمريكا ! ألم يكن هذا نتيجة الاختلاط .

ولو بحثنا مليًّا فى هذه العلة الشنيعة والعادة القبيحة لوجدنا أن السبب فى تهتك النساء وفجورهن وخروجهن عن حد الصيانة والعفاف ، هو إهمال الرجال وتركهم عاداتنا الشرقية وميلهم لاتباع العادات والتقاليد الأوربية ، مع أنهم لو نظروا بعين البصيرة وجردوا أنفسهم من الأغراض والغايات الشيطانية لرأوا أن عادات الشرقيين أطهر وأرجح ، ومذهبهم فى احتجاب النساء ومنعهم من الاختلاط بالرجال أصح وأصلح ، لأن ذلك يوجب زيادة الألفة من المرأة وأهلها ، ويؤكد ارتباطها بزوجها وارتباطه بها ، وأمنه عليها ورضاها بحالته ؛ بخلاف ما إذا كانت تنظر لغيره وتطلع لأحوال الناس المختلفة الأجناس ، فإن ذلك يحرك عندها الشهوات ويوقعها مع زوجها فى المنازعات والمخاصمات التى تؤدى للفراق ثم إلى الطلاق وخراب المنزل وانقسام الأسرة ، وفى ذلك الخسران المبين .

ولقد صدق الشاعر الأديب فى قوله :

لا تأمنن على النساء ولو أخًا ... مافى الرجال على النساء أمين

بعض الرجال وإن تعفف جهده ... لابد أن بنظرة سيخون

ولو نظرنا إلى الحوادث التى تقع فى الأسر ونقرؤها يوميًّا على صفحات الجرائد والمجلات لوجدنا سببها الاختلاط بين النساء والرجال .

وقد أمرنا الدين الحنيف باحتجاب النساء وعدم مخالطتهن للرجال لعدة أمور :

منها أن الطبع البشرى لايسمح أن يطلع أحد على حرم غيره فضلاً عن حرم نفسه .

ومنها أن النساء عند الرجال كالأسرار ، ولا تسمح النفس باطلاع غيرها على سرها .

ومنها أن مبادئ ميل النفس إلى الشهوات إنما هو الاختلاط والاجتماع ، والميل للشىء لايكون إلا بعد رؤيته ؛ لاستحالة الاختلاط مع غض النظر المنهى عنه شرعًا . فلذلك منعت الشريعة الغراء النساء من الكشف بحضرة الأجانب ، وأمرتهن بالاحتجاب عنهم غيرة عليهن ودرءا للمفاسد والشرور ومحافظة على العفة وطهارة النفس كما قال أحد الأدباء :

« العفة حجاب يمزقه الاختلاط » وليس المنع من الاختلاط خاصًا بالنساء دون الرجال ، بل الرجال أيضاً وعون من رؤية النساء الأجانب أيضاً والخلوة بهن .

ورب معترض يقول : إن فى اختلاط الجنسين فائدة تبادل الأفكار والمعلومات وانتشار الجماعات وغيرها كما هو حاصل الآن فى الجامعات المدرسية وغيرها .

فالجواب على ذلك: أنه لا يعود من اختلاط البنت بالشاب أو المرأة بالرجل إلا تضررها بزوجها وتضرر زوجها منها ؛ لأنه لو فرض أن زوجها كان فقيراً أو متقدمًا فى السن واجتمعت بمن هو أغنى منه أو أصغر منه سنًّا لبطرت معيشتها مع زوجها وكرهت الإقامة معه .

وكذلك الزوج ربما عرضت له خواطر نفسية باجتماعه واختلاطه بمن هى أغنى منه أو أصغر سنًّا فينتهى الأمر إلى الفراق ثم إلى الطلاق وخراب المنزل ، كما هو حاصل الآن فى بعض الأسر .

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على وجوب احتجاب النساء ، ومنعهن من مخالطة غير محارمهن كثير نذكر منها ما يأتى :

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا) أى تستأذنوا (وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) فيقول الواحد : السلام عليكم ءأدخل ؟ (ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) من الدخول بغير استئذان (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) أى فتعملون به (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا) يأذن لكم (فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ) بعد الاستئذان (ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ) أى الرجوع خير لكم من القعود على الباب (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) من الدخول بإذن و بغير إذن (عَلِيمٌ) فيجازيكم عليه . النور ٢٧، ٢٨

فرعايةً لحرمة النساء ، وصونًا للأعراض ، ومحافظةً على حق المسلم فى التمتع بما أباح الله له من الحرية فى بيته حرَّم الله عز وجل على كل مؤمن أن يدخل بيتًا غير بيته قبل أن يستأذن أهله و يسلم عليهم ، فإن أذنوا له بالدخول فيها ، و إلا رجع .

والسبب فى ذلك أن كل إنسان له فى مسكنه حالات خاصة لا يحب أن يطلع عليها أحد من الناس ولو كان ألصق به وأقربهم إليه .

فلو أتيح للانسان أن يدخل البيت على أهله من غير استئذان لفاجأهم بما يكرهون ، وأصابهم بما يؤلمهم ، وقد يقع نظره على ربة البيت وهى مكشوفة الرأس ، عارية بعض أعضاء البدن ، وفى ذلك زيادةً على الفتنة له ، والإيذاء لصاحب البيت ما لايخفى من العواقب السيئة ، والنتائج المحزنة .

ولهذه الحكمة الجليلة حرّمت الشريعة الإسلامية الغرّاء على الإنسان أن يدخل فى بيت غيره قبل الاستئذان لكيلا يقع نظره على أهل البيت و يطلع على أحوالهم .

والسرّ فى إيجاب الاستئذان هو صيانة الأعراض ، والمحافظة على العفة والحياء ، وعدم الاختلاء بالنساء ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إِيَّاكُمْ وَالْخَلْوَةَ بِالنِّسَاءِ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَاخَلاَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ دَخَلَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمَا » وفى رواية « إِلاَّ وَكَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا ، وَلأَنْ يَزْحَمَ رَجُلٌ خِنْزِيرًا مُتَلَطِّخًا بِطِينٍ أَوْ حَمَأَةٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَزْحَمَ مَنْكِبَ امْرَأَةٍ لاَ تَحِلُّ لَهُ » .

وقوله : « لأَنْ يُطْعَنَ فِى رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لاَ تَحِلُّ لَهُ »

وهذا الحديث الشريف صريح فى منع اختلاط الرجال بالنساء ، والاحتكاك بالمرأة الأجنبية مهما كانت حالتها .

والذى يؤيد أقوالنا فى أن مسألة ضرورة احتجاب النساء وعدم اختلاطهن بالرجال أصبحت غير مرعية الجانب بين العائلات المصرية ماقاله حضرة صاحب العزة محمد نور بك رئيس محكمة جنايات مصر (رحمه الله) فى حكمه الصادر فى حادثة المرأة التى قتلها زوجها بسبب الحب والغيرة عليها من اختلاطها بشخص أجنبى ، وهو :

مع الأسف الشديد أن الأخلاق فى مصر قد تطوّرت تطوراً كبيراً ، وتقاليدنا غير مرعية بين العائلات ، لأن الأجنبى لايهتم به أحد ، ولاحول لنا ولا حيلة سوى أن نقول : حسبنا الله ونعم الوكيل . اللّهم اهدنا جميعًا إلى سواء السبيل .

على فكرى

(مجلة هدى الإسلام ، السنة الرابعة ، العددان ١ ، ٢)

هذا ، ومن مجموع هذه الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية يتبين لنا أن الدين القويم قد جعل بين المسلم والمسلمة، و بين الفسوق سدًّا منيعاً من الآداب وحصناً حصيناً من الأوامر والنواهى ، اللَّهم اجعلنا ممن يعملون بأوامر الدين وينتهون عما نهى عنه .

٨ — سوء عاقبة الاختلاط

لقد طغت المدنية الحديثة على العادات والتقاليد الشرقية الإسلامية ، وأضلت أبناء مصر فى أخلاقهم حتى أصبح اختلاط الرجال بالنساء أمراً مباحاً فى المجتمعات والاحتفالات ، بل أمراً لازماً لتبادل المنافع والمعاملات ، وقام فريق من الإباحيين المنغمسين فى حب الأجانب ينادون ويهللون بوجوب اختلاط الجنسين فى دُور التعليم وفى الجامعات حتى تأخذ مصر مركزها بين العالم المتمدين كأنَّ تمدُّنَ مصر وحضارتها موقوف على اختلاط البنين بالبنات ، وأن هذا من أسباب رقيها وتمدنها .

ولكن لو نظرها العاقل بعين الإنصاف المجردة عن الغرض فى الحوادث المؤلمة المحزنة التى تقع يوميًّا بين أظهرنا من جراء الاختلاط المعيب ونتائجه السيئة ، لطلب معنا الرحمةَ على الزمن الماضى ، واستغاث برجال الحزم والدين من هذا الطغيان والفساد الذى عمَّ العباد وانتشر فى جميع البلاد ، ونادى بتحريم اختلاط الجنسين والرجوع إلى عاداتنا وتقاليدنا الشرقية والتمسك بالسنة الشريفة والعادات المنيفة .

ولا يخفى على كل عاقل أن اختلاط الرجال بالنساء والخلوة بهن هما الداء العضال لكل مجتمع والسبب المباشر للزنا وكثرة اللقطاء من أولاد الزنا .

فقد جاء فى الأثر : « مَا اجتمعَ رجلٌ بِامرأةٍ إلاَّ وكانَ الشيطانُ ثالثَهما » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما تَرَكْتُ بَعْدِى فِتْنَةً أضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ »

وقال أيضا : « اتَّقُوا فِتْنَةَ الدُّنْيَا وَفِتْنَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ مِنَ النِّسَاءِ » .

وسبق أن قد كتبت موضوعاً فى مجلة النهضة النسائية بالسنة الحادية عشرة تحت عنوان « العفة حجاب يمزقه الاختلاط » و بينت فيه المضارّ التى تنجم عن هذا الاختلاط ؛

والذى دعا الآن لإعادة الكتابة فى هذا الموضوع الخطير ما قرأته فى جريدة الأهرام فى العدد الصادر فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٣٣ من حادث زواج غريب فصلت فيه محكمة السيدة زينب الشرعية وجاء فى حيثيات الحكم قوال تؤيد نظريتنا ، وتضرب لنا بها المثل الأعلى فى المحافظة على الأخلاق ، وفيها عبرة وذكرى لأولى الألباب .

وخلاصة هذه القصة: أن فتاة من فتيات البيوت الراقية رفعت دعوى تطلب فيها إلى المحكمة أن تفرض لها مبلغاً شهرياً نفقةً على زوجها الذى لم يعترف بالزوجية و يدعى طلاقها قبل الدخول والخلوة بها ، وقدم إشهاد الطلاق الرسمى ؛ كما أن الزوجة قدمت خطاباً قالت : إنه أرسله إليها الزوج وهو يتضمن عبارات الحب والهيام والوجد والغرام ، كما أنها قدمت ورقة عرفية يعترف فيها حضرة الضابط بأنه سيحضر فى يوم معين إلى القاهرة لعقد زواجه الرسمى بها ، وتعهد بأنه إذا لم يحضر يدفع لها ٣٠٠ جنيه تعويضاً وردّا لشرفها .

وقد رأت المحكمة أن تحضرهما لاستجوابهما ، فحضرا إليها ، وقال حضرة الضابط : إنه قابلها عدة مرات فى الشارع وفى بيت معلوم (أى بيت سرى بالمفتوح) وأنه ذهب معها إلى السينما .

وأما الزوجة فقد اعترفت بأنه تعرف بها وهو تلميذ بالمدرسة الحربية ، وهى تلميذة بالمدرسة السنية ، واتصل بها عهداً طويلاً ، وكان يأخذها إلى ضواحى المدينة للفسحة معها .

ألم يكن هذا من طريق إباحة اختلاط الرجال بالنساء ؟

و بعد أن بحثت المحكمة فى هذه الدعوى و بنوع خاص الخطاب الغرامى الذى أرسله حضرة الضابط الهمام إلى الفتاة المغرورة بشكله وهندامه ، المفتونة بحبه وغرامه ، قالت :

أقوال المحكمة الحكيمة السديدة .

تبرأ المحكمة من لغة هذا الخطاب ماوصل به الحال بين المتداعيين فى عشق وغرام فما بالك بما يحصل بينهما عند اللقاء والخلوة بها .

فالقول بأنه لم يختل بها خلوةً صحيحةً بعد ماسمعته المحكمة من تاريخ الحب بينهما قول لايدخل أذن إنسان ، ولا يجوز سماعه إلا على البسطاء الذين لم يعرفوا ما فى طيات هذا الكون من مفاسد وشرور .

على أننا لانذهب بعيداً ، فقد اعترف فى ورقة الاعتراف الأخرى بأنه إذا لم يحضر لعقد الزواج فإنه يدفع لها المبلغ المذكور تعويضاً لها وردًّا لشرفها .

صحيح أن هذا الخطاب ووثيقة الاعتراف هذه ، قد جاء فيهما مايدل على أن ذلك قبل الزواج ، غير أننا نقول : إن بداءة الشئ تدل على ختامه ، وأوائل الأمور تدل على نهايتها فإذا كان هو قد اعتدى على شرفها قبل زواجه بقليل من الأيام ، وكان يذهب معها إلى دور السينما ، فلايعقل أن يكون قد امتنع عنها بعد أن صارت حلالاً له .

ثم قالت المحكمة : هذا و إن المحكمة لتسجل فى هذا المقام تلك الظاهرة التى هى من ظواهر هذا العهد الذى نعيش فيه ، بل تلك المآسى الخلقية التى رأتها المحكمة مراراً وتكراراً فى ساحتها يمثلها جماعة الفتية والفتيات ، خصوصاً فئة الضباط من الشبان ، وتلك المأساة هى : تلاقى الفتية بالفتيات ، فاعتداء على الشرف والعرض .

ألم يكن ذلك نتيجة الاختلاط المزرى الذى أشرنا إليه؟ فعقد الزواج خوفاً من تبليغ النيابة ، فطلاق يدوّن فيه كذباً و بهتاناً أنه قبل الدخول والخلوة ، فراراً من حقوق الزوجية بعد هتك العرض

هذه هى المأساة الاجتماعية التى انتشرت فى مدن الدولة ، وكادت تقضى على شرف الأسرة وكرامة العائلة فى بلاد دينها الرسمى الإسلام ؛ ونحن عن ذلك غافلون ذاهلون .

ولامبعث لذلك إلا انحلال الأخلاق بسبب إهمال التعليم الدينى من النظام المدرسى ، وتخريج جيش من المتعلمين والمتعلمات فى كل عام لايمتون إلى الدين بأى نسب ، بل هم حرب عوان على الدين والأخلاق .

فهل من تفكير من ولاة الأمور فى هذا المصير ؟

و بعد ذلك أصدرت المحكمة حكماً يقضى بإثبات هذه الزوجية المدّعاة ، فأنعم وأكرم بهذا القاضى العادل الذى بحكمه هذا دلّ على أن فى مصر قضاة يحذون حذو السلف الصالح فى أحكامهم ، والذى برهن على أن هذه المأساة الخلقية نتيجة مباشرة لسوء التربية والتعليم فى مصر ، التى جرّت إلى الاختلاط وسوء عاقبته ، وهـذا ولاشك أثر من آثار المدنية الحديثة ، وقانا الله شرها ، وحفظ البلاد منها ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

على فكرى

(مجلة النهضة النسائية)

السنة الثانية عشرة ، العدد الأول فى يناير سنة ١٩٣٤

٩ ـ اختلاط الشبان بالبنات

وسوء عاقبته

كتبنا كثيراً فى مجلة النهضة النسائية وغيرها ، وحذّرنا من سوء عاقبة اختلاط الشبان بالبنات ، وقلنا إن اختلاط الجنسين نكبة أخلاقية يتردى فيها العفاف صريعًا ، وتنحط الأخلاق سريعًا ، وها قد وقعت الواقعة ، وحدثت حادثة تثبت صدق نظريتنا ، وتؤيد أقوالنا ، حيث جاء بجريدة الأهرام الغراء ، الصادرة فى يوم الاثنين ١٨ مارس سنة ١٩٣٥ مايأتى :

« محكمة شرعية تطالب جميع الدول ورجال الدين بحماية المرأة من مفاسد المدنية »

و بعد أن شرحت القضية وماقررته المحكمة بشأنها قالت المحكمة كلمة حكيمة وجهتها تقريعًا ولومًا لأبوى الفتاة ، نذكرها هنا بنصها ، عبرةً لمن يعتبر ، وذكرى لمن يتبصر و يتدبر .

« بقيت كلمة المحكمة لأبويها ، وإنها لكلمة عسيرة مريرة ، فقد كان اختلاط المدعى عليه بابنتيهما تحت سمعهما و بصرهما كما يستفاد من اعترافاتهما بالمحضر ، ومن الخطابات المودعة بالملف ، وهما يعلمان النتائج الحتمية التى يثمرها اختلاط الشبان بالفتيات فى ميعة الصبا ، ولكن يظهر للمحكمة من ذلك أنهما كغيرهما من الآباء والأمهات الذين رأيناهم فى الحوادث العديدة قد أهملوا رقابة الفتيات ، وتركوا حبلهنّ على غاربهنّ للبحث عن العريس ، واقتناص القرين ، فكانت النتيجة أن اقتنصت البنات ، ووقعن فى حبائل الشيطان ، وتغرير الفتيان ، ثم أعرضوا عنهن ، فندم الآباء ولات حين مندم .

فهل من تشريع يرد هذا الوباء الخُلقى الذى يهبّ من الغرب على الشرق حتى كاد يقتلع آداب الأديان السماوية ، وشعائر العفاف والغيرة على الأعراض باسم المدنية ، والأولى بها أن تسمى الهمجية ، فإن المدنية الحقيقة من ذلك براء .

وقَسَماً ببارئ النسمة إنه إذا لم تتكاتف الأمم المتحضرة ضد تبذل المرأة وخروجها على تقاليد الحشمة والوقار ، والوقوف بها عند الحدود التى وضعتها الشرائع السماوية لها

لعاد العالمَ جاهليةً كجاهليته الأولى ، فسادت الفوضى ، ورخص العِرض ، وديست الحرمات ، وضاع النسل ، وانحلّ نظام الأسرة ، فصار الناس بدداً ، وطرائق قدداً .

وهذا قضاء على الأمم والممالك ، وفناء للطوائف والجماعات (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَـٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) .

فلتتدبر الأمم ، ولتفكر الحكومات ، وليقم رجال الدين بواجبهم ، وليتكاتف الجميع على صد تيار الشهوات الخسيسة ، ومقاومة هجوم الإلحاد والاستخفاف بالآداب والأخلاق التى أتى بها الأنبياء ، إذ ليس وراء الله مؤدب ، ولا بعد الوازع الدينى واعظ ولا مرشد » .

فهل بعد هذه الكلمة الوجيهة ، والنصيحة الرشيدة التى وجهتها المحكمة الشرعية إلى الحكومات ورجال الدين ، يصح أن يقول أنصار وزعماء المرأة الجديدة بوجوب اختلاط الجنسين فى دُور التعليم والجامعات والجمعيات والنوادى وغيرها ، زعماً منهم أن فى ذلك تقدم المرأة وثقافتها ورقيها ، وقد تبين الرشد من الغى ، والهدى من الضلال .

نسأل الله أن يحوّل حالنا من هذا الحال إلى أحسن حال ، إنه السميع المجيب ؛ ولقد صدق الله تعالى فى قوله : (إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) .

على فكرى

(مجلة النهضة النسائية)

العدد الرابع من السنة الثالثة عشرة، إبريل سنة ١٩٣٥

---

١٠ — الرقص

إن رقص النساء فى الأماكن العمومية ، كالشوارع والمقاهى والحفلات ، وكل مكان يوجد الرجال فيه ، لهو من الأمور المخلة بالآداب المفسدة للأخلاق ، وهو حرام فى حرام ، ومعاقب عليه قانوناً بنص المادة ٢٤٠ من قانون العقوبات الأهلى وهى :

« كل من فعل علانية فعلاً فاضحاً مخلاً بالحياء يعاقب بالحبس مدة لاتزيد عن سنة ، أوغرامة لاتتجاوز خمسين جنيهاً مصريًّا » .

وهل هناك فعل فاحش مخلّ بالحياء والأدب ، مثل الرقص الذى يدعو لإثارة الشهوة البهيمية فى الرجال ، ويجرهم إلى ارتكاب الفحشاء مع النساء .

وقد ورد فى الحديث الشريف : « إِذَا فُقِدَ الْحَيَاءُ مِنَ النِّسَاءِ ، وَالْغَيْرَةُ مِنَ الرِّجَالِ ، فَقُلْ عَلَى الدِّينِ الْعَفَاءُ » .

وقد سبق صدور حكم من محكمة الجنح على إحدى الراقصات فى مصر بمقتضى هذه المادة بتاريخ ١٨٩٤/١٠/٧ ؛ وقد صدر من عهد قريب أن الحكومة المصرية أصرت بمنع الرقص بالمحال العمومية خصوصًا (رقص البطن) صيانةً للآداب العامة ، ولكن لايزال (الرقص الأفرنجى الخليع) لايزال منتشرًا فى المحالّ العمومية وفى الحفلات والسهرات حتى فى المدارس ، الأمر الذى دعا حضرة صاحب المعالى وزير المعارف الأسبق مرسى بدر بك إلى منع الرقص على نغمات الموسيقى المعروف (بالرقص التوقيعى) الذى كان البنات يقمن به أثناء الرياضة البدنية ، لأنه يثير الغرائز البهيمية ، ويخالف الآداب الإسلامية ، كما جاء فى أمر معاليه لمدارس البنات .

وقد كتبت إحدى السيدات العاقلات (مدام يوسف اصطفان) كلمةً فى جريدة السياسة الصادرة فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٢٦ جاء فيها : (الرقص)

إنما الأمم الأخلاق مابقيت فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

يخجلنى كثيراً أن أذكر نقصًا فى أخلاق بعض فتياتنا المصريات ، إذ قد علمت بجنوح فتاة (لى معرفة بها) إلى محلات الرقص الغربى الذى لايتفق مع عاداتنا الشرقية ، والذى يقودنا إليه تقليدنا الأعمى للفتاة الغربية .

ولما كان ليس من شيمتى أن أوجه لها كلمات التأنيب ؛ كما وإنه يؤلمنى كثيراً مقابلة ذلك بالصمت لجأت إلى صحيفتنا النسائية التى هى بمثابة مرآة نبصر فيها عيوبنا ، ونرى فيها فضائلنا ؛ لذلك دفعتنى الغَيرة على الآداب أن أسدى بنصيحتى لها ولمثلها من الفتيات بالكف عن الخوض فى هذه الطرقات الوعرة المسالك لما يعود عليهن من ورائها من فساد الأخلاق وانحطاط الشرف ، وأن يقلعن عن شطر هذا الاتجاه حيث لايطابق آدابنا

وأذواقنا ، وخير للفتاة أن تنصرف إلى مايعود عليها وعلى مستقبلها من الأعمال النافعة .

وإن كان سيلحقني اللوم من اللواتي يظنن بي حب الانتقاد ، غير أني أجد ذلك داء يجب معالجته قبل استعصاء الأمر واستفحاله ، فنفس الفتاة الأبية لاتقبل أبداً مايقتضيه الرقص من حركات واختلاط ، الأمر الذي يقودنا إلى هدم أركان الفضيلة ببلادنا ، فلو ترك للفتاة العنان فلا بد أن تسوء العاقبة إلى أكثر من ذلك ، وتلك هي الحال التي تسوق الشبان إلى التردد في الزواج .

يظن بعض الوالدين أن هـذه خطوة ارتقاء تصحب الفتاة فلا تلبث أن يأتي الحال بالعكس ، فحرية الفتاة لاتتعدى دائرة حفظ آدابها ، والحرص على كرامتها .

إن ذلك لايتفق مع مطالبنا بتحرير المصرية التي نسمع كل يوم صرخاتها الصاعدة في قلوب مفعمة بالغيرة على مصلحتنا الوطنية ، فإزاء هذه المناظر الممقوتة التي تمثل أمامنا كل يوم نطلب من آبائنا العقلاء وأدبائنا الفضلاء أن يقوّموا كل اعوجاج في فتياتنا ، وأن يوصدوا في وجوههن هذا الباب بيد من حديد ، وإلا فعلى العالم السلام .

مدام يوسف اصطفان

لقد أصابت السيدة المحترمة في حديثها هذا ، واعتراضها على الرقص ، وهو النقص أو العيب الذي نشكو منه ، وتشكو منه أيضاً النساء العاقلات من الأمة . وياحبذا لو قام الاتحاد النسائي بطلب منع ذلك . وياحبـذا لو اتبعت حكومتنا العادلة المـادة ٢٤٠ من قانون العقوبات ، وضربت على أيدي النساء الراقصات الخليعات لاقتلعت هذا الداء من جذوره في جميع البلاد ، وقضت على الفساد ، وأراحت العباد ، وحفظت على الناس أموالهم وأخلاقهم وأعراضهم ، وحفظت لمصر سمعتها وشرفها في جميع الأقطار .

علي فكري

١١ — الرقص الأفرنجى

فى كل سنة ، بل فى كل يوم ترمينا المدنية الأوربية بواحدة من آفاتها المحرّمة ، بل من قذائفها المهلكة التى تنفث فينا سمًّا زعافاً من سمومها القتالة ؛ فمن آفاتها التى أصيبت بها الأمة المصرية أخيراً (الرقص الأفرنجى) هذا الخطر الاجتماعى الذى ينخر فى عظام المجتمعات ، ويقوض دعائم أركان الأسر ، ليس ذلك الرقص الطبيعى الذى يشعر النفس بالطرب ، وليس هو الرقص البرىء رقص الأطفال ، وليس هو الرقص الذى يظهر الإنسان به سروره فى غير تكلف ، ولا يتعدّى الحشمة والوقار ، بل هو الرقص المنظم الذى لا يتم إلا باجتماع الجنس اللطيف والنشيط ؛ ذلك الخطر العظيم الذى انتشر بين العائلات المصرية الراقية وغير الراقية ، وأخذ دعاته يوهمون البسطاء والشباب الساذج المتهوّر المتهوّس الطائش بأنه رياضة بدنية يجب على كل إنسان متعلم مهذب راق أن يعرفه ويتعلمه ، بل ويتمادون فى الدعاية إليه بأنه ألزم للسيدات من فن تدبير المنزل وفن تربية الأطفال .

ومع أن هذا الرقص بدعة أوربية محضة ، ومع أن عادة الأوربيين وأذواقهم وأخلاقهم قد لا تمجها وتبيحها ونسمح بها ، ومع ذلك عادت على العائلات الأوربية بالويل والثبور وعظائم الأمور . فقد شهد المفكرون منهم والكتّاب المصلحون بأن هذه البدعة فككت من عرى الاتحاد العائلى ، ونالت من الغَيرة الزوجية كل مأخذ ، فكثر التعدى على الآداب وكثرت حوادث الطلاق ، وعمّ الشر والشقاق ، ويستشهدون على ذلك بسجلات الطلاق وحوادث البوليس .

فاذا كانت هذه نتائج بدعة الرقص فى البيئة الأوربية التى اخترعتها ونظمتها ووضعت قواعدها ، فما بالك بنتائجها الضارة فى الوسط المصرى الذى يختلف عن الوسط الأوروبى كل الاختلاف .

إن العاملين على انتشار هذه البدعة بين العائلات المصرية مهما كان الداعى لهم شريفاً ومهما كان مقصدهم بريئاً ، فهم يعملون على هدم صرح الغَيرة الزوجية ، وصرح الشرف المصرى ، ويدعون إلى الخراب العاجل .

والذى دعانى للكتابة فى هذا الموضوع الخطير هو كثرة ما نقرؤه فى الجرائد عن افتتاح مدارس للرقص والإعلان عن معلمى هذا الفن (إن صح أن يكون فنًّا) هذا الفن الذى يشين الأخلاق الشريفة الفاضلة ، ويجر إلى الرذيلة ؛ وإن تعجب لشاب يدفعه طيشه ، ويسوقه نزق الشباب إلى الوقوع فى تلك الهاوية ؛ فعجبك أشد حينما تسمع بأن رجلاً عجوزًا ربَّ عائلة يمتهن كرامته ، ويخون عهد زوجته وأولاده ، ويدخل فى ميدان الرقص ، ولو قدّر لك أن ترى ذلك العجوز ، وهو يتذلل إلى فتاة يلتمس منها رقصةً وهى تأبى عليه ذلك ، لطمعها فى الرقص مع شاب أنيق مفتول العضلات ، يشترك معها فى العاطفة الملتهبة ، والشعور الحارّ المتدفق ، لو رأيت ذلك لأشفقت على ذلك العجوز المتصابى المتدلل المتذلل ، ولأيقنت بأنه رجل مستهتر ناقص العقل والإدراك ، عبد للشهوات ، وأسير للراقصات ؟

على فكرى

(مجلة النهضة النسائية)

السنة الخامسة العدد ٥٣ ــ مايو سنة ١٩٢٧

حول الرقص

(وصف حفلة رقص لشاهد عيان)

ما إن أبلَّ صديقى من مرضه ، وعوفى من سقمه ، إلا وأقام له أبواه حفلاً راقصاً كان قد وعد أبوه بإقامته إن منَّ على ابنه بالشفاء ، وحدّد ميعاد ذلك الحفل الرقصى ، وأخذ والد صديقى يستعد له بسخاء ليدخل السرور على قلوب المدعوّين ، وكنت أنا واحداً منهم ، وشاهدت بنفسى كيف انكسرت قلوب الأكثرين ، وانكلمت نفوسهم ، وانفطرت أفئدتهم ، وكان معظمهم من الساخطين .

كانت نفسى تتوق فيما مضى أن ترى حفلاً كهذا ، فلما تحققت أمنيتى شاهدت ، ولبئس ماشهدت وباله من منظر تعاف رؤيته النفوس ، التى لايزال فيها بقية من غَيرة ، ويأباه الدين الإسلامى الطاهر ! .

لقد شاهدت عيناى مامن أجله احترق الفؤاد غضباً ، والكبد غيظاً ، وانقلب بصرى خاسئاً وهو حسير ، على ما فرط ممن يدّعون الإيمان وهو منهم براء ، حيل تخترع ، وبدع تبتكر ، وقع فيها أولئك الذين يتمتعون من التعليم بقسط وافر ، لكن المدنية الكاذبة استعبدتهم فكانوا لها كالظلال ، واستمالهم الشيطان بحطام المتعة التى يشتريها أصحابها بالمروءة والدين (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) .

إن يراعى ليعجز عن وصف مارأيت فى ذلك الحفل من إثم كبير انطوى تحت جناح المداعبة ، فانطوى معه الحياء والعصمة جميعاً ، فترى الفتى وقد عانق الفتاة ، والرجل وقد خاصر المرأة ، فتلامست الأجسام ، وتقابلت الشفاه ؛ ولو تصوّرت هذا المنظر لشعرت بتيار ليس هو بتيار كهربائى ، أوحرارة حمى ، ولكنها الشهوة العمياء التى تجعل الإنسان كريشة فى مهب الريح تعصف بها الأهواء ، وتعبث بها الأنواء ، أبت إلا أن تقدم على الشرور والآثام ، فحركت النفس (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) وللنفس حرقة نفسية ، وعناء شديدة هوجاء ، تخرج المرء من نطاق الحكمة ودائرة الرشاد ، فتسلبه الإرادة والتفكير حتى يصبح أسيراً لها فلا يجد مفرًّا منها .

ليت شعرى كم كنت مغتبطاً لو كنت أعلم ما فى ضمائر هؤلاء المخلوقات حتى أقف على مكنونات أسرارهم ، وماتخفيه صدورهم ؟ وكم كنت أكون مغتبطاً أكثر وأكثر لو كشف لهم منهم عن مقاصد حسنة ، وضمائر نقية طاهرة ؟ ولكنى أومن بأنهم مندفعون إلى الرقص بسائق المرح ليس أكثر ولا أقل ، وأنهم هم أنفسهم لايستطيعون أن يخفوا مايخالف ذلك ويباينه ، وإن كان غير هذا فالله علام الغيوب .

ترى الفتاة وقد ارتمت فى أحضان الغريب عنها ، والمرأة بين ذراعى رجل غير زوجها ، فياله من منظر مؤلم لايسكن إليه إنسان إلا بعد أن يروّض نفسه على الرضا بما لايرضى الله ، ولايتفق مع قواعد الصون والعفاف ! ووالله إنهم ما اجتمعوا إلا ليختطف العاشق حبيبته من يد زوجها أوأبيها أوأخيها أو عشيقها الآخر ، أو ليختطف الوالد عشيقاً لابنته حين أعيته الوسائل والحيل ، أو تفتش الزوجة التى ملّت معاشرة زوجها وَسَئمته عن آخر

جديد ترمى بين ذراعيه ، أوليلق الأب بابنته الطائشة الشوهاء إلى فتى من الأغرار ، يرجو أن يعميه الشغف الحاضر بها عن النظر إلى عيوبها فيقع فى حبائلها ، وما أوقعه إلا شهوته التى تسلطت على عقله وأسرته عبداً .

وأى رجل عاقل يخاف على دينه وعرضه ، وتهمه مروءته وسمعته ، يترك ابنته أو إحدى قريباته تندس فى مثل هذا الحفل ؟ وأى رجل شريف موفور الكرامة يقبل أن ترتاد ابنته أوامرأته تلك المحال ؟

أين احتجّ المصريون الذين انغمسوا فى هذه الحمأة بأنهم إنما يفعلون شيئاً قد فعله الأوربيون من قبل ، أوقدماء المصريين فى الدهر الأول ؛ فهذا هو التقليد الأعمى الذى يعيبه الحكماء ، ويحذر منه قادة الإصلاح ؛ فلايصح لامرئ أن يقلد غيره إلا إن كان الشئ الذى يقلد الغير به قد أباحه دينه ، وفى اقتباسه مصلحة للوطن .

ولا ريب أن الدين الإسلامى حرم اختلاط النساء بالرجال ، فمن باب أولى تحريم الرقص ، لأنه من أشر أنواع الاختلاط ؛ فلم لانتبع ديننا ، ونعمل بسنة نبينا ، فنفعل مابه أمرنا ونبتعد عما عنه نهينا ؟ ليكافئنا الله بالعز والسيادة كما كافأ آباءنا يوم آثروا طاعة الله على ميولهم وشهواتهم .

محمد عز الدين حافظ
بكلية الحقوق

النهضة النسائية ـ العدد الثامن أغسطس سنة ١٩٣٥ من السنة الثالثة عشرة

حول الرقص الأفرنجى أيضاً

مما لفت نظرى وكدّر خاطرى ومشاعرى ما قرأته فى جريدة الأهرام الغراء الصادرة فى ٢٩ أغسطس سنة ١٩٢٦ عن حفلات (سان استيفانوا بالإسكندرية) بشأن مسابقة الرقص حيث قالت: اجتمعت فى كازينو (سان استيفانو) ليلة الجمعة ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٦ حفلة راقصة تبارى فيها الراقصون والراقصات فى الاستمرار على الرقص ليعرف أيهم أبعد الراقصين والراقصات مدّى وأكثرهم جلداً ونشاطاً ؛ وقد ابتدأت المسابقة فى الساعة التاسعة

وكان عدد المتبارين نحواً من ستين زوجًا (راقصاً وراقصة) واستمر الرقص إلى الساعة الثانية بعد نصف الليل ، وانتهت المباراة وأعلن فوز ستة منهم ، وقد وزعت الجوائز على الفائزين .

وقد نشرت جريدة (الكشكول) فى عدد يوم الجمعة ٣ سبتمبر سنة ١٩٢٦ خبر هذه الحفلة وقالت : إن بنت معالى فلان باشا الوزير السابق تفوّقت على زميلاتها فى اختيار أغلى الملابس ثمناً ، و بنت سعادة فلان باشا تفوقت فى كذا ، و بنت الوجيه فلان تفوقت فى كذا ، وكلهن أجدن الرقص إجادةً ليس وراءها غاية .

أليس التساهل مع النساء، و إباحة الرقص، والفخفخة والخلاعة، مما يدعو إلى الفضيحة والحالة الاجتماعية اليوم معرَّضة للخطر على آدابها بما يسمونه (حرية النساء أو حرية المرأة) والواجب شدُّ السرج لهذا الفرس الجموح .

وليس الرقص جديداً فى مصر، ولكنه قد جاءنا منذ وطئ الأفرنج بأقدامهم أرض مصر ، ثم انتقلت عدواه إلى الطبقة العالية (الأرستقراطية) فظل هكذا زمناً طويلاً ينتقل بين العائلات الخليعة حتى سرت عدواه منها إلى الطبقة الوسطى التى هى سواد الشعب .

و إن فى سريان الرقص بين أفراد الأمة لخطراً عظيماً نستهدف له ، وسوف يصيب أخلاقنا منه شر كثير ؛ و إن من أكبر العوامل التى دعت إلى هذا الانتشار نزوح عدد عظيم من أبناء البلاد إلى أوربا سواء كان ذلك من أجل العلم أو التجارة أو النزهة أو الاستشفاء من الأمراض .

وفى البلد الآن حركة غير اعتيادية ، فالشبان ومعظمهم من الطلبة والموظفين مقبلون على الرقص بحال تدعو إلى الدهشة والاستغراب والأسف .

فنصيحتى إليك أيتها الفتاة المصرية وأيها الشاب المصرى أن لاتتعلما الرقص خوفاً من الوقوع فى شرك الهوى والردى . واعلما بأن الرقص نقص ومهزلة ، وهو أقوى ضروب اللهو وأشدها تأثيراً على النفس ، بل أعظمها خطراً على الأخلاق الكريمة .

فإذا ماشوهد فتى وفتاة يرقصان مع بعضهما اتجهت الأنظار إليهما وحامت حولها

الظنون ، وقد ذكرت حوادث وقصصاً كثيرة عن فتيات ظن فيهن حسن السيرة وطيب السريرة فإذا بهن عند الزواج وقد اتضح وانفضح أمرهن وصرن لا يختلفن عن النساء الساقطات الفاجرات ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

داء الرقص داء وبيل يفتك بالأخلاق التى نعاها الفيلسوف (تولستوى) فى بلاد الرقص أيًّا كان موقع هذه البلاد وأيًّا كانت نظمها واعتباراتها السياسية .

وهذا الداء الخطير هو الذى أوجد النزاع بين (نابليون) الشرق (الغازى مصطفى كمال باشا) و بين (لطفية هانم) قرينته وكان سبباً فى طلاقها منه ، بدليل ماجاء فى إحدى الجرائد . أقيمت فى مساء يوم — حفلة راقصة فى قصر — الذى دعا إلى حفلته سفراء الدول وقناصلها وقرينانهم وذوى الحيثيات والمكانة ، وكان من بينهم الشاب شقيق لطفية هانم وقد وقع نظر هذا الشاب على قرينة سفير فأعجبه جمالها وهندامها وهام بها وتقدم إليها ، وقد لعبت الخمر برأسه فاجتمعت أم الخبائث مع الشاب الذى هو شعلة من الجنون وطلب إليها أن ترقص معه فأجابت طلبه فى أول الأمر لمركزه الأدبى الذى خلقه له اتصال أسرته اتصالاً مباشرًا برئيس الجمهورية التركية الذى تقدره جميع الدول حق قدره ، وخصوصاً الجمهورية الأمريكية ، و بدر من الشاب أثناء الرقص حركة آلمت السيدة وقرينها ، ولكنها لم تشأ أن تلفت نظره إلى أمره وحاله خشية أن يحدث ما لاتحمد عقباه ، وصبرت على مضض هى وقرينها حتى انتهى دور الرقص وعادت السيدة إلى مكانها بجوار بعلها .

عزفت الموسيقى بدور الرقص الثانى ، فتقدم الشاب ثانيةً إلى السيدة طالباً منها الرقص معه فرفض قرينها السفير طلبه . وهنا حدث أخذ ورد بين الرجلين وأبى الشاب إلا أن يعرف جواب السيدة على طلبه فرفضت هى أيضاً طلبه ، فثارت ثائرة الشاب واعتبر الرفض إهانة له يجب غسلها ، فتدخل رجال البوليس فى الأمر وقد حابوا الشاب لكونه صهر الغازى .

وفى صباح اليوم التالى علم الغازى بتفاصيل الحادث فأقسم — وهو بارٌّ بقسمه — إلا أن ينتقم ممن أساءوا إلى الشرف والقانون والعدالة ، فأمر بإلقاء القبض على الشاب صهره والذين حابوه و إجراء التحقيق معهم وقد نفذ الأمر .

عزّ على لطفية هانم أن يؤخذ شقيقها (وهى قرينة حاكم تركيا العام) من الدار إلى الفار فاحتجت لدى قرينها الغازى على اعتقال أخيها ، وحسبت وهى تحتج لدى قرينها وشريكها فى الحياة ، أنه لما بينهما من دواعى الحياة الزوجية السعيدة تأثير كبير يحمل الغازى على إلغاء الأمر السابق ، ولكن الغازى أصرّ على إظهار الحق ، وصارح قرينته التى أحبها من كل قلبه وأظهر إعجابه الشديد بها فى ظروف عديدة ومناسبات كثيرة ، أنه يسحق قلبه فى سبيل تأييد العدل، وفى سبيل نصرة الحق . ثم سافر الغازى إلى (بورصة) ومنها أرسل إلى قرينته خطاباً رقيق العبارة يعلمها فيه بعدم رغبته فى استمرار الحياة الزوجية معها (أى طلاقها) .

فانظروا كيف كان الرقص سبباً فى انفصال الغازى عن زوجته واعتقال أخيها الذى جنى على نفسه وعلى أخته هذه الجناية العظمى ، فما أقبح الرقص ! وما أعظم العدل والحق ؟

على فكرى

النهضة النسائية ــ السنة الخامسة العدد ٥٤ يونيه سنة ١٩٢٧

محاربة الرقص

غير خافٍ أن الشرائع أجمع تحرم كل مايخلّ بالآداب ، وما يوصل إلى طريق الفساد .

ومما لانزاع فيه أن (الرقص) من الأسباب المسهلة المحرضة على ارتكاب الموبقات ، وفيه إغراء بفعل المحرمات ، فوجب علينا أن نقاوم ذلك الداء الوبيل الذى انتشر بيننا وكاد تياره يجرف الصغير والكبير . وبالتالى يجب على حكومتنا الدستورية العادلة التى تقدس أحكام الدستور أن تعمل على صيانة الأخلاق ومصادرة كل ما من شأنه أن يضعف الحمية الشرقية والآداب الدينية .

وعندى أن الحل المرضىّ أن تصدر الحكومة أمرها بمصادرة محالّ الرقص وإبطالها ، وأن لاترخص لأصحاب تلك المحال بإدارتها لما ينتج عنها من السوآت والإخلال بالأمن والنظام .

ولست أذهب بعيداً فى التدليل على هذا فقد نشرت بعض الصحف حادثاً وقع فى بعض تلك المحال يثبت أن الرقص أساس الجرائم ، وأنه مصدر ارتكاب الجنايات .

ولقد كان البعض يتخذ عما تفعله (تركيا) نموذجًا يعتمدون عليه فى الاقتداء بها ، وكانوا يتشدقون بأنها أباحت الرقص ، فما قولهم الآن وقد شعرت (تركيا) بمضار التقليد الأجنبى ، والسير فى طريق المدنية الكاذبة ، فأصبحت تعمل على الرجوع إلى العادات الشرقية والآداب الدينية ، وهذا يدل على الندم والاستغفار ، والرجوع إلى الحق فضيلة على أية حال . من أجل ذلك أرجو على صفحات مجلة النهضة الغراء أن تفكر حكومتنا الدستورية الحاضرة فى القضاء على دور الرقص ومحاربتها حتى تخلص البلاد من شرور هذه الدور المهلكة ، والله ولى الصالحين ؟

المنيا صادق عبد العليم

مجلة النهضة النسائية ـ السنة الخامسة العدد ١٥ مارس سنة ١٩٢٧

حكم الشرع فى الغناء والمغنيات

والرقص والراقصات

لما كانت أغراض الشريعة السمحة ومقاصدها فى تشريعها تنحصر فى تهذيب الأخلاق وتطهير النفوس من أدران الشهوات الفاسدة وأوزارها ، فأى عمل من الأعمال يترتب عليه اقتراف منكر فهو حرام مهما كان فى ذاته حسناً ؛ فالتغنّى من حيث كونه ترديد الصوت بالألحان مباح لاشىء فيه ؛ ولكن قد يعرض له مايجعله حراماً أو مكروهاً ومثله اللعب ، فيمتنع الغناء إذا ترتب عليه فتنة بامرأة لاتحل أو بغلام أمرد (جميل) كما يمتنع إذا ترتب عليه تهييج لشرب الخمر أو تضييع الوقت وانصراف عن أداء الواجبات ، أما إذا لم يترتب عليه شىء من ذلك فإنه يكون مباحًا فلا يحل التغنى بالألفاظ التى تشتمل على وصف امرأة معينة لاتزال باقية على قيد الحياة ؛ لأن ذلك يهيج الشهوة إليها و يبعث على الافتتان بها ،

فإن كانت قد ماتت فإن وصفها لايضر لليأس من بقائها ومثلها فى ذلك الغلام الأمرد . ولا يحل التغنى بالألفاظ الدالة على وصف الخمرة المرغبة فيها ، لأن ذلك يهيج إلى شرابها وحضور مجالسها ، وذلك جريمة فى نظر الشريعة . ولا يحل التغنى بالألفاظ الدالة على هجاء الناس مسلمين كانوا أو ذميين ، لأن ذلك محرم فى نظر الدين فلا يحل التغنى به ولا سماعه .

أما التغنى بالألفاظ المشتملة على الحكم والمواعظ ، والمشتملة على وصف الأزهار والرياحين والخضر والألوان والماء ونحو ذلك ، أو المشتملة على وصف جمال إنسان غير معين إذا لم يترتب عليه فتنة محرمة فإنه مباح لاضرر فيه .

وأما اللعب فإن المباح منه ما كان خالياً من التكلم بالفحش والكذب وكشف العورة والاستهزاء بالناس ، ورقص النساء بحضرة رجال لايحلون لهن كما جرت عادة السفهاء من إحضار المومسات (الراقصات) المعروفات (بالعوالم) ليرقصن فى ولائمهم وأفراحهم ، فإن كان مشتملاً على شىء من ذلك كان محرماً لايحل التفرج عليه ولا إجابة الدعوى للوليمة المشتملة عليه .

هذا الذى ذكرناه لك هو ماتقتضيه قواعد الدين ، ويؤخذ من عبارات كثير من العلماء المفكرين الذين أوّلوا عبارات الأئمة بذلك التأويل ، فلنذكر لك نصوصهم نقلاً من كتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » .

١ — الشافعية : قال الإمام الغزالى فى كتابه « الإحياء » النصوص تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب ، والنظر إلى رقص الحبشة والزنوج فى أوقات السرور قياساً على يوم العيد فإنه وقت سرور ، وفى معناه العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر وسائر أسباب الفرح وهو كل مايجوز به الفرح شرعًا .

ويجوز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم فى موضع واحد على طعام أو كلام ، فهو أيضاً مظنة السماع ، على أنه قسم الغناء إلى أقسام كثيرة فذكر منها مايترتب عليه فتنة أو محظور دين أو كانت بألفاظ مستهجنة فى نظر الدين وقال : إن هذا القسم هو الحرام فمراده بالرقص الحركات التى يفعلها الرجال الذين يتصور فيهم الشهوة أمام مثلهم .

أما رقص النساء أمام من لا يحل لهنّ فإنه حرام بالإجماع لما يترتب عليه من إثارة الشهوة والافتتان، وما فيه من التهتك والمجون. ومثلهن الغلمان المرد أمام من يشتهيهم و يفتتن بهم .

ألم تكن المغنيات الآن يتغنين بألفاظ مستهجنة ، والراقصات يرقصن رقصاً خليعاً فاحشاً أمام الرجال والنساء ؟ .

وقد استدل الأستاذ الغزالي على إباحة الرقص برقص الحبشة والزنوج في المسجد النبوي يوم عيد ، حيث أقرّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك ، وأباح لزوجه السيدة عائشة رضى الله عنها أن تتفرج عليهم وهي مستترة به صلى الله عليه وسلم، وهو كما تعلم لا يثير أيّ شهوة .

فالمباح من الرقص شرعًا هو الذي لا يثير شهوة فاسدة ، وقال : إن الذي نقل عن الإمام الشافعي من أن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل لا ينافي إباحته ، لأنه إنما يريد القسم الممنوع فيه ، على أن مراده باللهو العبث ، والعبث ليس بحرام إلا إذا ترتب عليه محظور ديني ، وكذلك ما يشبه الباطل .

٢ — الحنفية قالوا : الغناء المحرم ما كان مشتملاً على ألفاظ لا تحل كوصف الغلمان والمرأة المعينة التي على قيد الحياة ، ووصف الخمر المهيج لها ، ووصف الحانات ، وهجاء المسلم ، أو الذمي إذا كان غرض المتكلم الهجاء ، أما إذا كان غرضه الاستشهاد أو معرفة ما فيه من الفصاحة والبلاغة فإنه ليس بحرام ، وكذلك إذا اشتمل على وصف الزهريات المتضمنة وصف الرياحين والأزهار ، أو اشتمل على وصف المياه والجبال والسحاب ونحو ذلك ، فإنه لا وجه لمنعه (انتهى من شهادات فتح القدير) .

فما نقل عن أبي حنيفة أنه كان يكره الغناء ويجعل سماعه من الذنوب ، وهو محمول على النوع المحرم منه (ويكره تحريماً عند الحنفية اللعب بالنرد والشطرنج ، وضرب الأوتار من الطنبور والرباب والقانون والمزمار والبوق ونحو ذلك) .

٣ — المالكية قالوا : إن آلات اللهو المشهورة للنكاح (الزواج) يجوز استعمالها فيه خاصة كالدف (الطبل) والغربال (الطار) إذا لم تكن فيه صلاصل ، والزمارة والبوق إذا لم يترتب عليهما إلهاء كثير ، ويباح ذلك للرجال والنساء .

وقال بعضهم : إنه يباح للنساء خاصة و بعضهم يقول : إنه لايجوز ذلك فى العرس وعند العقد وفى كل سرور حادث فلا يختص بوليمة نكاح .

أما الغناء فإن الذى يجوز منه هو الرجز الذى يشبه ما جاء فى غناء جوارى الأنصار :

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم
ولولا الحبة السمرا لم نحلل بواديكم

وقال بعضهم : ضرب الدف مشروع فى النكاح، لأن إعلانه مطلوب وهو أبلغ فى الإعلان من عدمه فهو مسنون ، بشرط أن لايصحبه محرّم كالتغنى بصوت رخيم من امرأة أجنبية تشعر فيه بمثل وصف القدود ووجنات الخدود ، خصوصاً ما أحدثه الناس فى زماننا هذا مما يدعونه (بالطقاطيق الهزلية أو المنولجات المسلية) .

ولا بأس من وجود مغنّ بأسلوب عربى ؛ لأن تحريم الغناء لا لنفسه ، بل لما اشتمل عليه من المعانى المستقبحة المستهجنة ، وما اقترن به من فعل المحرمات .

٤ — الحنابلة قالوا : لايحل شىء من العود والزمر والطبل والرباب ونحو ذلك ، كما لايحل لعب النرد والشطرنج ونحوها .

و إذا اشتملت الوليمة على شىء منه فإنه لايحل الإجابة إليها ؛ أما الغناء فإن تحسين الصوت والترنم به فى ذاته مباح ؛ بل قالوا : إنه مستحسن عند تلاوة القرآن إذا لم يفض إلى تغيير حرف فيه أو إلى زيادة لفظه و إلا حرم ، فالترنم وتحسين الصوت بعبارات الوعظ والحكم ونحوها كذلك . وقالوا : إن قراءة القرآن بالألحان مكروهة و إن السماع مكروه أيضاً .

على فكرى

نشر بمجلة نشر الفضائل والآداب الإسلامية
بالسنة العاشرة بالعدد ٢٠ الصادر فى ٢٩
شوال سنة ١٣٦١ — ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٢

١٢ – تحريم تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ » وفى رواية « لعن رسول الله الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « لعنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ ، وَالْمَرْأَةُ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ » وهذا مانراه فى أيامنا هذه فى لبس المرأة بنطلونا (سروالا) كالرجل وتمشى به فى الأسواق وغيرها ، وهـذا محرم بحكم الشريعة الغراء وسدًّا للذريعة .

١٣ – التهتك والفجور ومحاربتهما

طبعت المرأة الشرقية المسلمة على الحياء والغيرة ، وجاء الحجاب بأمر الدين متمماً ومكملاً لها ؛ ومهما قيل فى الحجاب وأضراره أو منافعه وأسراره فإنه بلا شك خير من التهتك والفجور الشائعين الآن فى معظم بلاد القطر المصرى .

بدأ تاريخ الشرق بظهور الإسلام ، والإسلام إنما انتشر وتأيدت دولته فى الصدر الأول بما اشتهر به الخلفاء الراشدون من العفاف والنزاهة علماً وعملاً بالكتاب والسنة ، فكان الناس فى أثناء القرن الأول للهجرة لاشاغل لهم إلا الجهاد والفتوحات والتسابق إلى الخيرات والفضائل حتى رسخت قدم الإسلام وتوطدت دعائمه على عهد الدولة الأموية ؛ ثم عمد الأمويون فى أواخر دولتهم إلى البذخ والسرف وبالغ بعضهم فى التهتك ، فآل بهم الأمر إلى السقوط والاضمحلال وساء بهم الحال .

ولما انتقل الملك إلى العباسيين عملوا على نشر العلم والصناعة حتى بلغ التمدن فى عهد الرشيد والمأمون إلى أعلى ذرى المجد ، فمالوا إلى البذخ وعمدوا إلى اقتناء المماليك والجوارى .

بدأ الخلفاء فى ذلك واقتدى بهم الناس على اختلاف طبقاتهم عملاً بالقول المأثور :

الناس على دين ملوكهم ، وقد صدقت هذه القاعدة على أهل كل تمدن غير التمدن الحديث في بلاد الشرق لاختلاف العناصر فيه واختلاط الأذواق والأخلاق مع تمتع الناس بالحرية الشخصية ؛ فلا يعمل العامل إلا مايتراءى له ويوحى إليه ضميره ، وأما من قبل فقد كان الناس كما يكون خلفاؤهم وسلاطينهم ليس من حيث الآداب العمومية فقط ، بل في كل شيء حتى في اللباس والطعام والشراب والصلاة أيضاً وغير ذلك .

ولما دخل التمدن الحديث بلادنا ونودى بالحرية الشخصية أصبح الناس أخلاطاً من أمم شتى وألسنة متعددة ، لاقاعدة لآرائهم ولا رادع لهم .

واتفق أن جاء التمدن هذه البلاد وهي في مهاوي الانحطاط على أثر استبداد المماليك ومن جرى على خطتهم ، ولكنه لم يتناول في أول عهده إلا التعليم والتربية مع المحافظة على الحشمة الشرقية والآداب الإسلامية . فأما التهتك وخرق الحجب فلم يظهر إلا في أواخر القرن التاسع عشر كما كثر تقليدنا للإفرنج حتى فيما ينافي فطرتنا ، وربما لاينافي فطرتهم إذ مايوافق طبع الغربي لايوافق طبع الشرقي .

نشأنا في هذا التقليد في أول القرن التاسع عشر على أثر دخول الفرنسيين مصر فكان في جملة ماخلفوه من عادات الإفرنج إطلاق سراح (المومسات) مثلما كان شأنهم في بلادهم ، لأن القانون الفرنسي المعروف بقانون (نابليون) أباح للمرأة المتاجرة بعرضها وعفتها .

خرج الفرنسيون وبقي ذلك الأثر السيئ حتى تولى المغفور له محمد علي باشا الكبير رأس العائلة المالكة فشدد النكير على أماكن البغاء وعمل على قطع دابر الباغيات المتهتكات نفياً وقتلاً .

ويحكى أنه علم مرة بارتكاب بعض رجال حاشيته منكراً من هذا القبيل ، فأمر به وبالمرأة فأغرقا في النيل معاً ، وكان المغفور له سعيد باشا من أكثر الولاة سعياً في صيانة الأعراض والمحافظة على الآداب العمومية .

ولم يطلق سراح أهل الخلاعة والتهتك والفجور إلا فى عهد ساكن الجنان إسماعيل باشا لكثرة من قدم مصر من جالية الإفرنج والإفرنجيات على اختلاف مقاصدهم وأغراضهم .

وظهرت على أثر ذلك بيوت الدعارة ، وانتشرت طرق التهتك والفجور وشرب الخمور .

وما زالت على ذلك إلى الآن ، والحكومة مع الأسف الشديد ساكتة لاهية عنها ، بل تمهد السبيل لها بما عينته من الأطباء لفحص الموسمات فحصاً طبياً فى أوقات معينة وأماكن معلومة (الحوض المرصود) بجهة السيدة زينب ، وهى إنما فعلت ذلك اقتداء بدول أوربا ؛ وعذرها فى ذلك أنها اختارت أهون الشرّين ، وأخف الضررين ، فلما لم تر سبيلاً إلى منع البغاء والفجور ، نظراً للامتيازات الأجنبية التى كانت واقفة حجرة عثرة أمامها (والحمد لله قد زالت وألغيت الامتيازات وألغى البغاء من عهد قريب) خافت تفشى الأمراض السرية الخبيثة ، فعينت الأطباء للفحص ودفعاً لتلف العائلات ، ولكنها كانت تستطيع أمراً واحدا لاعذر لها فى التغاضى عنه ، وهو إخراج تلك الأماكن النجسة الفاحشة من أواسط المدينة ، وإبعادها عن الشوارع العمومية (كما فعلت تركيا) فيقل خطرها ، ولا يصل إليها إلا المستهلك المتفانى فى سبيل شهواته ، وينجو جماعة كبيرة من الشبان الذين كانوا يذهبون إلى تلك الأماكن القذرة لضعف إرادتهم ، فيساقون إليها بمعرفة (القوادين) كما تساق الشاة إلى الذبح بلفظة أو إشارة على أثر كأس من الخمر ، أو قدح من البوظة (البيرا) مع سهولة الوصول إلى نوافذ جهنم لقربها من الحانات والقهوات .

ولو اقتصرت تلك الموسمات الفواحش على التربص فى منازلهن ، ونصب الشباك على النوافذ والأبواب لهان البلاء ، ولكنهن يخرجن للصيد فى الطرق ، وحول الحدائق والمتنزهات كالجزيرة وروض الفرج يشرن بالحواجب والعيون ، ويجذبن كل شاب مغرور مفتون ، وقد يفعلن ذلك على مشهد من رجال البوليس لايبالون بهم كأنهن يدعين الناس إلى الفضيلة ، أو يساومنهم على تجارة .

ولو اقتصر الأمر على ذلك لهان ، ولكن توجد بيوت سرية للدعارة يؤمها كثير من النساء الراقيات المتعلمات ، وافضيحتاه !

وأذكر أنى قرأت فى جريدة الأهرام الصادرة فى يوم السبت ٢٨ أغسطس سنة ١٩٢٦ خبراً ألفت نظرى ، وكدّر فكرى ، وهيج مشاعرى ؛ يتضمن أن حضرة مأمور قسم الأزبكية دهم برجاله بيتاً من البيوت السرية بقنطرة الدكة (بالقرب من عابدين) وتمكن من ضبط عشر نساء من بينهن بعض سيدات من البيوتات الكبيرة ، واخجلتاه ! ونحو العشرين رجلاً من الموظفين ، سيقوا جميعاً إلى القسم والناس يسخرون بهم حيث كتبت ضدهم المحاضر اللازمة .

فأى مسلم غيور لايتكدر !؟ بل وأى حر شريف لايتحسر على ماوصلت إليه حالة النساء فى هذا الزمان من التهتك والفجور ، وشرب المخدرات والخمور !؟.

نعم إننا فى عصر الحرية (الذى يسمى بحق عصر الرزية) وكلٌّ مسئول عن نفسه ، ولكن المحافظة على الآداب العامة من أهم الوسائل للمحافظة على الأمن العام ، إذ لاتنقضى ليلة ، ولايمر يوم إلا ونسمع أخباراً مؤلمة محزنة مخزية من ضبط نساء ووقوع معارك بسببهن ، وقتل وجرح فى أماكن الفحشاء أو مايجاورها ، وما السبب فى ذلك كله إلا إطلاق سراح المومسات ، وانتشار بيوت الدعارة السرية وغير السرية فى أنحاء القطر المصرى ؛ وليس من الإنصاف أن نلوم الحكومة وحدها وهى آخذة فى محاربة هذه الرذيلة بكل ماتستطيع من قوة وإرهاق ، بل نلوم الشبان والشابات وأكثرهم من أهل البيوت المعروفة ، وفيهم جماعة من الطلبة المتعلمين الراقيين .

ومن العار على من تعلم الفضائل ، واستنار بنور العلم أن يطرح آدابه ودينه وصحته فى تلك المحالّ الفجسة الدنيئة التى قضت على الأخلاق ، وأضعفت حركة الزواج ، وأكثرت من العزوبة .

وسرّنا كثيراً أن قرأنا فى جريدة الأهرام الصادرة فى يوم السبت ٢٨ مايو سنة ١٩٢٧ مشروعاً مقدماً من حضرة محمد جعفر بك عضو مجلس الشيوخ إلى رياسة المجلس يقضى بمنع

البغاء والتبرج ، وفرض ضريبة على العزوبة ، ومنع الأحداث من دخول المواخير والحانات ونحوها .

فنحن نرحب بهذا المشروع ، ونرجو له القبول والتوفيق ، وندعو الله أن يجزيه عن الدين والآداب أحسن الجزاء .

ونقول فى الختام : إن العلاج الوحيد الذى يقاوم به تفشى العزوبة هو ضرب ضريبة فادحة على أولئك المعرضين عن الزواج ، حتى يوقنوا أن الزواج خير وسيلة لقمع الشهوات ومنع ارتكاب المحرمات عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ (الجماع) فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ (أى مضعف للشهوة وقاطع لها) » .

نسأل الله أن يوفق شبابنا وفتياتنا للزواج الطاهر ، والابتعاد عن الحرام .

(النهضة النسائية) على فكرى

السنة الخامسة العدد ٥٥ يوليه سنة ١٩٢٧

مع بعض تصرف

١٤ — النساء والخمر والميسر

لقد انتشرت الخمر فى البلاد المصرية حتى فى جهات الريف ، وصار مع الأسف الشديد من دواعى المدنية الحديثة أن تشرب الخمر على الموائد فى البيوت وفى الحفلات والأفراح ، حتى لا يخجل الأب من احتساء الكأس مع أبنائه ، وحتى صارت الفتيات والسيدات ربات الخدور يشربن الخمور فى البيوت التى كانت من قبل طاهرة (فلا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم) .

كانت المرأة فى العهد الماضى إذا شمت رائحة الخمر فى زوجها أو فى بيتها أعلنت عليه الحرب ، وسعت فى خلاصها منه ، وأنذرته بالويل والخراب محافظةً على دينها وشرفها .

واليوم مع الأسف الشديد أصبحت المرأة تشارك الرجل فى تعاطى الخمور (جهاراً ليلا

ونهاراً) فى بيتها وفى المحالّ العمومية ، بل وفى العربات والسيارات ، ولا زاجر ولا واعظ ، (فلاحول ولاقوّة إلا بالله العلىّ العظيم) .

كانت المرأة فى العهد السابق لاتريد أن تأكل حراماً ، وإذا علمت أن زوجها أتى لها بطعام أوشراب من حرام منعت نفسها من أكله وشربه ، بل حرّمت على زوجها ذلك ، ومنعته من أن يطأ قدمه فراشها حرصاً على أمانتها وعفتها ، ولكيلا تأتى بأولاد منه فى الحرام .

النساء والقمار

والآن تعرضت المرأة للقمار تلعب مع زوجها وغيره طمعاً فى كسب المال ، وهى لاتدرى أن القمار المعرّة الفاضحة ، والعيب القبيح ، والخراب الدائم ، كما قيل :

ثلاثة تشقى بها الدار الزنا والخمر والقمار

ثم إذا كان القمار من أشد وصمات الرجل ، وأكثرها هدماً لأخلاقه وأحواله ، فكيف يكون للمرأة التى خلقت للحس الضعيف ، ووصفت بالجنس اللطيف ؟ بل إننا نجد الرجل على شدة بأسه ، وقوة بنيته ، يجلس على منضدة القمار ، وهو يتلوّن بلون الحرباء امتقاعاً من الغيظ ، وتنقلب عليه صنوف السقم من شدة السهر وفرط الإعياء ، ذلك عدا مايصيبه من الخسارة التى تضر بمعيشته ، وتقضى على حياته وثروته ، فكيف تكون المرأة فى تلك الحال ؟ وهى تقلد الرجل فى جميع أحواله ، وتشاركه فى كل مشاعره ، ثم تذهب بعد ذلك لمباشرة شئون منزلها والعناية بأولادها .

ونحن لانقول إن كل نسائنا قد بلغن هذا المبلغ من مشاركة الرجال فى مضار هذه العادة الذميمة (عادة لعب القمار) بل قد تناولت نساء الأغنياء والطبقات الوسطى اللواتى ينبغى أن يكنّ قدوةً لسائر النساء ، ومثالاً حسناً لصيانة المال وتوفيره للرجال .

فالمرأة الغنية التى تجعل القمار ديدنها ، وسهر الليل مشربها وغايتها ، هى امرأة فى الصورة والشكل فقط ، ولكنها فى الحقيقة رجل من أمهر المقامرين .

أنت أيتها السيدة اللطيفة التى أنعم الله عليك بزوج غنى كثير الاحتمال لنفقاتك ،

واسع الصدر لتحمل إسرافك وطلباتك ، ألا يكفيك ماتلبسينه من غالى الثياب ، وتتوسدينه من ناعم المهاد ، وتبتدعينه كل يوم من فاتن الأزياء وضروب الأشكال حتى تضيفى إليها زى القمار الذى يبلى المال ولا يبلى ، ويجدد المصائب ولا يتجدد . أنت إذا اعتذرت بأنك إنما تنفقين من مالك الخاص ، وتقامرين مما أورثك أبوك أو أمك ، فما عذرك حين تسهرين الليل حتى الصباح ، وتتركين أولادك بين أيدى المراضع والخادمات ، وحاجات منزلك بتدبير الخدم ؟

أما كان الأجدر بك أن تجعلى نفسك قدوة للنساء فى الأعمال الطيبة ، والفعال الحسان ، ولا تكونى قدوةً لهنَّ فيما حرَّم الله ، وأقبح مانهى عنه الحكماء . قال تعالى : (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ (القمار) وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) إنه ليس أخسر من سيدة غنية تنفق أموالها لشراء العار بلعب القمار ، وليس أقبح من امرأة جميلة تستعيض عن ورد وجنتيها ببهار النضار ، وتكشف أقمار حسنها فى ليالى القمار .

وقد سرت عادة القمار من الرجال إلى النساء والفتيات ، وذلك بسبب فساد الأخلاق والميل إلى كسب المال من طريق الحرام ، وإليك الدليل :

قرأت فى جريدة الأهرام الصادرة فى ١٩٤١/٣/٢٣ هذا الخبر :

(ضبط ناد للمقامرة خاص بالسيدات والفتيات)

« اتصل بمكتب حماية الآداب أن سيدة تقطن بشارع (سان استفانو) بضاحية مصر الجديدة قد أعدت منزلها للمقامرة بعد صدور الأمر بإغلاق أندية القمار ، وإن كثيراً من السيدات يختلفن إليه ، ويزاولن المقامرة حتى الساعة الرابعة صباحًا . وقد استصدر اليوزباشى صالح زكى رئيس المكتب أمراً من النيابة بمهاجمة المنزل ، واستصحب نفراً من رجاله عند منتصف ليلة أمس الأول وداهم المنزل ، فضبط به عشر سيدات وفتيات يلعبن « البوكر » ، ثم صادر ماوجده أمامهن من النقود وأدوات اللعب ، وأخذ فى التحقيق مع صاحبة المنزل » .

فقلت فى نفسى : يا للأسف ويا للعار ، قد وصلت حالة النساء من التهتك والفجور

وشرب الخمور ، وخروجهن عن حدود الكمال واتباع الشرور ، حتى أصبحن يلعبن القمار لكسب المال من طريق الحرام . وهذا أيضاً من تركهن أوامر الدين ، واتباع غواية الشيطان العدو المبين .

لماذا لعبت المرأة القمار ؟

أرسل إلينا فضيلة الأستاذ الشيخ محمود أبو العيون شيخ علماء الاسكندرية كلمة عاد فيها إلى لعب المرأة القمار ، فتساءل عن السبب الذى جعلها تقترف هذا الإثم ، ثم أرجع ذلك إلى بعلها الذى لعب القمار وأسرف وبدد ، وتمادى فى الغواية والانحدار ، فاقتفت هى أثره ، وأخذت سبيله .

وبعد أن ذكر أن المرأة والرجل شريكان فى الحياة يعالجان شؤونها لخير الأسرة والمجتمع ، وأن الرجل فى هذه الشركة هدى المرأة وقدوتها ، أشار إلى ماتعجّ به منازل السراة من مجالس السمر وحلقات السمار التى تنتظم حول المقاصف ومناضد اللعب حيث يلهو كثير من النساء والرجال بالمقامرة فى جرأة وحماسة وعرض لأندية سباق الخيل ، وكيف يفد إليها ذوو الجاه من الرجال وذوات الدلّ من النساء ، ثم يشترك الفريقان فى الرهان وهو قمار .

وخلص من هذا إلى أن القمار أصبح بذلك تقليداً جديداً فى المنازل الخاصة والأندية العامة ، وتساءل فى النهاية عما إذا كنا لانزال نعيش فى بلد شرقى إسلامى ، وهذا محيطنا حافل بالمناكر والأحداث ؟!.

الأهرام فى ٨ / ٨ / ١٩٤٣

١٥ — النساء والدخان

لقد شاع وذاع استعمال الدخان بين الفتيات والسيدات المصريات واخجلتاه !

وفى أوربا بلاد التمدن والحرية ينكر على النساء عامة التدخين ، فما أحسنه من إنكار يحفظ لهن حسنهن ، ويصون جمالهنّ ، وما أقبحها فتاة أوسيدة تسعى فى تشويه محاسنها ، وفقد كرامتها باستعمال الدخان .

فليعلمن أن ضرر التدخين بأجسامهن أخطر منه بأجسام الرجال الذين هم أقوى عضلاً وأمتن أنسجةً منهنّ ، مع مافيه من فساد الأسنان وتشويهها ، ونتانة الفم .

ألقى الدكتور (فرانز فرومل النمساوى) محاضرةً فى أمريكا عن التدخين عن النساء جاء فيها :

« إن التدخين لاينيل الفتيات أقل فائدة ، بل يزيل ماعندهن من مسحة اللطف ، الذى هو أهم ماعندهن ، ويحولهن إلى خائنات قاسيات ؛ ثم إن التدخين يضخم أوتار الصوت ، فيصبح صوت المرأة على شئ من الخشونة والقساوة أشد وأقبح مما هو عند الرجال المولعين بالتدخين . إن صوت المرأة يجب أن يكون لطيفاً عذباً لأنه خلق هكذا ، ويجب أن يظل كذلك .

وأذكر حكاية لطيفة (سبق ذكرتها فى كتابى آداب الفتاة) عن لسان أحد الملوك ، تدل على أن التدخين للسيدات عار وضارّ . أولم الملك (إدوار السابع) ملك إنجلترا وليمةً فاخرةً لبعض الكبراء من أشراف بلاده حضرها حسب عاداتهم بعض سيدات (لندن) من صاحبات المقام الرفيع ؛ وبعد تناول طعام العشاء تناولت إحداهن لفافة (سيجارة) وأشعلتها فى حضرة الملك فانتهرها قائلاً : أليس من العار أن تدخن السيدات ؟ فخجلت السيدة ورمت بالسيجارة من يدها ، فكبر أمر إهانتها على الحاضرات من السيدات ، ومن بينهن جلالة الملكة (الكسندرا) لأنها كانت من المدخنات أيضاً ، فلما رأت السيدة انتصار زميلاتها تجاسرت على سؤال الملك : ليسمح لى جلالة الملك أن أدخن هذه اللفافة ، فان لى بعادة التدخين بعد الأكل ولعاً شديداً وإلا فإنى أموت إن لم أدخنها ، فأجابها الملك على الفور : خير لك أن تموتى من أن تدخنى .

فكان ذلك سبباً لتركها الدخان وإبطاله ، فلتنتبه النساء المصريات المولعات بالتدخين إلى هذه الموعظة الصادرة من ملك جليل ، وليمتنعن عن شرب الدخان ، لأن النساء لم يخلقن لنشر رائحة الدخان الكريهة التى يضيق منها الصدر ، بل لنشر الطيب والروائح العطرية التى تسر الخاطر ، وتنعش الفؤاد ، وتجلب السرور .

١٦ ـ النساء والمخدرات

ما كنا نعتقد أن المرأة فى يوم من الأيام يتاح لها أن تشترك مع الرجل فى تعاطى المكيفات، والاتجار بالمخدرات، حتى داهمتنا المدنية الغربية الحديثة، فأخذت بتلابيب المرأة وأوقعتها فى هذا الخطر العظيم ؛ فأصبحنا نرى ونسمع بأن السيدة فلانة تتعاطى الحشيش والأفيون ، والهانم الفلانية تتعاطى المورفين حقناً والكوكايين شماً ، وبنت البلد تتاجر بالهوريين مع زوجها ؛ وإذا كنت فى ريب مما أقول فاسأل مستشفى المجاذيب بالعباسية والخانقاه ، واطلع على حوادث البوليس ودفاتر المحاكم ، وانظر فى الصحف اليومية تر أخباراً عجيبة ، وحوادث مزعجة مكدرة تدل على أن هذه العادة الذميمة (عادة تعاطى المخدرات و بيعها) انتشرت وفشت بين النساء ، وأن المحاكم لم تقصر فى معاقبة النساء عقاباً صارماً أسوة بالرجال .

وقد وقفت على صورة حكم صادرة من محكمة سوهاج الجزئية ضد رجل وزوجته لاتهامهما بالاتجار بالهروين نشرت بجريدة المقطم فى ٢٦ مايو سنة ١٩٢٧

جاء به كلمة طيبة تخص النساء لا بأس من ذكرها هنا ، لأن فيها ذكرى وعبرة وهى :

« حيث إن التهمة ثابتة على المتهمة الثانية من ضبط الهروين معها وهى تحاول تهريبه ، وحيث إنه إن التمس للزوجة العذر فى أن تقيد بسلطة الزوج ، فان هذا العذر يجب أن ينصرف إلى وجهه الصحيح ، وهو أن الزوجة مقيدة بسلطة الزوج فى المحافظة على كرامة الزوجية ، لا على أن تقدم من هذه الزوجية شركة للعبث بالفضيلة ، والإضرار بالناس فى أموالهم وأجسامهم .

والمرأة لاتزال صاحبة السلطان النفسى على الرجل من الحرص على الفضيلة ، وتوجيه الرجل إليها ، وحراستها له حتى لايقع فيما يمس بسمعته ، فهى لاتزال أحرص من الرجل على التمسك بهذا الحق عليه .

فاذا تخلت المرأة عن واجبها هذا، وهى زوجة وأم أطفال ، وهو لايكلفها مجهوداً أكثر

من التأثير الزوجي على نفس زوجها ، فيكون تخليها هذا بمحض إرادتها ، وبأنها قبلت أن تتحمل مع زوجها مسئولية العبث بالفضيلة والإضرار بالناس ؛ فلهذا رأت المحكمة التشديد في عقابها إلى حدّ مناسب .

بناء عليه : حكمت المحكمة حضوريًّا على المتهم الأول بالحبس مدة ثلاث سنوات مع الشغل والنفاذ ومائة جنيه غرامة والمصادرة ، وعلى الثانية (الزوجة) بالحبس مع الشغل سنة واحدة ، وكفالة مائة جنيه ، وغرامة ثلاثين جنيهاً ، والمصادرة ، فكان لهذا الحكم وقع عظيم في نفوس متجري ومتعاطي هذه المواد المهلكة ، كما قابله الجمهور وأنصار الفضيلة بالقبول والاستحسان » .

فليكن في هذا الحكم العادل عظةً بالغةً للنساء ، فيمتنعن من الآن عن تعاطي هذه المخدرات محافظةً على حياتهنّ ، وصيانةً لكرامتهنّ . والله الموفق لما فيه هداية الرجال والنساء والسلام .

على فكري

(نشرت بمجلة النهضة النسائية)

بالعدد ٥٦ السنة الخامسة الصادر في أغسطس سنة ١٩٢٧

١٧ — النساء والزار

من البدع القبيحة الزار الذي اعتاده نساء مصر حتى انتشر في المدن ، وسرت عدواه منها إلى القرى ، تزعم النساء و بعض الرجال إذا نزل بهن بعض العوارض أنها (أرياح) لادواء لها إلا الزار ، فيتكلفون له ماقد يفضي إلى خراب البيوت ودوام الشقاق بين الزوجين كما قال أحد الأدباء :

ثلاثة عليها خراب الديار العرس والمأتم والزار

ثم يأتين فيه من المنكرات مايأباه الدين ، وتخجل منه المروءة ، و يقلقن راحة الناس بالأصوات المنكرة ، والطبول المزعجة ، ويرتكبن فيه كل مايوحيه إليهنّ الشيطان لأن الموسم له خاصة ، فتذبح الذبائح و يقع التضمخ بدمائها ، ويكشفن الوجوه ومعظم الأبدان ولو بحضرة الرجال على عادتهن في كل المواسم ، فكيف بموسم الشيطان ؟ ويكثرن من

الرقص والاضطراب والصياح ، كل ذلك على مرأى ومسمع من الأحداث ، فينشأون على فساد الأخلاق ، ومنكر العادات .

وليت شعري ماالسرّ الذى دعا الشياطين أن لاتمس إلا نساء مصر دون نساء العالمين . فهاهن الأور بيات لايصرفن الزار ، بل ولا شيئاً من هذه العادات السيئة ، كالندب والنياحة والولوع بزيارة الموتى ، وغير ذلك مما كلّ الناصحون من النهى عنه وَلكن (مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا) .

لسنا ننكر أن للجن والشياطين سلطاناً على الأبدان ، وتأثيراً بما يحصل بسببه الهلاك أوالجنون وكثير من أنواع الأمراض ، و إن زعم المعتزلة خلاف ذلك ، فقد ورد فى الحديث الصحيح : « مَامِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخاً » . وفى بعض الطرق «إلاَّ طعنَ الشيطانُ فى خاصرَتِهِ ، ومنْ ذلكَ يستهلُّ صارخاً إلا مريمَ وَابنها» لقول أمها : (وَ إِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « كُفُّوا صِبْيَانَكُمْ أَوَّلَ الْعِشَاءِ فَإِنَّهُ وَقْتُ انْتِشَارِ الشَّيَاطِينِ » . وفى حديث صفية : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَجْرِى مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ » .

والمعتزلة قالوا : إن كون الصرع والجنون من الشيطان باطل لأنه لايقدر على ذلك ، كما قال تعالى حكاية عنه : (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي) . وأما قوله : (يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) فوارد على ما يزعمه العرب من أن الشيطان يتخبط الإنسان فيصرع وأن الجنى يمسه فيختلط عقله ، وليس له حقيقة .

وفى فتاوى ابن حجر أنه قيل لأحمد رحمه الله : إن قوماً يقولون إن الجنى لايدخل فى بدن المصروع من الإنس فقال : يكذبون هوذا يتكلم على لسانه ، فدخوله فى بدنه هو مذهب أهل السنة والجماعة .

وجاء فى عدة طرق أنه صلى الله عليه وسلم « جىء إليه بمصروع فضرب ظهره وقال : «اخْرُجْ عَدُوَّ اللهِ فخرج» . وتفل فى فم آخر وقال : «اخْرُجْ يَاعَدُوَّ اللهِ فَإِنِّى رَسُولُ اللهِ »

وإنما الذي ننكره اعتقاد النساء والعوام إذا أصيبوا بشيء من الأمراض العصبية أنها من تأثير الشيطان فيبادرن إلى عمل الزار ، والحال أنه ليس كذلك .

وعلى فرض أن المرض من الجن يرون أنه لادواء إلا الزار ، مع أن غاية مايتخيل فى تأثير الزار أنه يحدث نوعاً من التفريح فتتأثر منه أعصاب المريض وتتنبه لهذا الفرح ويحدث الشفاء .

وليت شعرى بماذا كانت تداوى أمراض الجن قبل بدعة الزار وبماذا تداويها غير نساء مصر ؟ ويسمى هذا المرض عند الأطباء : (التشنج العصبى) وأنجع دواء له عندهم جودة الغذاء مع كثرة الرياضة فى الجهات الخلوية الجافة النقية الهواء ، مع تعاطى ما يجلب الفرح والسرور ، والبعد عن المنغصات والمكدرات .

من كتاب الإبداع فى مضار الابتداع
المرحوم الشيخ على محفوظ باختصار

---

١٨ – النساء والجنائز والمآتم والمقابر

من أقبح العادات الجارية عند النساء فى المآتم التدخين وشرب القهوة (السادة) كأن هذا فرض لازم ، فلا تذهب المرأة لتعزية جارتها أو صاحبتها أو عشيرتها إلا ويقدم لها (السجارة) والقهوة فترى كأنهن فى محفل عرس أو أنس .

فهذه العادة غير مستحسنة فضلاً عن كونها حراماً فى حرام ؛ ففيها إسراف مذموم وانتقاد معلوم ، فإذا رزئت إحدى السيدات بوفاة أحد ، وكانت هى المنوطة بالمأتم ، فلتتبع أحسن العادات ، ولا تتحمل وزراً بتقديم المحرمات حبًّا فى المظاهرة والمفاخرة ، فإنما الفخر بعمل المبرات ، وتقديم الصدقات ، للفقير والفقيرات .

ولتعلم السيدة أنما الحزن فى القلوب لا بلطم الخدود وشق الجيوب ، فإياك أيتها السيدة

أن تسمحى لنادبة أو تسمحى لصائحة ، أو ترضين للاطمة أو تأذنى لنائحة ، أو تفتحى باباً للمؤبينات (المعددات) واكتفى بإحضار الفقيهات لسماع العظات من القرآن الكريم ؛ كما أنه لايجوز أن تخرج وراء النعش قريبة ولا جارة ولا صاحبة ، ولا نسيبة ، لاراكبات ولا راجلات ، ولا مبرقعات ، ولا سافرات ، فقد نهى عن ذلك سيد الكائنات بقوله : « ارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ » .

وإياكن أيتها النساء والخروج إلى المقابر لزيارة الموتى ، فهذه عادة مخالفة للشرع الشريف ولم يسمح بها الدين الحنيف لأنها حرام فى حرام ، ومن فعلها وقع فى الآثام لما تتخلله من انتهاك الحرمات وارتكاب المحرمات والتبذير فى الصدقات ، هذا ما كتبته فى كتابى [آداب الفتاة] من عهد بعيد .

وجاء فى كتاب « الإبداع فى مضارّ الابتداع » للمرحوم الشيخ على محفوظ فى بدع الجنائز ما يأتى :

نحن لانطيل القول فيما يقع من النساء فى الجنائز والمآتم ، فإن قبحه صار معروفاً للعامة والخاصة حتى أصبحن يتبعن عادات الجاهلية فى الندب والنياحة ، وشق الجيوب ولطم الخدود وصبغ الوجوه والأيدى (بالنيلة الزرقاء) ورفع الأصوات ، والتكلم بكلمات الكفر والسخط على القدر ، والاعتراض على الله تعالى وهوالقاهر فوق عباده إلى غير ذلك من قبائحهن المشهورة ، ويفعلن ذلك يوماً بعد يوم ، لاسيما مايصدر منهن عند خروج روح الميت وعند دخول المغسل أو المغسلة ، وحال إخراج الميت من البيت لتشييع الجنازة والدفن ، وقد يخرجن مكشوفات العورات رافعات الأصوات بكل قبح خلف الجنازة حتى يدفن ويرجعن على مثل ذلك ، وأكثرهن متبرجات .

ثم يعقب ذلك خروجهن إلى القبور فى أيام الجمع حتى الأربعين بدعوى الزيارة فيقع منهن المفاسد ، ولا سيما فى المواسم كأول رجب ، ونصف شعبان ، وأيام العيدين ، وبعضهن يبتن على القبور .

ولا يخفى أن ذلك كله من الكبائر التى تغضب الله ورسوله وتمنع من حضور الملائكة

ونزول الرحمات على الأموات ، فضلا عن أنها مخالفة للشريعة ولما كان عليه السلف الصالح ونص عليه أئمة الدين ؛ فالواجب منع النساء عما نهى الله ورسوله عنه . فقد ورد فى البخارى ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» أى نادى بألفاظ الجاهلية التى يستنكرها الإسلام وينهى عنها .

بدع الجنازات

وهنا يحسن أن أذكر ما كتبته فى جريدة الأهرام الصادرة فى ١٨ / ٦ / ١٩٢٣ بشأن بدعة خروج النساء خلف الجنازات ، وهاك نصها :

عادة قبيحة فيها عار وفضيحة

للأمة الإسلامية المصرية

يؤلمنى كثيراً كما يؤلم كل إنسان حرّ غيور على دينه ووطنه ، أن أرى النساء المسلمات يخرجن زُرافات زرافات ، إما راكبات على العربات (الكارو) أو مشياً على الأقدام خلف نعش الأموات يصحن بأصوات مزعجة محزنة ، ويلطمن الخدود فى حالة مبتذلة سافرات الوجوه مما يثير الأحزان ويفتت القلوب ، وتقشعر منه الجلود .

وهذه العادة أو البدعة السيئة فضلاً عن كونها حراماً لأنها منهى عنها شرعاً لقوله صلى الله عليه وسلم « ارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ » فإنها معرة كبيرة جدًّا خصوصاً من الأجانب حتى إنّ بعضهم يظن أنها من الدين على أنها مخالفة له ، وبسببها أصبحت الأمة المصرية مضغة فى أفواه الفرنجة .

وهذا مادفعنى لأن أشكو من هذه الحالة السيئة مستصرخاً برجال حكومتنا وعلماء الدين فى إبطال هذه العادة المرذولة .

ورب سائل يقول : كيف يمكن إبطال عادة تأصلت ورسخت فى نفوس النساء المصريات من عهد بعيد ؟ .

فالجواب : أن سعادة محافظ مصر يتفضل فيصدر منشوراً لعموم الأقسام بأخذ تعهد كتابة على أهل الميت بمنع خروج النساء بتاتاً ، وبهذا المنشور البسيط يمكن إبطال هذه العادة القبيحة وإراحة الناس منها ، حفظاً لسمعة البلاد ، ومراعاةً للشرع الشريف ، والدين الحنيف .

هذا مع العلم بأن المتبع لهذه العادة للآن هي الطبقة الدنيا من الأمة ، أما الطبقة المتوسطة والراقية فنساؤهما يركبن السيارات — وهذا وإن كنّ محتشمات — لكنه مخالف للشرع على كل حال فيجب أن يكون المنع عامًّا .

وختامًا أسأل الله التوفيق والهداية لأقوم طريق ؟

علي فكري

بدع الجنازات

جاء في الأهرام الصادر في ١٣/٤/١٩٣٨ أن سعادة محافظ القاهرة (وهو على ما أظن عبد السلام الشاذلي باشا) أصدر منشوراً إلى أقسام بوليس المدينة ، وهذا خلاصته :

من المناظر التي تتكرر يوميًّا في أنحاء مدينة القاهرة منظر تشييع جنازات الموتى من الطبقات الفقيرة تمر وسط المدينة وتخترق أهمّ شوارعها وميادينها وخلفها نسوة ، إما سائرات على الأقدام ، أو متربعات على مركبات النقل ، وهنّ يصحن ويولولن على صورة تشوّه سمعة البلاد وتزري بكرامتها أمام الأجانب .

ولما كانت هذه العادات لا تمتّ إلى الدين بسبب ، فقد أصدر صاحب السعادة محافظ القاهرة إلى جميع أقسام بوليس المدينة منشوراً يلخص فيما يلي :

أولاً : يعلن بكافة الطرق الممكنة للأهالي وجوب الامتناع عن الخروج لتشييع الجنازات بهذا الشكل .

ثانياً : يبلغ مشايخ الحارات والأقسام ورجال الخفر القسم عن كل وفاة وعن وقت

خروج الجنازة ، وهم مسئولون عن عدم التبليغ بالتضامن ، كل فى الوقت الذى يكون مسئولاً فيه عن عمله .

ثالثاً : قبل خروج الجنازة يكلف حضرة المأمور أو الضابط (النوبتجى) رجلاً من رجال البوليس مستصحباً شيخ الحارة ليذهبا إلى محل الوفاة و يقابلا رئيس العائلة ، و بعد أن يقدما له العزاء الجميل يكلمانه باللطف والمجاملة الواجبة فى هذا الوقت ، و يدعوانه للتخلى عن هذه العادة المرذولة التى ينهى عنها الدين وتنكرها الآداب العامة .

رابعاً : يغلب على الظن أن هذه النصيحة تكفى وحدها فى إقناع أهل المتوفى للعدول عن هذه العادة ، خصوصاً بعد أن يبين لهم عدم فائدة خروج وتشييع الجنازة بالحالة المعتادة وعدم لياقتها شرعًا والضرر منه ، فإن لم تكف النصيحة يكلف البوليس بمنع خروج النسوة مشاةً أو راكبات العربات بالهيئة المذكورة خلف الجنازة على أن ذلك لا يمنع مطلقاً من زياتهن المقبرة بعد ذلك .

هذه هى خلاصة المنشور الذى أصدره سعادة المحافظ ، و باطلاعى عليه سررت جدًّا لموافقتها لما قلته فى الكلمة السابقة ، ورأيت من الواجب الذهاب إلى المحافظة لتقديم واجب الشكر لسعادته على المنشور الذى أصدره بهذا الصدد ، وفعلاً توجهت وتقابلت مع سعادته وأطلعته على الكلمة التى نشرت بالأهرام فى سنة ١٩٣٣ فدهش منها وقال لى : كأننا كنا على اتفاق قبل أن نرى بعضنا ، وانصرفت شاكراً له حسن مقابلته وعطفه .

وها قد مضى من وقتها للآن نحو الست سنوات ، ولا أدرى ماذا قام به حضرات مأمورى الأقسام فى تنفيذ المنشور المذكور ، وما زلنا نرى الحالة كما كانت عليه من قبل إلى أن اطلعت فى جريدة الأهرام الصادرة فى ٢٥ /٨/ ١٩٤٢ على مواد مجلس النواب التى دارت المناقشة فيها ومن ضمنها المادة الآتية :

السير خلف الجنازات

وسأل الأستاذ عباس على الإسكندرانى عما تنوى وزارة الشئون الاجتماعية اتخاذه لمنع النساء من السير خلف الجنازات ، وأجاب معالى الأستاذ مصطفى نصرت بالنيابة عن معالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق بأن فى قانون العقوبات مادة تعاقب على ذلك ، وأن المحافظة حددت الطرق التى تسير فيها هذه الجنازات .

وفوق هذا كتبت وزارة الشئون الاجتماعية إلى وزارة الأوقاف تطلب توصية حضرات الخطباء والوعاظ بتذكير الجمهور بأحكام الدين الحنيف التى تمنع هذه البدعة السيئة .

وقد بحثت فى قانون العقوبات عن المادة التى تعاقب على خروج النساء والسير خلف الجنازات فلم أجد سوى مادة ٣٣٣ التى جاء فيها : يجازى بغرامة لاتتجاوز جنيهاً مصريًّا أو بالحبس مدة لاتزيد عن خمسة أيام ـ أولاً : من حصل منه فى الليل لغط أوعوغاء مما يكدر راحة السكان . ثانياً : من وقع منه فى الجبانات عويل أو ولولة مما يكدر راحة السكان .

ولم يقل بمنع خروج النساء والسير خلف الجنازات ، وعندى اقتراح بسيط لا بأس من عرضه لعله يحوز القبول فيعمل به ، وهو أن وزارة الشئون الاجتماعية تكتب لسعادة المحافظ بأن يأخذ تعهداً كتابيًّا من رئيس عائلة المتوفى ، أو ممن يقوم مقامه بمنع خروج النساء مطلقاً ، وإلا يجازى بغرامة أو بالحبس المنصوص عنه فى المادة المذكورة ، ويعطى هذا التعهد للمحاوتى للتوقيع عليه وتقديمه لحضرة مأمور القسم ليصرح بتشييع الجنازة ؛ كما أنه يقدم للمتربى تصريح الدفن المعطى له من قسم الصحة التابع له المتوفى .

وبهذه الوسيلة وحدها يمكن منع خروج النساء والسير خلف الجنازات ، وإلا كان كلامنا ووعظ الوعاظ كلامًا فى كلام .

هذا ، وقد علمنا أن الحكومة أعدت فى أقسام القاهرة سيارات لنقل الموتى الفقراء بعد الصلاة عليهم فى أقرب مسجد من منازلهم حتى لايتبع الجنازة نساء الميت وهى طريقة

لا بأس بها ، ولكنها لا تفي بالفرض وتكلف الحكومة مصاريف طائلة بدليل أنها لم تمنع النساء عن الخروج خلف الجنازات كما هو مشاهد للآن .

وختامًا أسأل الله التوفيق والهداية لأقوم طريق ؟

علي فكري

بدع المآتم

من نظر بعين التدبر والفكر فيما يفعل من البدع في المآتم رأى أنه لا توجد عادة تأصلت في النفوس أشنعُ وأفظع من عادة المآتم عندنا معشر المصريين المسلمين ، ولا أسوأ تصرفاً من تصرفاتها ، فإنها مع ما اشتملت عليه من مخالفتها للآداب الدينية ، والعادات الاجتماعية مهلكة لأموال كثيرة لا خير فيها للأحياء ولا ثواب فيها للأموات ، ولا قصد منها سوى التظاهر الكاذب ، والتفاخر الباطل ، وحب السمعة ، ليقال : إن فلاناً أقام مأتماً فخماً لوالده أو لوالدته أو لأخيه أو لأخته أو لولده مع أنه موت وخراب ديار ، ومحاربة للواحد القهار .

ولا يخفى ما يحصل في المآتم من اجتماع النساء للحزن على الميت ، فإنهُ لا يخلو من المنكرات شرعًا كالندب والنياحة واللطم وغير ذلك حتى استعصى الداء وعز الدواء .

وإذا جيء لهنّ بمقرئة لا يستمعن لها إلا قليلاً ثم يعدن للبكاء والعويل ، ويطلبن من المقرئة إلقاء قصيدة محزنة لتزيد في حماستهن وبكائهن أسوة بالنائحات والمعدّدات ، وكل هذا بطبيعة الحال يؤثر في صحتهنّ وصحة أصحاب الميت ويضرّ بهنّ ضررًا بليغاً ، ويعرّضهنّ للانتقاد ، والسخط والغضب من رب العباد .

هذا فيما يتعلق بالنساء ، أما ما يتعلق بالرجال فحدّث عنه ولا حرج ، ولا شك في حرمته لما فيه من إضاعة المال حبًا في الظهور والتفاخر الباطل ، والكلام فيه كثير فلنكتف بما قيل .

نصيحة دينية

قال العلماء : يتأكد على من ابتلى بمصيبة بميت أو فى نفسه أو أهله أو ماله ، وإن خفّت أن يكثر من قول : « إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فى مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا » لخبر مسلم : أن من قال ذلك آجره الله وأخلف له خيرًا منها ، ولأنه تعالى وعد من قال ذلك بأن عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأنهم هم المهتدون : أى للترجيع أو للجنة .

قال ابن جبير : أعطيت هذه الأمة عند المصيبة مالم يعطه غيرهم (إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) ولو أوتوه لقاله يعقوب ، ولم يقل يا أسفى على يوسف .

وأخرج الشيخان : « أن بنتًا له صلى الله عليه وسلم أرسلت إليه تخبره أن ابنها فى الموت فقال صلى الله عليه وسلم للرسول ارجع إليها فأخبرها أَنَّ لِلّٰهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى ، وكلٌّ شىء عندَهُ بأجَلٍ مسمًّى فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ » ومنه يستفاد طلب الصبر على النوازل كلها والهموم والأسقام وسائر الأعراض ، ومعنى إن لله ما أخذ ـ أن العالم كله ملكه فلم يأخذ إلا ما هو له عندكم فى معنى العارية ، وله ما أعطى : أى ماوهبه لكم إذ لم يخرج عن ملكه فيفعل فيه مايشاء ، وكل شىء عنده بأجل مسمى : أى فلا يمكن تقديمه عليه ولا تأخيره عنه .

بدعة زيارة القبور وحكم الدين فيها

من العادات الذميمة عند نساء المصريين ترددهن على المقابر والاهتمام بها ، فإن المرأة إذا مات طفلها أو أحد أفراد أسرتها ، لايفوتها أن تتوجه فى فجر كل يوم جمعة أو فى عصر كل يوم خميس إلى مدفن الفقيد (بالقرافة) مصطحبةً معها بعض قريباتها أو جاراتها حاملةً لكثير من المأكولات (الشريك والفطير والكعك والقرص والفاكهة والبلح) للتصدق به على من يطوفون بالمدافن والجبانات من الشحاذين والصبيان وعلى التربى والفقهاء المتجولين، مع أن معظم هؤلاء النسوة أحق بما ينفقنه فى عمل وشراء هذه المأكولات ، على أن هؤلاء

الشحاذين ليسوا محلاً للصدقة ؛ ولا أهلاً للإحسان ، لاتخاذهم الشحاذة حرفةً لهم ، وذريعةً للكسب لا لسدّ الرمق . وبعضهم من الأغنياء يبيت فى القرافة ويحضر الطباخ والفراش ويذبح الذبائح كما فى الولائم .

فما أسخف ماتعمله النساء الجاهلات من الذهاب فى أيام الجمع والمواسم والأعياد جماعات وزرافات راجلات أو راكبات (العربات الكرو) وإما سافرات أو مبرقعات ، وبعضهن متبهرجات يتعثرن فى أذيالهن إلى المقابر كأنهن ذاهبات لجلب خير، أوجرّ مغنم، أو ذاهبات إلى الأفراح .

فما أقبحها من عادة مستهجنة ليس فيها من فائدة للميت تعود عليه فى حياته الأخروية نعم إن زيارة القبور مشروعة للعظة والاعتبار بالموت لقوله صلى الله عليه وسلم « إِنِّى كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ أَلاَ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْمَوْتَ » وفى رواية: « تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ » وفى رواية : « فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فى الدُّنْيَا وتُذَكِّرُ الآخِرَةَ » .

وذلك أن الإنسان إذا شاهد القبور وتذكّر الموت وانقطاع هذه الحياة الدنيا ، وزوال ما ألفه من اللذات والشهوات وتفكر فيما يصير إليه من ضيق اللحود ، وصولة الدود ، وهو لايدرى مايئول إليه من شدة الحساب ، وصعوبة الجواب ، دخل قلبه الرّوع وحضرته الخشية والخوف من الله ، وكان له ذلك عظةً واعتباراً .

وهذا هو الغرض من الزيارة ، ويكون برؤية القبور من غير معرفة أصحابها ولو قبور الكفار . ومن الزيارة التى يرجع نفعها إلى الزائر مايكون لأداء حق كصديق ووالد فإنها وفاء لحقهم .

وأما إحسان الزائر للميت فبالسلام عليه والدعاء له بالرحمة والمغفرة وسؤال العافية ، وحينئذ فتسن الزيارة لكل مسلم لأنها مستحبة شرعًا إن لم نقل واجبة .

وفى الحديث الصحيح « أنه صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا : السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ ياأَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ والْمُسْلِمَاتِ والْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ وإِنا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ ونَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ نَسْأَلُ اللهَ لَنَا ولَكُمُ العافية» .

فى هذا الحديث الشريف يبيّن لنا صلى الله عليه وسلم فائدة زيارة القبور وهى إحسان الزائر إلى نفسه بتذكره الموت والآخرة ، والزهد فى الدنيا والاتعاظ والاعتبار ، وإلى أهل القبور بالسلام عليهم كما كانوا فى حال حياتهم والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة وسؤال العافية من جميع المحن والبلاء .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الجبانة يقول : « السَّلامُ عليكِ أيَّتُهَا الأرْواحُ البَاقِيَةُ ، والأجْسَامُ البَالِيَةُ والشُّعُورُ المُتَمَزِّقَةُ والجُلُودُ المُتَقَطِّعَةُ والعِظَامُ النَّخِرَةُ الَّتِي خَرَجَتْ مِنَ الدُّنْيَا وهِيَ بِاللهِ مُؤْمِنَةٌ اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَيْهَا رَوْحًا مِنْكَ وسلامًا مِنَّا » هذا فى زيارة الرجال .

أما زيارة النساء فمن الفقهاء من حرّمها مطلقاً للشابة والعجوز ومنهم من أباحها للعجوز ، وذلك للمفاسد التى تنشأ عن ذلك مما يترتب على خروجهن إلى المقابر من الفسوق ، والخروج عن حدود الآداب كثير مشاهد يستغيث منه الدين ، وتتألم منه الإنسانية ، ويذهب معه الحياء والمروءة ، وتتأذى به الأموات فى قبورهم لأن أرواحهم خرجت من النوم إلى اليقظة لما جاء فى الأثر : « النَّاسُ نِيَامٌ إذَا ماتُوا انْتَبَهُوا » ومن الهزل إلى الجِدّ وصارت لا تميل إلى مثل هذه السفاسف ، بل لا تهوى سوى الحق والكمال .

فكيف السكوت على هذا من زوج أو ذى غيرة على الدين والعرض ؟

وقد صح أن النبى صلى الله عليه وسلم لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج .

أما الجلوس على القبور فمنهىٌّ عنه شرعًا لقوله صلى الله عليه وسلم : « لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتَحْرِقَ ثِيَابَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ » رواه مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه .

وقد أعلنت محافظة مصر مراراً وتكراراً وحظرت من المبيت فى المقابر تلافياً لهذه المخازى المنكرة الفاضحة ، ولكن مع الأسف لم يلتفت إلى أمرها ولم ينفذ بالدقة من ناحيتها لإهمال

الشرطة ورجال الضبط والأمن ، ولانتفاع (التربية) مما يأخذونه من أهل الميت مداراةً عليهم .

ولهذا نرجو من الحكومة التشديد فى تنفيذ أوامرها والضرب على أيدى التُّربية وأمثالهم محافظة على الأعراض والأرواح والأموال .

ويا ليت الحكومة تمنع زيارة النساء بتاتاً للمقابر ، والاقتصار على زيارة الرجال !.

أما آداب زيارة القبور فمذكورة فى كتابنا « الآداب الاجتماعية » لمن يشاء الاطلاع عليها .

هذا — وإتمامًا للفائدة — سنذكر إن شاء الله فى العدد الآتى خلاصة المذكرة المقدمة لمعالى وزير الشئون الاجتماعية من صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بشأن حكم الدين الإسلامى فى بدع الجنازات والمآتم ، وزيارة القبور والمبيت فيها لتكون دستوراً لأتباعه والعمل به .

والله سبحانه الموفق لما فيه صلاح الحال فى الحال والاستقبال .

على فكرى

حكم الدين الإسلامى

فى بدع الجنازات والمآتم وزيارة القبور والمبيت فيها

اعتاد كثير من الناس فى الجنازات والمآتم أموراً يمقتها الشرع ويأباها الخلُق الكريم وقد تمسكوا بها حتى ظن كثير من العامة والأجانب الذين لايفهمون حقيقة الإسلام أنها من الشئون التى يطلبها الشرع ويقرّها الدين ، وبذلك ألصق بالدين ماليس منه ، وصوّره أمام الناقدين بصورة تسعفهم بأشد وجوه النقد والتجريح .

وإنه ليسرنا جدًّا أن تعمل وزارة الشئون الاجتماعية من جانبها على تطهير البلاد

من هذه العادات السيئة فتريح الناس من مساوئها وتفسل عنهم أدرانها ، وتزيل فى الوقت نفسه عن الدين وصمة ألحقها به جهل العامة ، ومسايرة الخاصة لهم فيما يحدثون من بدع وعادات سيئة .

وإلى معاليكم حكم الشرع فى أشهر ما اعتاده الناس فى الجنائز والمآتم من حين الوفاة إلى آخر ماهو معروف بأيام التعزية :

١ — ينبغى أن يعلم أولاً أن الغرض من تشييع الجنازة هو الاتعاظ بالموت واستحضار جلاله فيقضى على غطرسة النفوس الجامحة التى يأخذها الغرور فتهتك الحرمات ، وتعبث بالحقوق وتستهين بالحياة ، وقد شرع تشييع الجنازة وحثت عليه الشريعة تحقيقاً لهذه الحكمة السامية ، ومما جاء فى ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : « عُودُوا المَرْضَى وَاتْبَعُوا الجَنَائِزَ تُذَكِّرْكُمُ الآخِرَةَ » وفى تذكرة الآخرة التى يجد فيها كل امرئ ماقدمت يداه مايقتلع من النفوس طغيانها ويردها إلى قسطها العادل فى هذه الحياة ؛ وتحصيلاً لهذه الحكمة على الوجه الأبلغ طلب الشارع الصمت من المشيعين حتى تخلص العظة ، وتتمكن الذكرى من القلوب ، وقد صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الصَّمْتَ عِنْدَ ثَلَاثٍ : عِنْدَ تِلَاوَةِ القُرْآنِ ، وعِنْدَ الزَّحْفِ ، وعِنْدَ الجَنَازَةِ » .

٢ — وبهذا الأصل حرم رفع الصوت فى تشييع الجنازة ولو بالذكر وقراءة القرآن ، وطلب الاستغفار للميت ، ومما جاء فى هذا أن أحد المشيعين لجنازة على عهد أصحاب رسول الله رفع صوته بقوله : استغفروا للميت ، فقال له الأصحاب : لا غفر الله لك .

وإذا كان طلب الاستغفار ، وهو دعاء من الحاضرين للميت ، وعبادة فى غير هذا الموطن — بهذه المثابة من الإنكار واستحقاق المقت والتشنيع والدعاء عليه إذا صدر منه فى تشييع الجنازة ، فما بالنا بالصياح والندب والنياحة وعزف الموسيقى ذات النغمات المحزنة ؟.

إن هذه المظاهر فضلاً عن أنها تحول دون التذكر والاتعاظ المقصودين من تشييع الجنازة تثير الأحزان وتبعث الأسى وتخلع القلوب ، وتأخذ بها إلى غير جهة العظة والاعتبار وتصرفها عن جميل الصبر ومظاهر الرضا بقضاء الله .

ومن هنا أجمع الفقهاء على حرمة هذه الظواهر تحريماً قاطعاً لاشك فيه ، وقد ورد فيها من التحذير والوعيد ما يجدُر بالمسلم أن يرتدع به ، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: « النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ » والمراد بهذا التصوير ردعُ النفوس عن ملابسة هذه الظواهر . وقوله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ » .

وقد جاء صريح التبرّي من فاعل هذه الظواهر في حديث أبي موسى الأشعري «أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ، إِنَّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالْحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ» والصَّالقة : هي التي ترفع صوتها بالندب والنياح ، والحالقة : هي التي تحلق رأسها عند المصيبة ، والشاقَّة : هي التي تشق ثوبها زيادة في الهلع .

٣ — وحَسَناً فَعَلَ المُشَرِّعُ المصري إذا اهتم بالأمر ، وقدَّر ما في العويل والولولة من تكدير راحة السكان ، فنص قانون العقوبات على معاقبة من يقع منه في الجنازات عويل أو ولولة ، فإن تكدير راحة السكان جهة أخرى يأباها الإسلام ، ويحرص جِدَّ الحرص على وقاية المجتمع منها .

وقد كان من سياسة عمر بن الخطاب في مثل هذا أن سمع ذات مرة بكاء فدخل مكان الصوت بدرته الميمونة على الحاضرين ضرباً حتى بلغ النائحة فضربها حتى سقط خمارها ، وقال لمن معه : اضرب فإنها نائحة لا حرمة لها إنها لاتبكي لشجوكم ، إنها تريق دموعها على أخذ دراهمكم ، و إنها تؤذي موتاكم في قبورهم وأحياءكم في دورهم ، أنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به ، وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه .

و إذا كنا نلمس من ظواهر المآتم والجنازات الشائعة عندنا هذه الآثار السيئة : الجزع ومضاعفة الحزن ، وتكدير صفو الحي و إضاعة المال في غير نافع ، وكلها عوامل تفتّ في عضد الأمة ، وتحول بينها و بين الحياة الحازمة الشريفة ، فجدير بالمشرع المصري وهو أقرب المشرعين صلةً بالروح الدينية الخلقية أن يتأسى بعمر بن الخطاب و يرعى هذه الشئون بتشريع حازم حكيم عملاً بمبادئ الإسلام وتحقيقاً لمظاهر الخُلُق الكريم ؛ وكذلك جدير

بالسلطة التنفيذية المصرية ، وهى أقرب سلطات التنفيذ صلةً بالرُّوح الدينية الخلقية أن تهيمن هيمنةً جادةً صادقةً على تنفيذ مايتخذه المشرع وقايةً للمجتمع والأفراد من شرّ هذه الظواهر.

٤ — وإذا كانت هـذه الآثار السيئة تلازم خروج النساء فى تشييع الجنازة فضلاً عما ينحدرن إليه من التوغل فى مظاهر الهلع من شق الثياب واختلاطهن بالرجال ، مكشوفات الرؤوس المنفوشة ، والوجوه المصبوغة بالأسود والأزرق فإنه مما لاريب فيه أن خروجهن فى تشييع الجنازة يكون من أشد المحرمات وأسوإ العادات ، وقد صح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ »وهذا من أبلغ أنواع الزجر الدال على الحرمة والإنكار .

٥ — أما إقامة المآتم ليلة أو أكثر ، فقد أجمع العلماء على حرمته إذا كان على الهيئة التى نعهدها اليوم من إقامة السرادقات التى تتطلب نفقات باهظة فى غير غرض صحيح ، وتشتد الحرمة إذا كان فى الورثة قاصر يحمل نصيباً من هذه النفقات ، أو كان أهل الميت فى حاجة إلى ماينفق فى هذا السبيل ، وتتضاعف شدة الحرمة إذا كان الحصول على هذه الأموال من طريق الربا كما يفعله بعض الناس التماساً للشهرة والرياء .

وقد كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصرف الناس بعد دفن الميت إلى مصالحهم ، وأن يُعزَّى أهل الميت حين المقابلة فى الثلاثة الأيام الأولى ، ولم يثبت عن مسلمى الصدر الأول أنهم جلسوا فى مكان معين بقصد أن يذهب الناس إلى تعزيتهم فى موتاهم ، ومن المبادئ التى وضعها الإسلام ، ولا تختلف مصلحتها بمرور الأيام ولا بمختلف الأمكنة والأشخاص قول الله تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ) وقد انعقد إجماع الفقهاء على كراهة ذلك الاجتماع ، وفيه قال الإمام الشافعى : وأكره المأتم ، وهو الجماعة وإن لم يكن لهم بكاء ، فإن ذلك يجدد الحزن ، ويكلف المئونة .

٦ — تأتى بعد هذا وذاك تلك العادة السيئة التى ينفر منها الأدب ويندى لها الجبين عادة الخروج إلى المقابر والمبيت فيها . ولسنا بحاجة إلى شرح الظواهر السيئة التى تؤذى

الخلق الكريم ، وتزج بالأعراض إلى سوق المهانة والابتذال ، وقد صح أن النبى صلى الله عليه وسلم من زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ؛ وقد سبق أن محافظة القاهرة أعلنت حظر المبيت فى المقابر تلافياً لهذه المخازى الفاضحة ، ولكن لا ندرى ماذا وقف أمام التنفيذ والرعاية لهذا الإعلان الكريم ؟ .

نعم إن زيارة المقابر مشروعة ، ولكن لها أدب يجب أن يراعى وحرمة ينبغى أن يحافظ عليها فليس المقصود منها بأكثر من الدعاء للميت ، والاتعاظ بالموتى ، ورؤية المصير الأخير ، وهذا فى زيارة الرجال . أما زيارة النساء فمن الفقهاء من حرّمها مطلقاً للشابة والعجوز ، ومنهم من أباحها للعجوز . وقال ابن الحاج من كبار علماء المالكية ومتقدميهم : إن هذا الخلاف فى نساء ذلك الزمان ، ولكن على مايعلم من عادتهن فى الاتباع ، وأما خروجهن فى هذا الزمان فمعاذ الله أن يقول أحد من العلماء أومن له مروءة أو غَيرة فى الدين بجواز ذلك ، فإن وقعت ضرورة للخروج فليكن ذلك على أدب الشرع من السرّ لا على مايعلم من عادتهن الذميمة فى هذا الزمان . أما الصدقات فهى من البرّ بشرط أن تقع فى موضع الحاجة ، وأن لاتكون على الوجه الذى حظره الشارع . ومن العادات السيئة التى درج الناس عليها فى ذلك ذبح الحيوانات عند خروج الجنازة وعند وصولها إلى القبر ، ففيها الرياء المحبط لثواب الصدقة ، وفيها اشتداد الزحام بين المتسوّلين وتهافتهم على الأخذ منها إلى درجة أن يمزق بعضهم ثياب بعض ، وأن تنشب بينهم المعارك التى تسيل فيها الدماء ، وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الذبح عند القبور بقوله : « لَا عَقْرَ فِي الإِسْلَامِ » . والسنة فى الصدقة الإسرار وتوخّى المحتاجين ، وذلك أرجى للخير ، وأدعى إلى القبول .

٤ ـ النساء وزيارة أضرحة الأولياء

من البدع السيئة خروج النساء لزيارة أضرحة الأولياء بأجمل زينة ، وأفحش مظهر ، وأقبح منظر ، فمنهن السافرة المتبرجة ، ومنهن العارية الصدر والذراعين والساقين ، حتى أصبحت الأضرحة مرتعاً للشهوات ، ومسرحاً للمتبرجات .

ولا يخفى ماينشأ عن ذلك من المفاسد باختلاطهن بالرجال ، وأصبح خروج النساء محلاً للريبة ، لايرضى به أحد من العقلاء ولا العلماء .

وقد لاحظت وزارة الأوقاف أن بعض النساء الخليعات المتبرجات يتعمدن الدخول إلى أضرحة الأولياء فى الأيام المخصصة لزيارتها من الرجال ، وأنهن يدخلن إليها فى حالة مبتذلة منكرة مغايرة للدين والآداب العامة ، ومخالفة لآداب المساجد والأضرحة ، فأصدر معالى وزير الأوقاف قراراً إداريًا يقضى بعدم السماح لأية امرأة ينمُّ مظهرها على الخلاعة والفجور ، أو يكون خارجًا عن حد الكمال والحشمة والوقار ، مخالفاً للآداب العامة بدخول المساجد والأضرحة ، وذلك محافظة على آداب الدين ، ورعايةً لما يجب لها من الاحترام والقداسة والتعظيم .

ولاشك فى أن معالى الوزير قد أحسن صنعاً بمحاربة هذه البدعة المنكرة ، ونرجو أن يقوم حضرات المفتشين بتنفيذ هـذا القرار على الوجه الأكمل ، والعمل على تطهير المساجد والأضرحة من كل دنس ، ومن كل ماينافى الآداب العامة ، ويخالف الدين الحنيف ، ويغضب رب العالمين .

الطواف حول الأضرحة والتمسح بجدرانها

من البدع السيئة الطواف حول الأضرحة ، فانه لم يُعهد عبادةً إلا بالبيت المحرّم ، وكذا لم يشرع التقبيل والاستلام إلا (للحجر الأسود) .

قال فى المدخل : فترى من لا علم عنده يطوف بالقبر الشريف قبر النبى صلى الله عليه وسلم كما يطوف بالكعبة الحرام ويتمسح به ويقبله ، ويلقون عليه مناديلهم وثيابهم ، يقصدون به التبرك ، وذلك كله من البدع ، لأن التبرك إنما هو بالاتباع له عليه الصلاة والسلام ، وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب .

ولأجل ذلك كره علماؤنا رحمة الله عليهم التمسح بجدران الكعبة ، وبجدران المسجد أو بالمصحف ، إلى غير ذلك مما يتبرك به سدًّا لهذا الباب ولمخالفة السنة .

وكذلك الولى ـ تعظيمه اتباعه ، لاتقبيل يده وقدمه ولا التمسح به ، وفى ذلك أقوال كثيرة مذكورة فى كتاب [الإبداع] للمرحوم الشيخ على محفوظ لمن أراد الاطلاع عليها.

٥ ـ النساء وبدعة النذور لغير الله

من البدع السيئة المنكرة المنتشرة فى مصر تقديم النذور للأولياء على نحو ماهو معروف عندنا من تقديم الشموع والنقود والذبائح والفول النابت وغيرها إلى الموتى من أولياء الله الصالحين تقرّباً إليهم بأن يقول الناذر المبتدع من النساء : ياسيدة زينب ، ياسيد يابدوى ، ياسيدى إبراهيم يادسوقى ، إذا تمّ لى كذا وكذا ونجحت فى سعيى ، فعلىّ نذر أن أذبح لك جملاً أوخروفاً أوجدياً ، أو أقدم إليك من الشموع كذا ومن النقود كذا ، أو من الخبز المملوء بالفول النابت كذا ، أوغير ذلك من البقول واللحوم ، فهذا كله باطل وحرام . وهذه بدعة مفسدة للأخلاق ، ومخالفة للدين الصحيح ؛ والسرّ فى تحريم هذه النذور أنها تشبه أعمال الوثنية حيث يعتقد النساء الجهلاء أن الولىّ صاحب الضريح له نفوذ وسلطان على الكون والناس ، وأنه يستطيع أن يقضى المآرب والحاجات ، ويهيئ الأسباب ، ويدبر الأمور ، ويشفى المرضى ، ويفرّج عن المكروب ، ويطلق المسجون ، وهذا كله شرك بالله وضلال مبين ، لأن الأمر كله بيد الله وحده لاشريك له ، وهو القادر القاهر فوق عباده وهو اللطيف الخبير ، كما جاء فى الحديث الشريف عن أبى العباس عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كنتُ خلفَ النبىِّ صلى الله عليه وسلم يوْمًا فقَالَ : يَاغُلَامُ إِنِّى أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَىْءٍ قَدْ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » .

فالإسلام ينكر هذه البدعة ، ويتبرأ ممن يعملونها نساءا كانوا أورجالاً ، ومن أقرّها

أوعملها ، أوعمل على نشرها فهو ضالّ مضلّ يحمل بذلك وزره ووزر من اتبعه إلى يوم الدين كما جاء فى الحديث الشريف : « مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا » .

والنذور لاتجوز لغير الله نبيًّا كان أو وليًّا ، لأن النذر عبادة ، والعبادة لاتكون لمخلوق فإذا نذر لله على أن يصرف النذر للفقراء ، أو ينفق فى جهة خيرية خاصة فلا مانع من ذلك ولاحرج فيه لأنه يعتبر صدقة ، والصدقة للفقراء والمساكين واجبة بنص القرآن .

قال تعالى : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) .

والنذر قسمان : نذر الطاعة ، وهو المقبول شرعًا ، وواجب الوفاء به ، لقوله تعالى : (وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ) .

ونذر المعصية ، وهو الذى يحرم على الإنسان الوفاء به ، فمن نذر النكاية بعدوّه بإراقة دمه ، أواغتصاب ماله ، أوتسميم مواشيه ، أوحرق زراعته ، أو نذر شرب خمر ، أو لعب ميسر ، أوغير ذلك حرم عليه الوفاء به . والكلام فى هذا الموضوع كثير فلنكتف بما ذكر .

ومن أراد التطويل فليطلع على كتاب الابتداع للمرحوم الشيخ على محفوظ والله أعلم .

على فكرى

المنكرات فى الأفراح المنهى عنها

المنكرات فى الأفراح كثيرة ، وكلها تنصبّ على النساء والرجال معاً ، لاشتراك الجنسين فى عمل حفلة الزفاف التى تكلفهم فوق طاقتهم ، وتخرج بهم عن حدود اللياقة والأدب ، والكلام فيها كثير ؛ فمنها ما يكون وقت الزفاف من تبرج النساء واختلاطهن بالرجال . اختلاطاً لايقره عقل ولادين ، ولايرضى به رجل غيور شريف .

ومنها التكلف الباهظ بإعداد المعدات ، وصنع ألوان الأطعمة ، وربما أضافوا إليها

أنواع الخمور تطييباً للنفوس كما يدّعون ، ولا يخفى ما فى ذلك من الإسراف والتبذير .

ومنها إحضار الراقصات الفاسدات الأخلاق المتهتكات ليرقصن أمام بنات أبكار ، لأخوات وأمهات أبرار صالحات ، يحضرن الراقصات ويزعمون أن ذلك مجلبة لسرور المدعوات من النساء ، وهم لا يدرون ما فى ذلك من ضياع الآداب ، وفقد العفة والصون والحياء ، ومنها إحضار آلات اللهو والطرب غير المباح ، وربما كان المغنى امرأة أو شاباً مخنثاً فيأتى فى غنائه بألفاظ منكرة يأباها الذوق السليم ، والشعور الحىّ ، وتقضى على الفضيلة .

ولا يحتاج الحال إلى استلفات نظر الرجال إلى تبرّج النساء فى زيهن حتى إنهن ليزدن عن تبرج الجاهلية الأولى حبًّا فى التظاهر والتفاخر والرياء ، واستمالة الرجال للنساء .

فالواجب على كل عاقل وعاقلة أن يمتنع عن هذه المنكرات بتاتاً ؛ ومن عجز عن تغيير المنكر وجب عليه الابتعاد عنه حتى لا يقع فى حرمته ، ويحفظ عليه شرفه وسمعته ، وسمعة أسرته .

الملاهى المفسدة للأخلاق

١ — دور التمثيل الهزلى

إن هذه الدور بؤرات شر وفساد ، تتصاعد منها سموم الأخلاق ، فتقضى عليها قضاء مبرماً . انتهز أصحاب تلك الدور الفاسدة فرصة اشتغال الأفكار بمستقبل البلاد ، فتمادوا فى مخازيهم وعيوبهم ، وجعلوا مسارحهم مواخير للشر والفساد يقتلون فيها أخلاق النساء والشبان والرجال .

أعادوا فى مسارحهم عهد الرقص الخليع ، والمراقص السافلة التى لم يكن يغشاها من قبل غير الخليعين والنساء الساقطات ؛ لم يكن رجل ذو كرامة يجرؤ على غشيانها ، ولم تكن لتجرؤ سيدة أو فتاة أن تدنو من حدود الحى الذى تسكنه تلك المراقص ، أعادوا عهدها باسم مسارح — لا برى بعض رجالنا — ومن المخزى أن أفول بعض نسائنا — بأساً فى غشيانها ليشهدوا فيها التمثيل الهزلى ، وهو التمثيل بالفضيلة والأعراض .

فيا أيها الرجال العقلاء حاربوا هذه المخازى ، واطلبوا من الحكومة مصادرتها ،

وامنعوا أبناءكم وبناتكم وأزواجكم الذين يسمحون لبناتهم وأبنائهم من أن يدخلوا هذه المواخير ليخرجوا منها ، وقد أراقوا آخر قطرة من ماء الحياء ، وآخر درهم من أموالهم .

وأنت أيها الشاب الناهض أكثر تبعة إذا أنت تهاونت فى محاربة تلك المفاسد ، فحاربها بالابتعاد عنها ، واعلم بأنها عدوك الذى يضحكك ليضحك منك ، إنها العدو الخطر الذى يلبس لك ثوب الرياء والنفاق ، والدافعة لصرف مالك وعقلك وشرفك ؛ وكن أيها الشاب الناهض قائد الجمهور فى طريق الرقى ، واصعد به أوج الكمال ، وكن سدًّا منيعاً يحول بينه وبين السفلة والرعاع الذين يسطون على ماله وعرضه .

وأنتن يانساء مصر — يا أمهات بناتنا الكريمات ، ويا أخواتنا العزيزات ، ويازوجاتنا المحبوبات ، ويابناتنا الغاليات ، أسألكن بحرمة الدين والشرف والعفاف الاحتفاظ بما عرف العالم عنكن من خصلة الفضيلة والشرف .

أسألكن أن تربأن بنفوسكن عن غشيان هذه المسارح المفسدة للأخلاق ، وأن تزجرن أزواجكن وأخواتكن وأبناءكن وبناتكن من غشيانها لأنها سموم الأخلاق ، وقبر الفضيلة ، والله يوفقكن لما فيه صلاح حالكن ، وصلاح أسرتكن .

٢ — دور التمثيل الصامت بالصور المتحركة

السينما ومايحصل فيها من اختلاط الرجال بالنساء

هذه البدعة من المخترعات الحديثة التى جاءت مصر من أمريكا وأوربا ، وهى بدعة لاتقل ضرراً عن دور التمثيل الهزلى ، بل هى أشد فتكاً وأكثر خطراً بالأخلاق ، حيث تعرض فيها الروايات الغرامية بأشكالها الطبيعية وصورها المتحركة ، وهى بذلك مدارس عملية لتمثيل الرذيلة حيث يتعلم فيها الشاب والفتاة كيف يسرق ؟ وكيف يحب ويعشق ؟ وكيف يفسق ؟ أوترى المرأة مالم تكن لتراه من قبل من ضروب الخلاعة ، وأساليب الغواية ، والعشق والغرام وغير ذلك مما ترغب فيه المدنية الحديثة ، فلا يعود النساء إلا وقد تأثرت نفوسهن من رؤية المناظر المهيجة المحركة للعواطف والشعور مما يندى له وجه الحياء خجلاً ؛

كما أن الرجل لايعود من حفلات السينما إلا وقد علقت نفسه بحوادث ومناظر تأخذ بلبّه ، وتؤثر فى مجموع أعصابه ؛ وفى هذا من الخطر الأدبى والمادى على مجموع الأمة المصرية مالايخفى على كل عقل رشيد ، ذى رأى سديد .

ويسرنى أن أسجل هنا أن وزاره الشئون الاجتماعية قد أعدت مشروع لائحة جديدة للملاهى العامة ، اشترطت فيها أن لرجال البوليس حق إخلاء المحالّ العامة و إطفاء أنوارها إذا جعلت فيهـا مناظر تخالف الآداب ، أو أفوال يحرمها القانون ، أو حدثت أمور مخالفة للنظام .

الأهرام فى ٥ /١١/سنة ١٩٤٢

حكم الشريعة الغراء فى المرأة التى تترتكب الفاحشة (الزنا)

إن الله سبحانه وتعالى ينهى عن الفحشاء (الزنا) لقوله تعالى : (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) التوحيد والإنصاف (وَالْإِحْسَانِ) أداء الفرائض ، أو أن تعبد الله كأنك تراه (وَإِيتَاءِ) إعطاء (ذِى الْقُرْبَى) القرابة (وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ) الزنا (وَالْمُنْكَرِ) شرعاً من الكفر والمعاصى (وَالْبَغْيِ) الظلم للناس (يَعِظُكُمْ) بالأمر والنهى (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) تتعظون ؛ وهذه أجمع آية فى القرآن للخير والشر .

وأول مانهى من النساء نساء النبى صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : فى سورة الأحزاب : (يَانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) أى بُيِّنت ، أو هى بينة (يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) أى يضاعف لها العذاب ضعفى عذاب غيرهن : أى مثليه (وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا) أى سهلاً (وَمَنْ يَقْنُتْ) يطع (مِنْكُنَّ لِلهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ) أى مثلى ثواب غيرهنّ من النساء (وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) زيادة فى الجنة (يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ) كجماعة (مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ) الله فإنكن أعظم من النساء (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) للرجال الذين يرغبون فى إتيان الفاحشة منكن (فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ) نفاق (وَقُلْنَ لَهُ قَوْلًا مَعْرُوفًا) فى غير خضوع

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) أى اجلسن فى بيوتكن تعففاً وطهراً (وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَةِ الأُولَى) أى ماقبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال ، والإظهار بعد الإسلام مذكور فى آية (وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا) ، وسبق الكلام عليها فى التبرج والزينة .

(وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ) الإثم (أَهْلَ الْبَيْتِ) أى نساء النبى صلى الله عليه وسلم (وَيُطَهِّرَكُمْ) منه (تَطْهِيرًا) .

وقال الله تعالى ترهيباً من الحياة الدنيا ، وترغيباً فى الآخرة أى الجنة لنساء النبى :

(يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ) أى متعة الطلاق (وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً) أى أطلقكن من غير ضرار (وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ) أى الجنة (فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ) بدار الآخرة (أَجْرًا عَظِيمًا) أى الجنة ، فاخترن الآخرة على الدنيا .

أما حكم الله فى النساء عموماً اللائى يأتين الفاحشة فمذكور فى قوله تعالى فى سورة النساء : (وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ) الزنا (مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ) أى من رجالكم المسلمين (فَإِنْ شَهِدُوا) عليهن بها (فَأَمْسِكُوهُنَّ) أى فاحبسوهن (فِي الْبُيُوتِ) وامنعوهن مخالطة الناس (حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ) أى ملائكته (أَوْ يَجْعَلُ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً) أى إلى أن يجعل الله لهن طريقاً إلى الخروج منها ؛ أُمروا بذلك أول الإسلام ، ثم جعل لهن سبيلاً بجلد البكر مائة جلدة وتغريبها عاماً ، ورجم المحصنات ، أى المتزوجات من النساء . وسبق الكلام عليه فى جريمة الزنا .

شر النساء

المرأة التي تخون زوجها في عرضه

لاجدال في أن بغايا الأسواق (المومسات) هن شر النساء في نظر الهيئة الاجتماعية ، ولكن المرأة المتزوجة التي تخون زوجها في عرضه وهو لم يسئ إليها ، ولم يأت أمراً منكراً هي في نظر الشرع شرّ من بغايا الأسواق ، بل هي خطر عظيم على الإنسانية .

لأن المرأة البغيّ لم تخف مارمتها به الأقدار ، ولم تنكر ما أصابتها به طوارئ الحدثان ، بل تجهر بما تأتيه من المنكرات ، وكفاها خزيًا وعاراً أنها في منازل الذل والهوان ، وقد استوفت قسطها ذلاً وانحطاطًا من العقاب الدنيوي على سوء أعمالها ، ونالت من قبح سمعتها ، وسوء سيرتها ، جزاء عادلاً عما فرّطت فيه من عرضها ، والإساءة إلى أهلها ؛ بخلاف المرأة المتزوجة التي لم تذق طعم ذل الاحتياج ، وتعيش متمتعة بنعيم الحياة ، وتزاحم بغايا الأسواق في مهنتهن القبيحة ، وتجاري بنات الهوى في خلع رداء الحياء ، وهي مستترة وراء زوجها وأولادها ، وتأتي الفاحشة في البيوت السرية وهي في غنى عن إتيانها ، وتبذل حسنها عفواً ومجانًا لأشخاص أقل كفاءة منها ، بل ربما كانوا من خدمها أو في حاجة إلى إحسانها ، فهي من أحط النساء بل شر النساء .

تلك المرأة الساقطة التي تستحق أن تداس بالأقدام ، ولا يصح لزوجها أن ينظر إليها ولا إلى مالها إن كانت غنية ، بل يجب عليه إن كان حرًّا شريفًا من سلالة شريف ماجد أن ينبذها ويسعى في الخلاص منها ، والتزوّج من غيرها ، عسى الله أن يعوّضه خيراً منها .

تلك المرأة تستحق اللعنة والمذمة والطعن في شرفها وكرامتها بألسنة حداد لأنها شرٌّ على الإنسانية من بغايا الأسواق .

وسبق الكلام على عقوبة المرأة المحصنة التي ترتكب جريمة الزنا في الشريعة الغراء فلا داعي لتكراره ؛ ومَن الذي يعتدي على أعراض الناس وهو يعلم أن له عرضًا كأعراضهم ؟ وكيف يرضى المؤمن الحرّ الغيور أن يجني على عرض امرأة في عصمة آخر ؟ فيثير

العداوة بينها و بين زوجها وعشيرتها ، و يفسد عليه بَنِيه ، وتتشتت أسرة كانت تتمتع بنعمة الاجتماع والتعاون على شئون الحياة ، وتثور العداوة بين هذا المجرم الزانى ، و بين أهل تلك المرأة الزانية ، فينتقمون منه ، و يثأرون لعِرضهم الذى انتُهك ، وحرماتهم التى استبيحت . وكثيراً ما يكون القتل جزاء ذلك ، فإن العرض كما هو معلوم ومشهور أغلى وأثمن من المال عند كثير من الرجال كما قال الشاعر :

أصون عرضى بمالى لا أدنِّسه لا بارك الله بعد العرض فى المال

وفى كل يوم نسمع ونقرأ فى الجرائد اليومية ، والمجلات الأسبوعية أخبارًا بحوادث مزعجة عن القتلى والقتلة فى سبيل الدفاع عن أعراضهم ، وتموج المحاكم بقضايا هذا النوع من المجرمين والسفاحين ، والمجرمات السفاحات الساقطات . نسأل الله إصلاح حال النساء والرجال .

حكم الشرع والقانون فى المرأة المسلمة

التى تتزوّج بمسيحى

أصيبت المرأة المسلمة من عهد قريب بآفة من آفات التمدن الحديث (وما التمدن إلا قلّة الدِّين) أصابتها فى الصميم ، فخرجت بها عن حدود الدين ، حتى باعت دينها بدنياها حبًّا فى الملذات والشهوات ، فوقعت فى المنكرات ، وسعت فى التزوّج بمسيحى أمريكى و إنجليزى وفرنسى ، وهى لا تدرى أهذا حلال أم حرام ؟ ونحن لا نعتبر هذا زواجاً بل فسوقاً يحرمه الشرع والقانون ، وقد عرضنا أمرها عليهما ، فأفتى كل منهما بما يأتى :

سأل سائل ماحكم الشرع والقانون فى سيدة مصرية مسلمة تزوّجت بشخص مسيحى وقد أنجبت منه أطفالاً ، هل يبيح الشرع الشريف لعائلتها التبرُّؤ منها ؟ وهل إذا كانت مستحقة فى وقف يصح حرمانها منه ؟ ومن يقوم بذلك إذا كان والدها متوفى ولها إخوة وأخوات ؟

أرجو الإفادة عن حكم الشرع فى حالة هذه السيدة عمومًا ، وعن أسئلتى خصوصًا ، ولكم من الله حسن الجزاء .

الجـــواب

المسلمة التى تتزوّج بمسيحى تعتبر مرتدة عن دينها الإسلامى (والعياذ بالله) إذا استحلت ذلك ، لأنها خالفت ماهو معلوم من الدين بالضرورة ، واستحلت محرّمًا مجمعًا عليه .

وجزاء هذه المرأة أن تحبس حتى تسلم عند علماء الحنفية . أما عند الأئمة الثلاثة فجزاؤها القتل ، والذى يتولى هذه العقوبة هو الحاكم ، وليس لأحد سواه أن يقوم بعقابها منعًا للافتيات على الإمام ، وسدًّا لباب الفوضى .

ويستثنى علماء الحنفية مَن ارتدت بإعلان شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فإنهم يقولون : إن جزاءها يجب أن يكون أكبر ، ويبيحون قتلها للإمام أيضا ، لأنها ارتكبت أمرًا إدًّا ، لأنها عابت الله ورسوله بفعلة شنعاء ، وفسقت عن أمر ربها .

أما تصرّفاتها فإنها صحيحة إذا كانت لاتقتل ، وكسبها لورثتها ، لأن ردتها ليست سببًا لزوال ملكها ، وإن كانت ممن يقتلن كالساحرة والزنديقة ، فينبغى أن تلحق بالمرتدة فى كل شئ فيزول ملكها عن مالها زوالاً موقوفًا ، فإن أسلمت عاد ملكها ، وإلا فلا يعود ؛ والكلام فى هذا طويل لانحب أن نسترسل فيه ، لأن هذه الأحكام غير منفذة فلاداعى لشرحها ، وإنما ذكرنا طرفًا منها إفادةً لهذا السائل ، وإذا أراد الزيادة فعليه مراجعة كتب الفقه . (لواء الإسلام)

العدد السابع السنة الثالثة ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٩

ملحوظة — هذا صحيح ، أما إذا تزوّجت بشخص مسيحى أثبت إسلامه إسلاماً شرعيًّا أمام المحكمة وصار مسلمًا حقًّا ، فتكون حلاًّ له وهو حلٌّ لها ، والله أعلم .

حكم نكاح غير المسلم للمسلمة

عن كتاب الإبداع للمرحوم الشيخ على محفوظ

المسلمون مجمعون جميعًا على تحريم نكاح الكافر للمسلمة ، ولم يبيحوا ذلك فى عصر من العصور ، وحجتهم فيه كتاب الله تعالى ، وتشريعه المبنى على بالغ الحكم . قال تعالى :

(وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ، وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) وجه الدلالة من هذا النظم الكريم أن الشرك جاء فى لسان الشرع مرادًا به الكفر مطلقًا كما فى آية : (إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) فإن جميع طوائف الكفار من وثنيين وأهل كتاب لا يغفر لهم كفرهم . قال تعالى : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ، وجاء مرادًا به كفر الوثنيين ، وهو أن يجعل لله ندًّا كما فى قوله صلى الله عليه وسلم حينما سُئل عن الشرك (أَنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ) وعليه جاء قوله تعالى : (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ) . وقوله تعالى : (وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا) والمراد منه هنا المعنى الأول العام ؛ فالمشرك والمشركة : الكافر والكافرة مطلقًا بدليل المقابلة فى قوله تعالى : (وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ — وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ) ويؤيده قوله تعالى : (إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ) فإن لفظ الكفار فيه عام لما عدا المؤمنين .

وعلى هذا فالذى أفادته الآية شيئان : تحريم المشركة الكافرة مطلقًا على المسلم وتحريم المسلمة على الكافر مطلقًا .

أما العموم فى الثانى فهو مراد إجماعًا ، لم يدخله تخصيص لعدم وجود مخصص ، وللتنصيص على هذا العموم فى قوله تعالى : (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ) الآية . ولقوله عليه الصلاة والسلام : « تَزَوَّجُوا نِسَاءَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ تُزَوِّجُوهُمْ نِسَاءَكُمْ » رواه جابر بن عبد الله رضى الله عنهما .

وأما العموم فى الأول فمخصص بآية (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) لأنها أفادت جواز نكاح المسلم الكتابية ، وإنما حرّم تعالى نكاح الكتابية أوّلاً ، ثم أباحه ثانياً مراعاةً للمصلحة فى الحالتين .

أما التحريم أوّلاً فلمصلحة المؤمنات المهاجرات بقلة الرجال وكثرتهن ابتداء ، فحرمت غير المسلمة على المسلم كما ورد فيما أخرجه ابن جرير : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنْ أَصْنَافِ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ المهَاجِرَاتِ ، وَحَرَّمَ كلَّ ذَاتِ دِينٍ غَيْرَ الإِسلاَمِ » .

وأما الإباحة ثانياً فلمراعاة مصلحة الرجال لكثرتهم فى هذا الحال ؛ فأنت ترى أن الله تعالى قد شرع مافيه الخير فى الحالتين .

وأما حكمة عدم تخصيص العموم فى الثانى فلدفع المفسدة ، لأن فى إباحة المؤمنة للكافر مفاسد لا تحصى ، وذلك لأن الحكمة الإلهية اقتضت جعل الرجال قوّامين على النساء بسببين : وَهْبِىّ ، وهو الفضل فى العقل والدين وسائر المواهب . وكَسبِىّ ، وهو الانفاق فى الأموال ، وبهذا خص الرجل بمهامّ الأمور ، كالنبوة والرسالة والإمامة صغرى وكبرى ، وإقامة الشعائر كالأذان والخطبة والجمعة ، وكالشهادة فى كبريات القضايا ؛ ومن توابع القيام بمهام الأمور أن للرجل حق التأديب ، ومنع زوجته من الخروج ، وعليها طاعته وامتثال أمره ، وناهيك فى وجوب طاعة المرأة للرجل قوله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا » أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة . وقال حسن صحيح .

فإذا كانت المسلمة تحت الكافر كانت مكلفة بطاعته ، مأمورة بامتثال أمره ، وفى هذا ولاية وسلطان له عليها ، والله تعالى يقول : (وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً) ، وحسبك مافى سلطان الولاية مما يفسد حالها من وجهة الاعتقاد والأخلاق ، لأن المرأة ميالة إلى إرضاء زوجها مسارعة فى هواه ، فقد يستميلها إلى دينه ، ويستعين على ذلك بسلطانه ، وقبضه على خزائن الإنفاق عليها ، وإذا خرجت عن دينها سقطت عند الله واستحقت عذابه . أضف إلى ذلك الجناية على عقيدة النسل والذرية ، وإلى هذا

الإشارة بقوله تعالى فى آخر الآية التى معنا : (أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ، وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ) .

فاقتضت الحكمة تحريم المسلمة على الكافر مطلقاً ، وهذه المقاصد غير موجودة فى إباحة الكتابية للمسلم ، بل هناك ضدها ، لأنه الذى يجرها إلى دينه ، وهو الذى يهيمن على ذريته ويتولى أمرهم ، لأنه صاحب الولاية عليهم دونها .

هذا هو حكم الله فى موضوع زواج الكافر بمسلمة ، وعليه انعقد الإجماع ، وعلم من الدين بالضرورة ، فمنكره كافر . وعلى ولاة الأمور ومن بيدهم سلطان التأديب أن ينزلوا به النكال تفادياً من الوقوع فى الإثم إن أصرّ على إنكاره .

نسأل الله الهداية والتوفيق إنه سميع قريب مجيب .

وختامًا نسأل الله العلىّ القدير أن يجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم لقائه ، وأن يجعلنا من عباده الصالحين المخلصين ، وأن يتوفنا على الإسلام والإيمان ، وأن يحشرنا مع المتقين الأبرار ؛ إنه نعم المولى ونعم النصير ؟

السيد على فكرى

ابن المرحوم السيد محمد عبد الله الحكيم

العباسية فى { ٧ ربيع الثانى ١٣٦٩ / ٢٥ يناير ١٩٥٠

خاتمـــة الطبع

الحمد لله الذى رفع أهل طاعته بفضله ، وخفض أهل المعصية والغفلة بعدله ، والصلاة والسلام على من نصبه الله للرسالة العامة ، وعلى آله وصحبه الذين تابعوه حربا وسلما ، مع امتلاء قلوبهم بالمحبة التامة .

وبعد : فقد تم بحمد الله وحسن توفيقه طبع كتاب :

(مرشد الأنام لمعرفة الحلال والحرام)

مصححاً بمعرفة لجنة من العلماء برياسة الشيخ أحمد سعد على .

القاهرة فى { ١٧ شوال ١٣٦٩ هـ
أول أغسطس ١٩٥٠ م

ملاحظ المطبعة
محمد أمين عمران

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبي

الصفحة	الموضوع
٣	الإهداء .
٥	التعريف التام بالكتاب
٧	المقدمة
٩	الآيات القرآنية الوارد فيها ذكر الحلال من ص ٩ إلى ص ١٤
١٥	الأحاديث اواردة فى طلب الحلال . من ١٥ إلى ١٨
١٩	الآيات القرآنية الوارد فيها ذكر الحرام من ١٩ إلى ٢٨
٢٩	الأحاديث التى وردت فى ذم الحرام .
٣٢	أكبر الكبائر المحرمة شرعاً .
٣٥	شرح الحديث السادس عشر فى الجرائم الموبقات المحرمات .
٣٧	ماجاء فى الآثار والأخبار .
٣٩	بيان حكمة تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله .
٤١	الحلال بيّن والحرام بيّن .
٤٤	الموضوعات . الحلال والحرام . طرق اكتساب المال .
٤٦	خطبة فى الكسب حلاله وحرامه .

الصفحة	الموضوع
٥٠	البيع والشراء وما يحل فيهما وما يحرم .
٥٥	أمثلة تطبيقية . مثال التاجر الأمين .
٥٦	مثال المشترى الأمين ، ومثال التاجر الصادق .
٥٧	مثال التاجر الغش . مثال آخر عن التاجر الأمين .
٥٨	مثال التاجر القانع بالربح القليل . أمثلة فى الغش فى التجارة .
٦٠	خطبة فى صدق التاجر وكذبه .
٦٢	نصيحة إلى التجار .
٦٦	موعظة واعتبار للتجار لترك الاحتكار وغلاء الأسعار .
٧٠	الطرق المحرمة لاكتساب المال . ١ — السرقة .
٧١	مثال من إقامة الحد على السارق .
٧٢	سيدة تتهم نجل أحد الكبار بالسرقة .
٧٣	يسرق ليحصل على إيجار بيته .
٧٤	وثيقة تكشف عن سرقة ١٣٥٠ جنيهاً .
٧٤	سرقات .
٧٦	٢ — النصب والاحتيال .
	٣ — الدجل والدجالون .

الصفحة	الموضوع
٨١	مثال من أمثلة الدجالين .
٨٢	٤ — الغصب أو اغتصاب الأراضى .
٨٣	مثال الرجل المغتصب .
٨٤	٥ — القتل وتحريمه والنهى عنه وعقابه .
٨٥	تحريم قتل النفس
٨٧	حد القتل .
٨٨	حكم الشرع فى جرائم الاغتيال .
٩١	الإيمان قيد الفتك .
٩٣	٦ — أكل أموال الناس بالباطل
٩٦	خطبة فى النهى عن أكل الحرام .
١٠١	شرح حديث فى النهى عن أكل الحرام .
١٠٤	٧ — النهى عن أكل أموال اليتامى بالباطل والتعفف عن أكلها .
١٠٦	خطبة فى ذم أكل أموال اليتامى بالباطل
١٠٧	٨ — وخامة الرشوة والحث على عدم فعلها
١٠٩	تحريم الرشوة .
١١٠	ضبط رشوة كبيرة تقدم إلى محام .
١١١	شرح حديث فى النهى عن الرشوة .
١١٤	خطبة فى الرشوة و إفسادها للأخلاق
١١٨	الوجوه التى يحل فيها صرف المال وإنفاقه .

الصفحة	الموضوع
١١٩	الوجوه التى يحرم فيها صرف المال
	١ — الربا وتحريمه .
١٢٢	أسباب تحريم الربا .
١٢٤	المرابون يستنزفون الثروة الأهلية .
١٢٧	خطبة فى الربا .
١٢٩	٢ — الزنا وحكمة تحريمه .
١٣١	بعض خطب فى النهى عن الزنا .
١٣٣	خطبة أخرى فى أضرار الزنا .
١٣٥	خطبة أخرى فى النهى عن الزنا .
١٣٩	حد الزنا .
١٤١	حد القذف بالزنا للمحصنات .
١٤٣	حد قذف الزوجات (اللعان) .
١٤٦	٣ — كلمة فى الخمر ومضارها
١٤٧	حكمة تحريم الخمر .
١٥٠	من خطبة فى التحذير من شرب الخمر
١٥٢	من خطبة أخرى فى النهى عن شرب الخمر .
١٥٤	إقامة الحد الشرعى على شارب الخمر
٢٥٥	٤ — المخدرات ومضارها .
١٥٦	النهى عن المخدرات .
١٥٨	٥ — الميسر ومضاره وتحريمه .
٢٥٩	أقوال بعض الأدباء والشعراء فى القمار

الصفحة	الموضوع
١٦١	حكمة تحريم الميسر وأوراق اليانصيب . أمثلة .
١٦٤	١ — سوء عاقبة القمار .
	٢ — زوجات يشكين أزواجهن .
١٦٥	العقاب القانونى على ألعاب القمار .
١٦٨	من خطبة فى التحذير من الميسر وما يتبعه
١٧٠	الذى يستحل الحرام لا يؤمن بالقرآن .
١٧٣	المحرمات المنهى عنها شرعاً الصادرة عن القلب والأذن والعين واللسان .
١٧٣	خاتمة : وصية المصطفى لعلى بن أبى طالب
١٧٥	نبذة فى حكم الشريعة الغرّاء فى المحرمات على النساء .
	١ — تحريم النظر إلى الرجال الأجانب
	٢ — تحريم التبرج والزينة والنهى عنهما
١٧٦	التبرج والزينة .
١٧٨	الفتوى الشرعية فى المرأة المتبرجة .
١٧٩	حول التبرج والزينة .
١٨٠	حول التبرج أيضاً .
١٨٣	لمن تتجمل المرأة ؟
١٨٤	نصيحة أدبية للسيدات المتبرجات .
١٨٥	التجمل بالأزياء والمودات .
١٨٨	نصيحة صحية .
١٨٩	٣ — ملابس النساء وأزيائهن .

الصفحة	الموضوع
١٩٤	حول أزياء النساء .
١٩٩	النساء العاريات وتصويرهن .
٢٠١	قص الشعر للنساء .
٢٠٢	محاورة بين فتاة وأمها بشأن قص الشعر
٢٠٣	صور النساء العاريات .
٢٠٥	حملة عنيفة على نشر الصور الخليعة وعرضها من شيخ الأزهر وغيره .
٢٠٦	من رئيس الشبان المسلمين إلى رئيس الوزراء .
٢٠٨	الأمير محمد على يكتب إلى رئيس الوزراء
٢١١	مذكرة من جمعية الشبان المسلمين بمنع نشر الصور العارية .
٢١٢	خطاب من بطريرك الأقباط لرئيس الوزراء بشأن منع نشر الصور الفاضحة الخليعة .
٢١٣	المطبوعات تطلب من الصحف الكف عن نشر الصور العارية .
٢١٥	صوت من الموصل حول الصور الخليعة شكر الاتحاد النسائى لفضيلة شيخ الجامع الأزهر على طلبه منع نشر الصور العارية .
٢١٦	بعد الصور العارية ما حكم الفضيلة والشرع فى الأجساد العارية ؟

الصفحة	الموضوع
٢٢٠	ـ ٧ ـ اختلاط الجنسين مجلبة للعار والشين
٢٢٥	ـ ٨ ـ سوء عاقبة الاختلاط .
٢٢٨	ـ ٩ ـ اختلاط الشبان بالبنات وسوء عاقبته .
٢٢٩	ـ ١٠ ـ الرقص .
٢٣٢	ـ ١١ ـ الرقص الإفرنجى .
٢٣٣	وصف حفلة رقص لشاهد عيان .
٢٣٥	حول الرقص الإفرنجى أيضا .
٢٣٨	محاربة الرقص .
٢٣٩	حكم الشرع فى الغناء والمغنيات والرقص والراقصات .
٢٤٣	ـ ١٢ ـ تحريم تشبه الرجال بالنساء ، وتشبه النساء بالرجال .
	ـ ١٣ ـ التهتك والفجور ومحاربتهما .
٢٤٧	ـ ١٤ ـ النساء والخمر والميسر .
٢٤٨	النساء والقمار .
٢٥٠	لماذا لعبت المرأة القمار ؟ .
	ـ ١٥ ـ النساء والدخان .
٢٥٢	ـ ١٦ ـ النساء والمخدرات .
٢٥٣	ـ ١٧ ـ النساء والزار .
٢٥٥	ـ ١٨ ـ النساء والجنائز والمآتم وزيارة القبور
٢٥٧	عادة قبيحة فيها عار وفضيحة للأمة الإسلامية المصرية .
٢٥٨	بدع الجنازات .
٢٦٠	السير خلف الجنازات .
٢٦١	بدع المآتم .
٢٦٢	نصيحة دينية .
	بدعة زيارة القبور وحكم الدين فيها .
٢٦٥	حكم الدين الإسلامى فى بدع الجنازات والمآتم وزيارة القبور والمبيت فيها .
٢٦٩	النساء وزيارة أضرحة الأولياء .
٢٧٠	الطواف حول الأضرحة والتمسح بجدرانها .
٢٧١	النساء وبدعة النذور لغير الله .
٢٧٢	المنكرات فى الأفراح المنهى عنها .
٢٧٣	الملاهى المفسدة للأخلاق .
	١ ـ دور التمثيل الهزلى .
٢٧٤	٢ ـ دور التمثيل الصامت بالصور المتحركة .
	السينما ومايحصل فيها من اختلاط الرجال بالنساء .
٢٧٥	حكم الشريعة الغراء فى المرأة التى ترتكب الفاحشة .
٢٧٧	شر النساء (المرأة التى تخون زوجها فى عرضه) .
٢٧٨	حكم الشرع والقانون فى المرأة المسلمة التى تتزوج بمسيحى .
٢٧٩	حكم نكاح غير المسلم للمسلمة .

للمؤلف :

١ — المعاملات المادية والأدبية .

فى أربعة أجزاء كل جزء على حدة

٢ — خلاصة الكلام فى أركان الإسلام .

٣ — البيان الفاصل بين الحق والباطل .

تطلب من :

مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده

مصر — س . ب . الغورية ٧١